الشيعة
بين الاعتدال والغلو

دكتور
محمد الأنور حامد عيسى
أستاذ العقيدة والفلسفة
كلية أصول الدين - القاهرة

الطبعة الثانية
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول ربنا عز وجل :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) ﴾

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الطبعــة الثانيــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلي آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد...

فإن الإسلام من خلال النبعين المقدسين يدعونا إلى الحب والإخاء والتسامح والتعاون والتماسك والتيسير والتبشير فى كل أمورنا.

يدعونا من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى عدم التفرق، وإلى اتباع الصراط المستقيم يقول عز وجل: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ﴾ (الأنعام ١٥٣). ويقول سبحانه: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (آل عمران ١٠٣) ويقول: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) ﴾ (آل عمران ١٠٥) و يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ (الأنعام ١٥٩)

ويقــــول: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (الانفال ٤٦).

وفى حديث شريف يقول الرسول ﷺ: «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلاله» (الترمذى جـ٤، أبو داود جـ٢).

وفى حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام : «لا تحاسدوا ولا تناجشوا - التناجش هو أن يزيد الرجل فى ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها وإنما ليغر بالآخرين فيزيدوا وهو بهذا يضللهم ويوقعهم فى شباك البائع الطماع - ولا تباغضوا ولا تدابروا ..... وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره .... كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» (رواه مسلم عن أبى هريرة باب البر) .

والإسلام إذ يدعونا إلى كل هذه المعانى السامية ، فإنه يبين أن الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس.

يقول سبحانه : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران ١١٠) .

وكان من المفروض أن نتمسك بهذه الخيرية ، ونعمل على تنميتها بالفهم الصحيح لكتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، إلا أنه وللأسف الشديد نسينا الله ونسيا كتابه ، وسنة نبيه ، واجتهدنا فى تنمية بذور التفرق ، ولم نكتف بالتمزق الذى احدثناه بيننا ، وبتبادل السباب واللعن بل راح البعض منا يلغى البعض الآخر بدافع التعصب المذهبى الممقوت. مع إننا لو تدبرنا الأمر بروية ، وتخلينا عن الاندفاع ، واعملنا العقل بطريقة صحيحة ، وتمسكنا فى حوارنا بالمفهوم الذى يقول : إن الاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية ، وإن دين الله يسع الجميع ، وإن الاعمال بالنيات ولكل امرى ما نوى ، والمحاسب الحق هو الذى يعلم السر واخفى العزيز الحكيم ، وأنه وحده غفار الذنوب : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء ٤٨) لو أنا احسسنا بالمسئولية تجاه ديننا واتقينا الله فى كل تصرفاتنا وتخلينا عن الالف والعادة لأنصلح حال الأمة واتحدت .

أكتب هذه الكلمات فى بداية الطبعة الثانية لكتاب يتحدث عن الشيعة الذين يكفر بعضهم بعض أهل السنة، ويقوم البعض من أهل السنة بتكفير البعض من الشيعة ، وليسامح الله الجميع سنة وشيعة وخوارج ... إلخ.

ومن أجل قضية التكفير هذه أضفنا موضوعاً مختصراً يتناول حديث افتراق الأمة بشيء من الإيجاز. وتذييلاً يخفف من وقع الدعوى التى آثارتها قلة من الشيعة حول تحريف القرآن - ونقحنا بعض الموضوعات بالحذف والإضافة ليتضح مسار الشيعة المعتدلين،ومسار الشيعة الغلاة ولنتذكر جميعًا قول الرسول ﷺ : «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون».

الله تعالى نسأل أن يسامحنا ، وأن يغفر لنا خطايانا وتقصيرنا فى أمور ديننا ودنيانا وأن ينصر امتنا الإسلامية التى يتكالب عليها الأعداء من كل حدب وصوب- وأن يوحد خطاها ويهدى حكامها للعمل بكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

إنه نعم المولى ونعم النصير

المؤلف

د. محمد الأنور حامد عيسى

مدينة نصر فى

رمضان المبارك ١٤٢٦

اكتوبر ٢٠٠٥

مدخل عام

[١] نظرة متأنية فى حديث افتراق الأمة

يتحدث كثير من المسلمين - وبخاصة الذين يندرجون تحت فرقة معينة، ويتعصبون لافكارها - حديثاً مسهباً عن حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، الناجية منها واحدة.

ويدفع التعصب اتباع كل فرقة إلى اختصاص أنفسهم بالنجاة دون غيرهم، والقول بأنهم وحدهم هم المؤمنون، وللامانة وبكل موضوعية وبإيجاز شديد - مع العلم بأن الحديث ذكر بروايات عدة فى مصادر مختلفة - نذكر أهم هذه الروايات مع التخريج ثم نثنى بملاحظات موجزة من خلالها نرجوا أن تستبين الحقيقة.

أولاً : روايات ذكرت الافتراق فقط :

١ - يقول الترمذى فى جامعه الصحيح : حدثنا الفضل ابن موسى عن محمد ابن عمر وعن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «تفرقت اليهود على احدى وسبعين ، أو اثنتين وسبعين فرقة - والتردد من الراوى - والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة »[١]

يقول أبو عيسى الترمذى : حديث أبى هريرة حديث حسن صحيح.

٢ - وفى سنن ابن ماجة يقول : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة، حدثنا محمد ابن بشر، حدثنا محمد بن عمرو، عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة»[٢]

---

(١) ج٥ ص ٢٥ باب ماجاء فى افتراق هذه الأمة حديث ٢٦٤٠ دار إحياء التراث العربى بيروت.

(٢) ج٢ ص١٣٢١ حديث ٣٩٩١ باب افتراق الأمم دار الفكر بيروت.

يقول المعلق د. محمد فؤاد عبد الباقى : المراد بالأمة أمة الإجابة، وهم أهل القبلة، فإن اسم الأمه حينما يضاف إلى النبى ﷺ يتبادر منه أمة الإجابة. والمراد تفرقهم فى الأصول، لا الفروع والعمليات.

٣ - وقريب من النصين السابقين ذكر أبو داود فى سننه جـ١ ص ٥٠٣ عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «افترقت اليهود على أحدى أوثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على احدى أو ثنتين وسبعين فرقة - والتردد من الراوى - وتفرقت امتى على ثلاث وسبعين فرقة».

وعلق المنذرى على الحديث قائلاً : حديث حسن صحيح.

٤ - وقد روى الحديث بالفاظ قريبة من هذا عند ابن حبان فى صحيحه، وعند الحاكم فى مستدركه، وعند ... إلخ.

- ولعلنا لاحظنا أن الروايات السابقة للحديث تحدثت عن الافتراق ولم تذكر قط الفرقة الناجية.

ثانيا : روايات ذكرت الافتراق وحددت الفرقة الناجية :

١ - يقول الترمذى فى صحيحه : حدثنامحمود بن غيلان، حدثنا أبو داود الحفرى عن سفيان الثورى، عن عبد الرحمن بن زياد الافريقى، عن عبد الله ابن يزيد، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : «ليأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل ... وإن بنى إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة. تفنى أمتى على ثلاث وسبعين ملة، كلهم فى النار إلا ملة واحدة» قالوا ومن هى يا رسول الله؟ قال : «ما أنا عليه وأصحابى»[1]

---

(١) جـ٥ ص٢٦ حديث ٢٦٤١.

ويعلق الترمذى على الحديث قائلاً : هذا حديث مفسر - أى مبين للفرقة الناجية - غريب - لأن فى سنده عبد الرحمن بن زياد الافريقى وهو ضعيف لا نعرف مثل هذا إلا من هذا الوجه.

ويلاحظ أن الناجية بلفظ الحديث : «ما أنا عليه وأصحابى» .

٢ - يقول ابن ماجة فى سننه : حدثنا هشام بن عمار ... حدثنا قتادة ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول لله ﷺ : «إن بنى إسرائيل افترقت على احدى وسبعين فرقة، وإن امتى ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة»[1] . فى الزوائد اسناده صحيح ورجاله ثقات.

- ويلاحظ أن الحديث حصر الفرقة الناجية فى الجماعة.

٣ - وفى مسند أبى يعلى ج٧ ص٣٦ يذكر النص السابق، وفى نهايته بدلاً من الجماعة «كلهم فى النار إلا السواد الأعظم »

ثم يقول : واسناده ضعيف لأن فيه مبارك بن سحيم وهو متروك الحديث.

• معنى السواد الأعظم :

ويحدد معنى السواد الأعظم حديث طويل يرويه الطبرانى عن أبى الدرداء، وابن ماجه وأنس بن مالك فى آخرة سئل الرسول ﷺ عن السواد الأعظم فقال عليه الصلاة والسلام : «من كان علي ما أنا عليه وأصحابى، من لم يمار فى دين الله، ومن لم يكفر أحدا من أهل التوحيد بذنب غفر له».

و يعلق الهيثمى على الحديث قائلاً : فيه كثير بن مروان وهو ضعيف جداً.

ونحن لم نذكره إلا للاستئناس والاقتراب من معنى السواد الأعظم.

---

(١) ج٢ ص ١٣٢٢ حديث ٣٩٩٣ .

ويلاحظ أن الحديث يشير إلى أن الفرقة الناجية هى السواد الأعظم. أى الجزء الأكبر من الكل الجامع.

ثالثا: روايات تشير إلى أن الكل فى الجنة إلا واحدة حددت بالزنادقة:

ذكر الشعرانى فى الميزان حديث ابن النجار والذى صححه الحاكم وفيه يقول الرسول ﷺ : «ستفترق امتى على نيف وسبعين فرقة، كلها فى الجنة إلا واحدة»

وعند الديلمى : «الهالك منها واحدة».

وفى هامش الميزان ورد ما يلى : عن أنس عن النبى ﷺ : «تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة كلها فى الجنة إلا الزنادقة» .

وما فى هامش الميزان ذكره ابن حجر فى مسنده الفردوس

والقول بأنها فى الجنة أى يؤول امرها إلى الجنة لقوله تعالى : ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فهم مع دخولها لأى سبب لا يخلدون فيها لأن معهم شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ولنا وقفة قصيرة

أولاً : الروايات المختلفة لحديث افتراق الأمة بالزيادة والنقصان لم ترد فى أصح كتب السنة البخارى ومسلم. بل لم يرد عنها أى إشارة لا من قريب ولا من بعيد، ومع أهمية الأمر واتصاله بالعقائد، وقرب البخارى ومسلم إلى حد ما من عصر المبعث. ثم عدم وجود أى إشارة للحديث المذكور بأى رواية من رواياته. يدفع للساحة الفكرية بعلامات استفهام كثيرة.

ثانياً : لم يهتم ابن حزم الظاهرى وهو الحريص على ذكر النص الدينى من قرآن وسنة، والأخذ بظاهرها - فى كتابه الفصل - بحديث الافتراق وبخاصة ذلك الذى حدد الفرقة الناجية حيث قال [1] : ذكروا حديثاً عن رسول الله ﷺ : «إن القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة».

وحديثاً آخر : «تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة كلها فى النار حاشا واحدة فهى فى الجنة».

قال أبو محمد - أى ابن حزم - هذان حديثان لا يصحان اصلاً عن طريق الاسناد ،وما كان هكذا فليس حجة عند من يقول بخبر الواحد، فكيف من لا يقول به.

ثالثاً : يقول ابن الوزير فى كتابة العواصم والقواصم : إياك أن تغتر بزيادة كلها فى النار إلاواحدة، فإنها زيادة فاسدة، ولا يبعد أن تكون من دسيس الملاحدة» [2]

و فى هذا الإطار يقول محمد زاهر الكوثرى فى مقدمة لكتاب التبصير فى

(١) ج٣ ص ٢٣١ كتاب الإيمان ط مكتبة السلام العالمية بمصر.

(٢) راجع مقدمة الكوثرى لكتاب التبصير فى الدين لأبى المظفر الاسفراينى ص٤ ط ١ ١٩٤٠ بمصر.

الدين للاسفرايني : اختلف أهل العلم في ثبوت تلك الأحاديث - أي احاديث الافتراق - وعدم ثبوتها كلاً أو بعضاً .... والأجدر بالقبول عند من يرى صحة الحديث أن لا نتقدم بالحكم على مراد الرسول صلوات الله عليه بدون حجة ظاهرة - أى المراد بالفرقة الناجية - بل المتحتم أن تقول : إن الناجى هو من كان على ما عليه الصحابة رضى الله عنهم والسواد الأعظم من التمسك بما ثبت من الدين بالضرورة وأن الباقين على ضلال. وهو بهذا يبتعد عن التكفير للأخرين أو دخولهم النار خلوداً، فإن هم دخلوها فلضلالهم وابتعادهم عن الحق ومآلهم إن شاء الله تعالى هو الجنة.

رابعًا : هناك روايات متعددة للحديث ذكرت الافتراق، ولم تحدد أى الفرق تكون فى الجنة وأيها تكون فى النار، ذكرنا منها أربع روايات.

قال الترمذى عن إحداها حسن صحيح، وعلق المنذرى على حديث إبى داود فى ذلك بقوله حسن صحيح ،ونفس الحديث ذكر بالفاظ تختلف قليلاً، عند ابن حبان وعلق عليه بأنه حديث حسن.

وذكره الحاكم فى المستدرك وقال حديث صحيح على شرط مسلم.

والتعليق على بعض روايات الحديث والحكم عليها بالحسن والصحة، يجعلنا نطمئن لهذا البعض ونتريث فى تصنيف الفرق، والحكم عليها واحدة واحدة.

خامسًا : ذكر الترمذى حديث عبد الله بن عمرو، والذى قال فيه الرسول ﷺ : «كلها فى النار إلا واحدة» وحينما سئل عليه الصلاة والسلام عن من هى؟ قال : «ما أنا عليه وأصحابى».

وعلق الترمذى قائلاً : أنه حديث مفسر - أى مبين - غريب؛ لأن فى سنده عبد الرحمن بن زياد الافريقى وهو ضعيف.

وعلق غيره على «كلها فى النار إلا واحدة» مطالباً بعدم الالتفات لهذه الزيادة وواصفاً إياها بالفساد.

ومع الافتراض بأن الحديث صحيح بما فيه الزيادة المبينة للفرقة الناجية، فإن الرسول يحددها بقوله : «ما أنا عليه وأصحابى».

فلم يقل عليه الصلاة والسلام أنا وأصحابى، حتى نفهم أن النجاة مقصورة على شخصه ﷺ وعلى أصحابه، وعلى من يقولون ننتمى للأصحاب وللرسول ولتابعى الاصحاب والرسول ونحن أهل السنة والجماعة.

وإنما قال ﷺ : «ما أنا عليه وأصحابى» والعبارة بهذه الصورة تعنى ما كان على الصفة التى عليها الرسول ﷺ وأصحابه.

وهذه الصفة باختصار شديد، تعنى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره.

فكل من آمن بوجود الله، ووحده ،ووصفه بكل كمال ونزهه عن أى نقص وآمن بأن من مخلوقاته عز وجل ملائكة هم من نور لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأن الله انزل كتبًا كثيرة منها مالم يعلم بها أحدا، ومنها ما اعلمنا إياها، وأن آخرها الكتاب المهيمن القرآن الكريم.

وهذه الكتب تشتمل على العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق.

كما أرسل رسلاً ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر ٢٤) ، ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ (المؤمنون ٤٤) وكان أخر هؤلاء الرسول البشير النذير محمد بن عبد الله المرسل للإنس والجن رحمة للعالمين ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الانبياء ١٠٧) ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ (سبأ ٢٨) ، ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (الأحزاب ٤٠) ،

والإيمان باليـوم الآخـر ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾ (الزلزلة ٦ :٨) .

والإيمــان بــأن مــاشاء الله كـان ومالم يشأ لم يكن ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ ﴾ (القـمـر ٤٩) ، ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (الفرقان ٢) ، ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ (الواقعة ٦٠)

ومع الإيمان يكون الإسلام : شـهـادة أن لا إله إلا الله وأن محـمـداً رسـول الله واقـام الصـــلاة وإيتاء الزكاة ، وصـوم رمـضان وحج البيت إن توفرت الاستطاعة الجسمية والمادية .

ومع الإسلام اخلاص العبودية لله عز وجل وهو ما عبرعنه الحديث الشريف بالإحسان : «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» .

ومع الإيمان والإسلام والإحسان ، فإن الفرقة الناجية لا تحلل ما حرمه الله ، ولاتحرم ما أحله الله ، وتلتزم بكل أوامر الله ، وتبتعد عن نواهيه .

ولا يعنى الالتـزام عدم الوقوع فى الخطأ : صـغائر أو حتى كبائر ، فالإنسان ليس ملاكًا معصومًا وإنما كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون .

رفض حكم الله ، التعالى على حكم الله ، السخرية من حكم الله ، الاستهزاء بحكم الله والاصرار على الكبائر . هو الأمر الجد خطير الذى لا أقول يقرب الإنسان من الكفر وإنما أقول يوقعة فيه .

أما ما عدا ذلك فإن الله رحمن رحيم ، وحمته وسعت كل شىء ، فهو القائل : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ (الزمر ٥٣) ،وهو القائل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (النساء ٤٨) .

الفرقة الناجية لو اجتهدت وبالغت حتى فى التأويل، فإنها لا تصطدم باجتهادها وتأويلها مع أصل من أصول الدين،أو أى آية من القرآن الكريم،أوحديث شريف صحيح للرسول ﷺ ،ومرجعها فى فهم النصوص هو مفردات اللغة العربية التى هى لغة القرآن الكريم.

على ضوء هذا الكلام فإن الجماعة الناجية هى جل المسلمين، وأقول جل أى معظم المسلمين - أى السواد الأعظم منهم.

ولا أقول كل، لأن من الكل خرج جرء يدعى الإيمان بالله تعالى ولايعظمه، ولا يوحده، ولا يوقرة، ولا ينزهه عن الشريك، ويقول بتجسيمه وبحلوله فى خلقه أو اتحاده بهم، بل يقول بألوهيه على بن أبى طالب والحاكم بأمر الله الفاطمى .... إلخ.

ومن هذا الجزء من ينكر وجود الملائكة أو يقول بأن الملائكة هم الذين يفهمون المذهب، والشياطين هم الجاهلون بالمذهب والذى يؤمن منهم بالملائكة يخطئ جبريل عليه السلام، ويدعى أن جبريل أرسل إلى على بن أبى طالب بالرسالة إلا أنه أخطأ ، وذهب بها لمحمد. أو هو تعمد الخطأ بهذا الذهاب لأنه يكره عليًا.

ومن هذا الجزء من يقول بكتب كثيرة مقدسة، انزلت وستنزل بعد القرآن، فليس القرآن الكريم خاتمًا للكتب السماوية.

وإذا قال بالقرآن فإنه يؤولة تأويلاً يبتعد به كلية عن المفاهيم القرآنية الصحيحة.

وينكر كون الرسالة المحمدية خاتمه الرسالات السماوية ويقول بمجيء رسل كثيرين بعد محمد ﷺ .

وينكر اليوم الآخر ويقول بدنيوية الثواب والعقاب وتناسخ الأرواح.

ويخرج الصلاة والصوم والزكاة والحج عن مضامينها الصحيحة، حيث يفسرها تفسيرات تتناقض كلية مع القرآن الكريم والسنة المطهرة واللغة العربية.

واعتقد أن هذا الجزء الذى يقول بهذه الدعاوى وغيرها والتى تصطدم مع الإيمان والإسلام والإحسان وما علم من الدين بالضرورة.

هو المعنى من قول الرسول ﷺ إن صح الحديث: «كلها فى النار إلا واحدة» مثل السبأية والبيانية والغرابية والخطابية والقرامطة والباطنية [١] والبهائية والقاديانية [٢] والأزراقة [٣] واليزيدية ... إلخ.

فهى فرق تدعى الإسلام والإيمان، وكل ما تقول به وتعتقده يبتعد كلية عن الإسلام والإيمان بل عن أبسط مبادئ الإسلام والإيمان.

اكرر قول الرسول أن صح - مشيراً إلى الفرقة الناجية - بالقول: «ما أنا عليه وأصحابى» أى ما كان على الصفة التى عليها الرسول وأصحابه من إيمان وإسلام وإحسان والتزام بالأوامر وابتعاد عن النواهى، واختلاف مقبول يوسع ولا يضيق، يبشر ولا ينفر - يفتح أبواب رحمة الله ومغفرته ويدفع إليها بحنو ولين متمثلاً دائماً قول الله تعالى لنبيه: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله﴾.

واصحاب هذه الصفة هم الاعم الأغلب من المسلمين، هم السواد الاعظم كما

---

(١) راجع بعض ما ورد عن هذه الفرقة فى كتابنا هذا.
(٢) راجعها فى بحث لنا بنفس العنوان.
(٣) راجع الخوارج بين الامس واليوم للمؤلف.

يقول الحديث الذى ذكرناه قبل ذلك عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ ، أو ما ذكره الطبرانى فى الأوسط والكبير عن ابن ماجة عن رسول الله ﷺ .

وهذا السواد الأعظم هو ما عبر عنه الرسول ﷺ بالجماعة فى الحديث الذى ذكره ابن ماجة فى سننه عن أنس بن مالك وهو حديث صحيح كما يقول مخرجوه.

جماعة المسلمين المؤمنين الموحدين لاندخل النار، وإذا دخلتها عدلاً فلا خلود لها فيها.

هى تتحرك بنسب مختلفة فى دائرة «ما أنا عليه وأصحابى» ،أما الجماعة الأخرى المغالية - والتى اشرنا إلى بعضها - فاحسب أن مصيرها بعد الخروج عن الإسلام هو الخلود فى النار.

فى ضوء هذا الفهم،أحسب أن الشيعة الإمامية الاثنى عشرية والتى تمثل قرابة الربع من المسلمين لا تدخل تحت القول (كلها فى النار)

رغم اندراج البعض من معتقداتها تحت مفهومَ الغلو، كما سيظهر لنا فيما بعد من دراسة أفكارها ومعتقداتها، إلا أنه غلو مذهبى ومنهجى انبنى فى الاساس على التعصب، وتجهيل الآخر وتخطئته ، ورفض محاولة فهم أفكاره.

ويمكن إذا خلصت النوايا أن تناول الافكار والمعتقدات بروية وحسن نيه، وابتعاد كامل منذ البدء عن التبديع والتكفير وسوء الظن «والخطأ فى حسن الظن بالمسلم، أسلم من الصواب بالطعن فيه، فلو سكت إنسان عن لعن ابليس، أو لعن أبى جهل، أو من شئت من الاشرار طول عمره لم يضره السكوت ،ولو هفا هفوة بالطعن فى مسلم، بما هو برئ عند الله تعالى منه، فقد تعرض للهلاك، بل أكثر ما يعلم فى الناس لا يحل النطق به، لتعظيم الشرع الزجر عن الغيبة» [1]

---

(١) الاقتصاد فى الاعتقاد للغزالى ص ١٥٣ دار الكتب العلمية بيروت ط ١٩٨٣ أولى.

يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (الحجرات ١٢)، راب الصدع ، ونصح المسلم،وجمع الكلمة، والاعتصام الصحيح بدين الله ، والابتعاد عن التطرف والغلو هو أمل كل مسلم شيعى أو سنى أو خارجي.

ولهذا يجب تنمية نقاط الاتفاق، والترويج لها فى كل المحافل بعقلانية وجدية.

والعمل الجاد على التقليل قدر الطاقة من نقاط الاختلاف والتعامل بنية حسنة مع هذا التقليل أو التذويب أو التقريب بين المذاهب وبخاصة السنة والشيعة، وإذا كان المطلوب منا أن ندعو إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن كل مخالف للإسلام امتثالاً لقوله تعالى ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل ١٢٥).

ومنطلق الدعوة الصحيح ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة ٢٥٦) ، ﴿ إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ ﴾ (فاطر ٢٣) ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ ، ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ (القصص ٥٦). ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران ١٥٩).

إذا كان هذا هو المطلوب منا مع المخالف، فمن باب أولى دعوة شركائنا فى الإسلام والإيمان والإحسان بالتى هى أحسن وفتح باب التقارب والتصحيح للمسار بعيداً عن التكفير الذى هو آفة كل من هب ودب.يقول الإمام أبو حامد الغزالى : والذى ينبغى أن يميل المحصل إليه الاحتراز من التكفير ما وجد إليه

سبيلاً، فإن استباحة الدماء والاموال من المصلين إلى القبلة، المصرجين بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون عند الله من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم.[1]

وإذا كنا في النهاية نقول لمن يجحد دين الله ، ويستهزئ به ويسخر من تعاليمة :﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون ٦) ، فلنقل لبني جلدتنا، لمن يشهدون أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله ويصرون على بعض الغلو في الأفكار والمعتقدات لكم مذهبكم ولنا مذهبنا ولكم منهجكم ولنا منهجنا، والاختلاف في الرأى لا يفسد للود قضية والجامع لنا جميعًا هو الإسلام بعقائده وعباداته ومعاملاته واخلاقه التي تتسع للجميع.

سادسًا : وتبقى نقطة اخيرة وهي : ما المراد بثلاث وسبعين فرقة أو ملة؟ هل المراد تحقق هذا العدد بعينه بلا زيادة ولا نقصان؟ وفي زمن بعينه أم الزمن مفتوح إلى قيام الساعة؟ أم أن المراد هو التكثير فقط بحيث لا تقل الفرق عن ثلاث وسبعين ويمكن أن تزيد؟

ذهب البعض من كتاب الفرق ومنهم البغدادى في الفرق بين الفرق والإسفرايني في التبصير في الدين، والشهرستاني في الملل والنحل وغيرهم. إلى أن العدد مراد بعينه، وأن الافتراق قد حدث بالفعل واكتمل عدد الفرق في زمانهم إلى العدد المذكور. وهم إذ يقولون بهذا يحددون الفرق فرقة فرقة.

وهم بهذا التحديد يوقفون الافتراق عند زمانهم، ويبتعدون تمامًا عن واقع البشر، وواقع الأمة.

فعوامل الافتراق العامة موجودة في كل زمان ومكان من مثل اختلاف العقول، والطباع والبيئات والثقافات والميول والآمال والاهواء والتعميم والجرى

(١) الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٥٨ .

وراء ما يوافق الغرض والخضوع للتقاليد أو الرفض التام لها وسبق الوهم الذى يدفع إلي التسرع فى الاحكام وخضوع الإنسان لما يسميه فرانسيس بيكون الفيلسوف الإنجليزى لأوهام العقل وهى الجنس والسوق والمسرح والكهف [1].

وعوامل الافتراق الخاصة مثل اختلاف الرؤى فى فهم الآيات والاحاديث المتشابهات أى التى تحمل بحكم اللغة مفاهيم متعددة، واختلاط الأفكار والفلسفات الوافدة والمتعددة بالفكر الإسلامى، ودخول بعض من يخالف الإسلام فى الإسلام وقضية الإمامة هل هى بالنص أم بالشورى، وفى كل زمن يوجد اعداء للإسلام لا يريدون له أن يسود ولهذا يسخرون كل قواهم العقلية والمادية والاستخبارية لنشر أفكار شاذة بين المسلمين بنية تفريقهم وتشتيت قواهم وجعل كل همهم الدفاع عن أنفسهم.

ومع وجود العوامل السابقة فإن للجهل والفقر والتخلف المتفشى بين المسلمين دوره الاكيد فى نمو بذور الافتراق وتعدد الفرق.

إن دعوة محمد ﷺ عامة لكل البشر صالحة لكل زمان ومكان ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان ١) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سبأ ٢٨) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء ١٠٧).

ومع عالمية الدعوة وعموميتها واستمراريتها وبقاء البشر، ووجود عوامل الاختلاف الخارجية والداخلية سيكون هناك افتراق.

العدد إذا ليس مرادا بعينه ولم يتوقف الافتراق. وهذا معناه أن العدد لمجرد التكثير مثل قوله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ (الحاقة ٣٠-٣٣).

---

(١) راجع الأوهام فى كتاب نظرات فى المنطق الحديث للمؤلف.

وقد يفهم العدد أن الافتراق لا يقل عن الثلاث والسبعين وإن كان يزيد، وهذا هو المحقق بالفعل .

أو أن المراد بالثلاث والسبعين الفرق الامهات أو الفرق الكبيرة أو الفرق الأصول .

يقول الشيخ محمد زاهد الكوثرى فى مقدمة لكتاب (التبصير فى الدين لابى المظفر الاسفراينى) : اختلفوا فى المراد بالعدد المأثور ،أو الأمة هل هى امة الدعوة أم أمة الإجابة ؟ فمنهم من يقول إن العدد لمجرد التكثير أو أن العدد لا مفهوم له، فلا مانع من الزيادة على العدد المأثور وإن لم يجز النقص، أو أن القصد إلى اصول الفرق دون فروعها كما اشار إلى هذا وذاك الإمام فخر الدين الرازى فى كتابه فى الملل والنحل وإن سعى فى توهين الحديث فى تفسيره .

• • • •

[٢] الاختلافات ونشأة الفرق

أسباب عامة للاختلاف

الاختـلاف فى الرأى والتفـرق فى التـوجه من أهم السـمات التى يتميـز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات ،وهما من الأسباب الرئيسية فى نشأة الفرق .

والاختلاف والتفرق هما نتاج تفاوت العقول بين الأفراد فى القوة والضعف ، واختـلاف الطبـاع فى الحدة والخمول والأهـواء والرغبات ، والآمال والثـقافات ، والحس المرهف أو البـلادة ، وتعدد البيـئات مع تأثيـر البيئة الشديد على الفرد والجماعة فالإنسان ابن لبيئته ، وسيطرة القوة الروحية على البدن أو تغلب المادة على الروح . وانصيـاع الإنسـان لما يسميـة الإمـام الغزالى بالغلطات أو الأخطاء المعرفية ، يؤدى للكثير من الخلط والتضارب والتفرق .

ومن هذه الأخطاء التعميم ؛ حيث يحسب الإنسان أن ما يوافق غرضه فهو موافق لأغـراض الجمـيع ؛ وما يخالف غرضه فهو مخالف لأغراض الجميع . فشغفه بنفسه ، وحبه لذاته يدفعه إلى إلغاء الآخرين ، أو على الأقل إدراجهم فى الحب والكراهيـة ، والموافـقة والمخالفة لما يحبـه ويكرهه ويوافق غـرضه هو أو يخالفه . وهذا التعميم المرذول لا يعتمد على أى أساس سوى الأنانية وتضخيم الإنسان لذاته .

ومنها أن ما يوافق الغرض فى جل الأحوال لايكون أمرًا حسنًا ؛ إذ أن هناك حالات نادرة يكون الحسن فيها قبيحاً والقبيح حسنًا .فالصدق حسن والكذب قبيح ، إلا أن الأمر يختلف تماماً مع الأعداء ، فالغفلة عن الأحوال النادرة وقصور الاستقراء يوقعان فى الخطأ الذى بدوره يؤدى إلى الاختلاف .

وسبق الوهم أيضاً ربما يؤدى إلى التسرع فى الرفض أو اتخاذ الموقف المناقض ،

فمن لدغته حية ورآها متصورة فى صورة حبل ملون فإنه إذارأى بعد ذلك حبلا عاديًا فإنه يصاب بالفزع قبل أن يتبين الحقيقة أو يفكر فى أمره. يقول الغزالى: وهذا مع وضوحه للعقل فلا ينبغى أن يغفل عنه لأن إقدام الخلق وإحجامهم فى أقوالهم وعقائدهم وأفعالهم تابع لمثل هذه الأوهام. [1] وخضوع الإنسان لما يسميه فرانسيس بيكون بأوهام العقل، وهى وهم الجنس والكهف والسوق والمسرح [2]. وكذا الاقتراب أو الابتعاد من المعتقد الصحيح، ومحاولة السيطرة على البيئة وتأكيد الذات أو الذوبان فيها والخضوع لمتطلباتها.

• **الاختلاف المقبول**

والاختلاف مقبول - طالما ابتعد عن التصارع والتعصب الممقوت والتكفير والتطاحن والتقاتل - لأنه يكون سببًا فى استمرارية الحياة ووضوح الرؤية أمام الأفراد والجماعات والوصول للحقائق. ويكون أكثر قبولاً إذا كان فى الفروع؛ اى فى الفقه، لأن النتيجة ستكون التوسيع بالاجتهاد على الأفراد والجماعات، ودفعهم إلى التحرك فى دائرة التيسير لا التعسير والتبشيرلا التنفير.

والإسلام واضح فى دعوته بأن المجتهد المصيب له أجران والمجتهد المخطئ له أجر واحد، وهذا معناه أن الكل مأجور، لأنه يبين ما أحله الله، ويوضح ما حرمه الله، ويعبد الطريق أمام خلق الله، ولا ييئس من رحمته سبحانه القائل: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر٥٣). يقول البغدادى: إن المسلمين فيما اختلفوا فيه من فروع الحلال والحرام على قولين أحدهما: قول من يرى تصويب المجتهدين كلهم فى فروع الفقه، وفرق الفقه كلها عندهم مصيبون. والثانى قول

---

(١) الاقتصاد فى الاعتقاد ص١٤٣، تحقيق مصطفى أبو العلا، مكتبة الجندى. وانظر قضايا عقدية ص١٧ د. محمد الأنور.

(٢) انظر الأوهام المشار إليها فى كتابنا نظرات فى المنطق الحديث ومناهج البحث.

من يرى فى كل فرع تصويب واحد من المختلفين فيه وتخطئة الباقين من غير تضليل منه للمخطئ فيه . [١]

● **الاختلاف المرفوض**

هو المبنى على الحقد والكراهية والتعصب الممقوت ورفض الآخر ، وإرادة الشر به .

هو ذلك الذى يؤدى إلى التطاحن والتقاتل وتمزيق المجتمع والتضييق على أفراده بكل السبل ونشر الخوف بين الناس وإشاعة الفوضى وسخريه الكل من الكل وتنصت الكل على الكل .

ومن سماته فساد النية وظلمة القلب وانعدام الضمير وعمى العقل وإرادة البغى والحسد والافساد فى الأرض .

ومن أهم نتائجة التعسير لا التيسير والتنفير لا التبشيروإطلاق العنان للغرائز لتدمير كل جميل فى الوجود والابتعاد عن المعتقدات الصحيحة .

● **اختلافات فى نهاية عصر المبعث**

وقد حدثت اختلافات فى نهاية عصر المبعث لا تؤثر فى المعتقد ولم تكن سببًا فى التفرق منها على سبيل المثال :

١ - حينما لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى وانتشر الخبر بين الناس بأن محمداً قد مات ، دفع الحب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى عدم التصديق ، ورفع سيفه قائلاً : من قال إن محمداً قد مات قتلته بسيفى هذا . وحدث هرج ، قوم يصدقون وقوم ينكرون . وهدأ الصديق من روع ابن الخطاب ، وراح يردد بين الناس : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد إله محمد فإن إله محمد لم يمت ولن يموت ، وأخذ يردد قول الله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ

---

(١) الفرق بين الفرق ص٦ ، دار الأفاق الجديدة ، ط ١٩٧٣ .

إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ من قَبْله الرُّسُلُ أَفَإن مَّاتَ أَوْ قُتلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابكُمْ وَمَن يَنقَلبْ عَلَىٰ عَقبَيْه فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكرِينَ ﴾ (آل عمران ١٤٤) . وأفاق القوم من هول المفاجأة، واغرورقت عينا عمر بن الخطاب بالدموع وهو يسلم لقدرالله ويقول : كأنى ما سمعت هذه الآية حتى قرأها أبو بكر [١].

٢ - وحصل خلاف حول موضع دفنه ﷺ ، فأهل مكة يرون أن ثرى مكة أولى به ﷺ لأنه ابنها، ولد فيها وعاش طفولته وصباه وشبابه إلى أن بلغ الأربعين، وثلاثة عشر عامًا بعد المبعث على أرضها وفيها أهله. بينما يرى الأنصار أن دفنه فى دار هجرته ونصرته أولى. وذهب فريق ثالث إلى ضرورة دفنه ببيت المقدس، لأنه منه كان عروجه إلى السماء وفيه قبور الأنبياء. واستقر الرأى على دفنه فى المدينة تنفيذاً لقوله ﷺ : «الأنبياء يدفنون حيث يموتون»[٢].

٣ - واختلفوا فى أمر فدك، والتوارث عن النبى. وقد دفعت فاطمة الزهراء عن طلبها بالحديث المشهور عن الرسول ﷺ : «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» [٣].

---

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام، ٤ / ٢٢٤ ، يقول أبو هريرة : قال عمر والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها عقلت- أى دهشت - حتى وقعت إلى الأرض ما تحملنى رجلاى وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات.

(٢) ذكره السيوطى فى الخصائص الكبرى ٢ /٢٧٨ بلفظ (ما مات نبى إلا دفن حيث يقبض) عن أبى بكر.

(٣) ذكره أحمد بن حنبل فى مسنده ٣ / ٤ بلفظ (إنا لا نورث ما تركناه صدقة) عن مالك بن أنس، راجع الخلافات المذكورة وغيرها فى الفرق بين الفرق ص١٢ ، والملل والنحل للشهرستانى ١ / ٢١، مؤسسة الحلبى ، والعواصم من القواصم لابن العربى ص٦٠-٦٢ .
وفدك قرية بالمدينة المنورة كان بعض اليهود يسكنونها، ولما انهزم يهود خيبر خاف يهود فدك فسلموا نصف القرية للرسول دون قتال، فصارت خاصة له ينفق منها على نفسه وأهله وعلى المحتاجين من بنى هاشم ؛ لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب. وحسبت الزهراء بعد وفاة أبيها أن لها حقا فى فدك ولهذا طالبت بحقها. راجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤ / ٣٣٥ .

• اختلافات مؤثرة وأسباب خاصة فى نشأة الفرق

ثم هناك اختلافات ربما أثرت فى المعتقد وأدت إلى تفريق المسلمين، وبخاصة فى المنهج، منها على سبيل المثال :

١ - اختلافهم فى أمر الإمامة ، وهو اختلاف كاد يمزق وحدة المسلمين؛ حيث طالب الأنصار بأن تكون الإمارة مناصفة مع المهاجرين، وظهر من يطالب بأن يكون الأمير من أهل البيت ،وأولى أهل البيت على بن أبى طالب، وقالت قريش إن الإمامة لا تكون إلا فى قريش. وأذعنت الأنصار لهذا القول لما روى لهم قول النبى عليه السلام : «الأئمة من قريش»[1]. ومد عمر بن الخطاب يده مبايعًا لأبى بكر الصديق، وراح الناس يبايعونه، وانتهى الخلاف الذى حدث فى سقيفة بنى ساعدة [2].

إلا أنه لم ينته كلية بخصوص الإمامة، بل وجد من يقول إن الإمامة ركن من أركان الدين مثل الصلاة، وأنها تكون بالنص من الرسول، وأن الرسول ﷺ نص على إمامة على بن أبى طالب رضى الله عنه وولده من بعده، وأن الصديق وعمر وعثمان اغتصبوا حق على فى الإمامة. وغالوا كثيراً حينما قالوا بعصمة الأئمة ورجعتهم ومعرفتهم للغيب. وقد ناقشنا أقوال الشيعة هذه فى الصفحات التالية من هذا الكتاب.

ووجد من يرفض القول بالنص على الإمام، كما يرفض القول بعصمته ومعرفته للغيب وبتوارث الإمامة، وهم أهل السنة.

ووجد من يضيف للرفض السابق رفضًا آخر لا يحصر الإمامة فى قريش، ويرى أنها تكون فى قريش وفى غيرهم كما تكون بالانتخاب الحر، والقائلون بهذا هم الخوارج.

---

(١) ذكره مسلم فى صحيحه عن جابر بن سمرة بلفظ (كلهم من قريش).

(٢) راجع أحداث سقيفة بنى ساعدة فى السيرة النبوية لابن هشام ٤ / ٢٢٥ .

ومن جهة أخرى حدث تآمر على خليفة المسلمين الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه بدعوى أمور ارتكبها - سنوضحها فيما بعد فى الجزء الثانى الخاص بالخوارج- وانتهى التآمر باستشهاده وبويع على خليفة للمسلمين، لكن قوى خفية معارضة ألبت بعض الناس عليه، بدعوى فارغة وهى ضرورة القبض على قتلة عثمان والثأر منهم.وتداعت الأحداث لتأتى بموقعة الجمل وموقعة أسوأ منها فى صفين ومع استشهاد الآلاف من المسلمين كانت نتيجة أخرى وهى انقسام حاد بين الباقين؛ أتباع لعلى يسمون بالشيعة، وأتباع لمعاوية، ورافضون لعلى ومعاوية قائلون بكفرهما وكفر طلحة والزبير وعمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى والسيدة عائشة، وكثير من الصحابة، وهؤلاء هم الخوارج موضوع حديثنا بالتفصيل إن شاء الله فى الجزء الخاص بذلك.

ووجدت طائفة تتجنب المحاربين ولاتكفر أحداً،وترجئ أمر الجميع إلى الله سبحانه وتعالى فى الآخرة،وهم المرجئة.

٢ - ثم حدث فى زمن المتأخرين من الصحابة... خلاف القدرية فى القدر والاستطاعة من معبد الجهنى وغيلان الدمشقى والجعد بن درهم. وتبرأ منهم المتأخرون من الصحابة [1] وأوصوا أخلافهم بأن لا يسلموا على القدرية ولا يصلوا على جنائزهم ولا يعودوا مرضاهم ... ثم حدث فى أيام الحسن البصرى خلاف واصل بن عطاء فى القدر وفى المنزلة بين المنزلتين، وانضم إليه عمرو بن عبيد فى بدعته فطردهما الحسن من مجلسه، فاعتزلاه، فقيل لهماولأتباعهما معتزلة، لاعتزالهم قول الأمة فى دعواهما أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر [2].

---

(١) من أمثال عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وأبى هريرة وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك وعبد الله بن أبى أوفى وعقبة بن عامر وغيرهم.

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى ص١٤، الآفاق الجديدة بيروت ١٩٧٣ .

وتبنى المعتزلة فيما بعد فكرة نفى الصفات عن الله تعالى والقول بعدم رؤيته سبحانه وتعالى فى الدنيا والآخرة، والقول بخلق القرآن، والقول بالتحسين والتقبيح العقليين وأن كل ما حسنه العقل فقد أوجبه والقول بالصلاح والأصلح وبوجوب كل ما فيه مصلحة للعباد على الله سبحانه وتعالى مثل التمكين والإقدار واللطف والأعواض. وقد غالوا فى القول بالقدر وأن الإنسان يخلق أفعاله الاختيارية كما غالوا فى تقديم العقل على النص وفى التأويل. وعلى وجه العموم فلهم أصولهم الخمسة التى اجتمعوا عليها، هى : التوحيد [1] والعدل [2] والوعيد [3] والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. ولهم منهجهم والذى يعتمد فى الدرجة الأولى على العقل، أما النقل فإن كان قرآناً ووافق ما جاء به العقل فنعم ، وإلا أولوه بما يوافق العقل، وإن كان حديثًا شريفًا وعجزوا عن تأويله فإنهم يحكمون بضعفه.

٣ - وفى الكوفة التقى جهم بن صفوان بالجعد بن درهم وأخذ عنه القول بخلق القرآن ونفى الصفات القديمة عن ذات الله سبحانه وتعالى، وراح يردد بأن الجنة والنار ليستا مخلوقتين الآن، وأن الإيمان هو معرفة بالله تعالى فقط، فمن عرفه فهو مؤمن ومن لم يعرفه فهو كافر، ومن أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده لأن العلم والمعرفة لا يزولان بالجحد فهو مؤمن.[4]

وكرد فعل معاكس لما يقول به المعتزلة بأن الإنسان خالق لأفعاله الاختيارية

---

(١) ويعنون به أن أخص وصف لله تعالى هو القدم، فلا قديم سوى ذاته. فهو عالم بذاته قادر بذاته، مريد بذاته ...إلخ، وليست له صفات قديمة، لأن وصفه بصفات قديمة فى رأيهم يؤدى إلى تعدد القدماء.

(٢) والعدل فى رأيهم لا يتحقق إلا بأن يكون الإنسان خالقا لأفعاله من خير أو شر، ولهذا يكون حسابه وتكون مسئوليته أمام الله. أما إذا لم يكن خالقاً لأفعاله الاختيارية فمن الظلم حسابه ومن العدل ألا يفعل الله إلا ما فيه صلاح العباد، فإن أصابهم بمكروه فيجب عليه من ناحية الحكمة أن يعوضهم.

(٣) ويعنون بالوعد والوعيد استحقاق المؤمن وجوبا للثواب واستحقاق العاصى وجوباً للعقاب. لمعرفة كل ما يتصل بهذه الأصول. راجع شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار المعتزلى.

(٤) الملل والنحل للشهرستانى ١ ٨٨ .

قال جهم والجهمية بأن الإنسان مجبور على أفعاله الاختيارية، وتنسب إليه الأفعال مجازاً، وما الإنسان فى الحقيقة إلا كريشة معلقة فى الهواء تذروها الرياح كيف شاءت.

تعرفنا على بعض صور الاختلاف والتفرق والتى كان لها دور رئيسى فى نشأة الفرق وتأجيج الصراع بينها. وهناك أسباب أخرى أوجدت الاختلاف والتفرق، ومن ثم الفرق، منها على سبيل المثال :

٤ - وجود الآيات المتشابهات، أى التى تحتمل معانى متعددة حيث يقول سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران ٧). ومن أمثله هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ (طه ٥)،وقوله تعالى : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (الفتح ١٠) وقوله تعالى : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ (طه ٣٩) وقوله تعالى : ﴿ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ (الزمر ٥٦) وقوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن ٢٧)، وقوله تعالى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ (المائدة ١١٦).

وهناك أحاديث متشابهة من أمثلتها قوله ﷺ : «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» [١] ،ويقول عليه السلام : «إن قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن» [٢] ، ويقول ﷺ فيما يرويه عن ربه : «أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه

(١) ذكره أحمد بن حنبل فى مسنده عن أبى موسى الأشعرى ٤ / ٣٩٥ .

(٢) ذكره مسلم فى صحيحه عن عمرو بن العاص ك القدر باب تصريف الله تعالى القلوب ج٢.

إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ،وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ، وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعًا تقربت إليه باعا وإن أتانى يمشى أتيته هرولة» [١] ،وفى حديث آخر يرويه الرسول ﷺ عن ربه يقول : «من عادى لى وليا فقد أذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لاعيذنه» [٢] وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السموات بيمينه ،ثم يقول أنا الملك» [٣] .

لقد اختلف المسلمون فى فهمهم لهذه الآيات والأحاديث الشريفة ، حيث لجأ بعضهم للتأويل ، ولجأ الآخر للأخذ بظاهر النص ، بينما آمن البعض بما ورد فى الآيات مع تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الشبيه والمثل ووقفوا عند قوله ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ أما الراسخون فى العلم فيقولون ﴿آمنا به كل من عند ربنا ﴾ .

فالمعتزلة والشيعة أخضعوا النص للعقل وبالغوا فى تأويله . والمشبهة سلموا بظاهر النص وإن أدى للتشبيه . يقول البغدادى : زعمت المشبهة أن يد الله تعالى جارحتان وعضوان فيهما كفان وأصابع ... كما زعمت أن استواء الله تعالى على العرش بمعنى كونه مماسا لعرشه من فوقه وأبدلت الكرامية لفظ المماسة بالملاقاة» [٤]

---

(١) ذكره البخارى فى صحيحه ، ك التوحيد ، عن أبى هريرة ، دار إحياء الكتب العربية .
(٢) ذكره البخارى فى صحيحه باب التواضع عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ .
(٣) ذكره البخارى فى صحيحه ك التوحيد .
(٤) أصول الدين ص ١٠٠ .

والسلف وكذا أبو حنيفة أثبتوا لله تعالى ما ذكره القرآن أو السنة من وجه ويد ونفس وعين ومجئ واستواء... إلخ مع تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الشبيه والمثيل ﴿ليس كمثلة شيء وهو السميع البصير﴾ (الشورى ١١) ، وتحركوا وهم يؤمنون بقول مالك بن أنس الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب.

أما الأشاعرة فكان إيمانهم أن هذه الألفاظ مجازات عن معان ظاهره. يقول الشيخ زاده : ذهب مشايخ الحنفية إلى أن إثبات اليد والوجه وغيرهما له تعالى حق، لكنه معلوم بأصله ومجهول بوصفه ولا يجوز إبطال الأصل بالعجز عن درك الوصف. وذهب مشايخ الأشاعرة إلى أنها مجازات عن معاني ظاهرة، فاليد مجاز عن القدرة، والوجه مجاز عن الوجود ... إلخ [١]

ويذهب أبو المعين النسفى الماتريدى إلى القول : بأن اللغة العربية ثرية بالمعاني، كما أن بها الاستعارة والكناية والتشبيه ... إلخ، ولهذا يجب صرف هذه الآيات والأخبار إلى مايحتمل من الوجوه التى لا تناقض دلائل التوحيد والآيات المحكمة. ثم ما كان لا يحتمل سوى الظاهر قطعوا على كونه مراد الله، ومايحتمل من ذلك تأويلات كثيرة... لم يقطعوا على واحد منها بكونه مراد الله تعالى، عند انعدام الدليل الموجب للعلم، وقالوا نعلم إن المراد بعض تلك الوجوه لاالظاهر. فاليد تذكر ويراد بها القوة والقدرة والسلطة والحجة والغلبة والعز والغنى والكف والجارحة، فيضاف إلى الله تعالى ما لا يناقض التوحيد [٢]. وهكذا فى كل آية من الآيات المتشابهات أو الأحاديث المتشابهة.

٥ -ويتصل بالنقطة السابقة سبب آخر، وهو اعتماد البعض على الأحاديث

(١) نظم الفرائد، ص ٢٣ .

(٢) تبصرة الأدلة ١ / ٥٣٠ ، د. محمد الأنور.

الواهية، والتجرؤ على وضع الأحاديث المكذوبة [١] على رسول الله ﷺ ، وبناء المواقف عليها، والتمسك بها، والعمل على نشرها، والادعاء بصحتها؛ وهذا الأمر واضح عند بعض الشيعة الذين يصرون على القول بأن الإمامة تكون بالنص، وأن الرسول ﷺ نص على إمامة على بن أبى طالب .

كما يتصل بها رد البعض للأحاديث الشريفة التى لا تتوافق مع ميوله ورغباته، بدعوى أنها أحاديث تخالف العقول وهذا شأن من يقدم العقل على النص، ويبالغ فى إعطاء العقل مساحة أكثر مما يستحقها فى التعامل مع الشاهد والغائب.

ويتصل بها أيضاً من يسارع برفض أحاديث الآحاد مطلقا، والاقتصار على ما يستحسنه العقل من فهم للقرآن دون غيره، أو يقول إن القرآن هو مصدر الإسلام لاغير. ويتناسى بقوله هذا قول الله تعالى : ﴿ ما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا ﴾ ، وقول الرسول ﷺ فى حديث طويل : «فمن رغب عن سنتى فليس منى»[٢].

يقول الشاطبى سمى أهل البدع أهل الأهواء لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقاد إليها ،والتعويل عليها حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدواعلى آرائهم ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورا فيها من وراء ذلك .وأكثر هؤلاء هم أهل التحسين والتقبيح، ومن مال إلى الفلاسفة

---

(١) من هذه الأحاديث ما يرويه ابن بابويه الشيعى بإسناد إلى الصحابى الجليل عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «أيها الناس إن عليا إمامكم من بعدى خليفتى عليكم - هكذا صريح اللفظ وكأن ابن بابويه بهذه الرواية المكذوبة يتهم الصحابة بالأخص الصديق وعمر وعثمان بعدم طاعة الرسول فيما قال لعلى - وهو وصيى ووزيرى وأخى وناصرى... من أنكره قد أنكرنى ومن أنكرنى فقد أنكر الله عز وجل ... أيها الناس من اختارمنكم على علىَّ إماماً فقد اختار علىَّ نبياً فقد اختار على الله ربا»، راجع على فى القرآن والسنة ١ / ٣٢ ، محمد على أسبر،

(٢) ذكره مسلم عن أنس ك النكاح ج١ .

وغيرهم، ويدخل فى غمارهم من كان منهم يخشى السلاطين لنيل ما عندهم أو طلبا للرياسة، فلابد أن يميل مع الناس بهواهم، ويتأول عليهم فيما أرادوا[١].

٦ - ومن أسباب التفرق دخول بعض أهل الديانات الأخرى سماوية أو غير سماوية مثل اليهود والنصارى والمجوس الإسلام. ومن هؤلاء من كان مخلصاً فى دخوله، صادقاً فى إسلامه، إلا أنه كان مثقلاً بمعتقدات وأفكار تتصل بدينه السابق، وبيئته التى كان يعيش فيها، وهذه بدورها اختلطت بالأفكار والمعتقدات الإسلامية؛ إذ أن الداخلين كانوا يفكرون فى الحقائق الإسلامية على ضوء اعتقاداتهم القديمة. وقد أثاروا بين المسلمين ما كان يثار فى ديانتهم من الكلام فى الجبر والاختيار، وصفات الله تعالى، أهى شىء غير الذات أم هى والذات شىء واحد[٢].

ومنهم من دخل الإسلام فى الظاهر وأراد بدخوله ضرب المعتقد الإسلامى والتفريق بين المسلمين، وإدخال بعض المعتقدات التى لا صلة لها بالإسلام فيه، مثل القول بعصمة الأئمة، والقول بالتناسخ والقول بالرجعة والحلول والاتحاد والقول بالبداء على الله تعالى.

٧ - ومن القيم العليا التى حرص الإسلام على بثها فى النفوس أن الناس سواسية، وأنهم جميعًا أبناء آدم وحواء، وأنه لا فرق بين فرد وآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح، وأن المطلوب هو التعارف والتآلف والتسامح والتحاب والتعاون على البر والتقوى. يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات ١٣). والرسول ﷺ يقول فى خطبة الوداع: «أيها الناس إن الله تعالى أذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالآباء كلكم لآدم وآدم من تراب ليس لعربى على أعجمى فضل إلا بالتقوى».

---

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبى، الاعتصام ٢ / ١٧٦، دار إحياء الكتب العربية.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ أبى زهرة ١ / ١٣.

وهو ﷺ ينهى عن الخروج على الجماعة وعن العصبية القبلية حيث يقول : «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة الجاهلية ومن قائل تحت راية عمية ضلالة يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية. ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولايتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه» [1] . ولهذا حرص الرسول ﷺ بعد ذهابه إلى المدينة على إزالة الصراع بين الأوس والخزرج، كما آخى بين المهاجرين والأنصار.

و مع حرص الإسلام الشديد على تثبيت الإخاء والتسامح والحب إلا أن العصبية القبلية كانت تطل برأسها مهددة بآثار وخيمة ما بين آونة وأخرى. ففي غزوة بني المصطلق كادت تحدث مقتلة شديدة بين المهاجرين والأنصار سببها أن رجلاً من المهاجرين ضرب رجلاً من الأنصار على ظهره فكان بينهما قتال إلى أن صرخ الأنصاري يا معشر الأنصار، وصرخ المهاجر يا معشر المهاجرين، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال ﷺ : «دعوها فإنها منتنة»[2] . وفي عصبية جاهلية يأتي الرجل ليلمز الرسول ﷺ ويقول له : اعدل يا محمد فيقول له الرسول : «ويلك من يعدل إذا لم أكن أعدل، لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل»[3].

وفي سقيفة بني ساعدة اجتمعت الأنصار بعد وفاة الرسول ﷺ وأرادوا عقد الإمامة لسعد بن عبادة ... وحينما علموا من أبي بكر أن الرسول ﷺ قال : «الإمامة من قريش» انقادوا للحق بعد أن كانوا يقولون للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير وبعد أن جرد الحباب بن المنذر سيفه وقال : أنا جذيلها المحكك

---

(١) ذكره مسلم في صحيحة عن ابي هريرة ج٢ ،ك الإمارة ، باب الأمر بلزوم الجماعة وفي حديث آخر في نفس الباب إضافة : (ومن خرج من أمتي على أمتي يضرب برها وفاجرها فليس مني).

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري ، م ١٢، ٢٨ / ٧٢ ، دار الحديث ١٩٨٧ .

(٣) ذكره مسلم في صحيحه، ج ١، باب الخوارج وصفاتهم عن جابر بن عبد الله .

وعذيقها المرجب [١] من يبارزني ؟ وبعد أن قام قيس بن سعد بنصرة أبيه سعد ابن عبادة [٢] فلولا ما نقله أبو بكر عن الرسول لأدت عصبية القوم إلى رفع السيوف.

وفي بداية خلافة أبي بكر منعت بعض القبائل الزكاة بحجة أنها كانت تدفع لمحمد ﷺ، وقد مات عليه السلام وترى أن الاستمرار في دفعها إعلاء لشأن الصديق وعصبيتهم لاتريد ذلك.

يقول الشيخ أبو زهرة : وقد اختفت العصبية في عصر النبي ﷺ بهذه البينات الواضحات واستمر اختفاؤها إلى عصر الشهيد عثمان بن عفان ثم انبعثت في آخر عهده قوية لجبة عنيفة، وكان انبعاثها له أثره في الاختلاف بين الأمويين والهاشميين أولاً، ثم الاختلاف بين الخوارج وغيرهم. فقد كانت القبائل التي انتشر فيها مذهب الخوارج من القبائل الربعية لا من القبائل المضرية، والنزاع بين الربعيين والمضريين معروف في العصر الجاهلي [٣].

٨ - وللتقليد الأعمى، وللتمسك بالعادات وما كان عليه الآباء مطلقاً وتقديس الشيوخ مع أقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم دون تمحيص مع أن الشيوخ كغيرهم من البشر عرضة للسهو والخطأ والنسيان والعصمة فقط لله ولرسوله ﷺ من العوامل الهامة في نشأة الافتراق. لأن كل مقلد لشيخ يتعصب له ولفكره، وربما يدفعه التقليد إلى معاداة الغير وأقول مقلد لأنني أعلم أن من لا شيخ له فشيخه الشيطان، فالشيخ بالاحترام والحب والوعي يربي ويقود ويبني أمة عالمة قوية. وبالتقديس له والقول بعصمته والسير وراءه بلا وعي لا ينتج إلا مخلوقات ممسوخة لا تصلح للاستخلاف في الأرض.

(١) هذا مثل يضربه من يعتمد على رأيه ويصر عليه.
(٢) مقالات الإسلاميين للأشعري ،١ / ١٢ .
(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية ١ / ١٢ .

٩ - وإذاكانت الفرق قد نشأت فى الماضى البعيد، فإن بعض أفكارها مازالت تعيش بيننا، مؤثرة فى وحدة أمتنا، عاملة على إضعاف قوانا، وتشتيت مواردنا، وبث الخوف فى كل جنبات حياتنا. والأفكار تظهر تحت أسماء فرقها القديمة تارة، وتارة أخرى تحت تسميات جديدة.

وبعض عوامل نشأة الفرق فى الماضى البعيد موجودة الآن بالإضافة إلى وجود عوامل جديدة تكرس الفرقة، وتشعل نيران العداوة والكراهية، وتزلزل الطريق من تحت الأقدام.

من هذه العوامل الجديدة ما هو خارجى، ويتمثل فى الحرب السرية والمعلنة التى تشنها قوى الإمبريالية العالمية بالتعاون مع الصهيونية على الإسلام والمسلمين. وعوامل داخلية، تتمثل فى البطالة، والجهل، والأنامالية، وضعف الوازع الدينى فى القلوب والتباهى بالخروج على كل جميل من القيم، والارتماء فى أحضان المادة، وفقدان روح الألفة والتعاون والمحبة.

أقول ساعدت العوامل السابقة وغيرها على دفع البعض فى حاضرنا إلى الغلو والتطرف، والظهور فى ثوب المنقذ الذى لا يرى خلاصاً لمشاكل المجتمعات الإسلامية إلافى تمزيق وحدتها، ورميها بالكفر، وقتل أبنائها، وتدمير اقتصادياتها، وسلبها أمنها وأمانها. والخلاص بهذه الصورة هو تدمير لكل مقومات إنسانية الإنسان ودفع للأمة الإسلامية إلى مهاوى التهلكة.

الخلاص بهذه الصورة يرفضه الإسلام الذى يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ (الأنعام ١٥٩)، ويقول : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (آل عمران ١٠٣) ، ويقول : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (الأنفال ٤٦) ، ويقول :﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

(المائدة ٢) ، ويقول : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (الأنعام ١٥٣) .

وعن جابر رض يالله عنه يقول رسول الإسلام محمد ﷺ : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» [١] ، وعن ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال : «أيما امرؤ قال لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت إليه» [٢] وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» [٣] ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا» [٤] .

• الاشاعرة والماتريدية وبعض الاختلافات

وبعيداً عن عصر المبعث بثلاثة قرون ونيف وجد أبو الحسن الأشعرى فى البصرة ، وأبو منصور الماتريدى فى بلاد ما وراء النهر ، واتفقا وأتباعهما فى كثير من الأقوال مع ما يقوله السلف ، وبخاصة قدم الذات العلية واتصافه تعالى بكل كمال يليق بذاته وتنزهه عن أى نقص ، وجواز رؤية الله تعالى فى الدنيا ، وتحقق الرؤية للمؤمنين فى الآخرة . ومع الاتفاق حدث اختلاف فيما بينهما فى أمور من أهمها .

أ - القول بأن صفات الأفعال كالتخليق والترزيق والإعطاء والمنع وصفات حادثة وهذا قول الأشاعرة .

بينما يذهب الماتريدية إلى أن صفات الذات وصفات الفعل قديمة ، وأن صفات الأفعال ترجع إلى صفة رئيسية وهى صفة التكوين المأخوذة من قوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (يس ٨٢) ، يقول أبو المعين النسفى الماتريدى : إن التكوين صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى

---

(١) ذكره مسلم فى صحيحه ك الإيمان ج١ .
(٢) ذكره مسلم فى صحيحه ك الإيمان ج١ .
(٣) ذكره مسلم فى صحيحه ك الإيمان ج١ .
(٤) ذكره مسلم فى صحيحه ك الإيمان ج١ .

كصفة العلم والقدرة والسمع والبصر، فكان التكوين أزليًا والمكون حادثاً كالقدرة كانت أزلية والمقدور حادثا، وكذا الإرادة والمراد» [١]

وقد ترتب على قول الماتريدية بقدم صفة التكوين القول بأن صفة القدرة ليست صفة تأثير وإنما يصح لمن اتصف بها الإيجاد والإعدام، أما التأثير الفعلى بمعنى الإيجاد والإعدام فمرجعه إلى صفة التكوين.

وقال الأشاعرة إن صفة القدرةهى التى تؤثر فى المقدورات عند تعلقها بها،أى أن الإيجاد والإعدام الفعلى مرجعه إليها أما التكوين فهو من متعلقات القدرة.

ب - واختلفا فى الإجابة على هذا السؤال : الإيمان بالله تعالى هل يوجبه العقل قبل ورود الشرع؟ قال الماتريدية نعم، إذا لم يبعث الله للناس رسولاً لوجب عليهم بعقولهم معرفة، وجوده واتصافه بكل كمال وتنزهه عن أى نقص، وإفراده تعالى بالوحدانية فى الذات والصفات والأفعال، والتصديق القلبى به. بينما قال الأشاعرة إن العقل لا يوجب إيمانا بالله قبل ورود الشرع. وهذا يعنى أن من لم تبلغه رسالة الرسل بأى وسيلة فهو معذورعند الاشاعرة لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (الإسراء ١٥) أماعند الماتريدية فلا عذر له لوجود عقله معه الذى يلزمه بمعرفة الله والإيمان به. يقول شيخ زاده : ذهب جمهور مشايخ الحنفية إلى أنه تعالى لو لم يبعث للناس رسولاً لوجب عليهم بعقولهم معرفة وجوده تعالى... وذهب مشايخ الأشاعرة إلى أنه لا يجب إيمان ولايحرم كفر قبل البعثة، فيعذر الناشئ فى شاهق الذى لم تبلغه الدعوة [٢].

جـ - واختلفا فى هل كل ما يريده الله سبحانه وتعالى يحبه ورضاه قال الماتريدية لا الإرادة لا تستلزم الرضا والمحبة لقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ

(١) تبصرة الأدلة ١ / ٣٣٩، تحقيق د.محمد الأنور.

(٢) نظم الفرائد، ص٣٥ لعبد الرحيم بن على الشهير بشيخ زاده ط ١٣١٧هـ، مصر.

الْفَسَادَ ﴾ (البقرة ٢٠٥) فقد حدث الكفر من الكافر، والفساد من المفسد دون أن يرضاهما الله ويحبهما، ومع هذا فقد حدثا بإرادته، فقد أراد الكفر للكافر والفساد للمفسد. بينما قال الأشاعرة إن الإرادة تستلزم الرضا والمحبة أما قوله: ﴿ وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ (الزمر٧)، أى لا يرضاه دينا لعباده المؤمنين وإن كان أراده وأحبه ورضيه للكفار.

د - واختلفا فى تحديد المراد بالقضاء والقدر، حيث قال الماتريدية بأن القدر هو تحديد الله للأشياء أزلاً بحدودها التى ستوجد بها من زمان ومكان وحسن وقبح ونفع وضر... إلخ، أما القضاء فمعناه الإيجاد الفعلى للأشياء مع زيادة إحكام لقوله تعالى: ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾ (فصلت ١٢) أى خلقهن على وجه الإحكام والاتقان [١].

بينما قال الأشاعرة إن القضاء هو إرادة الله تعالى الأزلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الإرادة بالأشياء فى أوقاتها المخصوصة [٢].

هـ - واختلفا فى تكليف الله لعباده بما لا يطاق حيث يقول الماتريدية لا يجوز لقوله تعالي: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (البقرة ٢٨٦)، ولأن التكليف يتصور فى أمر إذا أتى به المكلف يثاب عليه وإذا لم يأت به يعاقب لخروجه عن الأمر الإلهى. وهذا لا يكون إلا فى الأمر الذى يمكن الإتيان به، وما لا يطاق هو مستحيل الإتيان به. بينما قال الأشاعرة يجوز أن يكلف سبحانه عباده بما لا يطيقون لأنه سبحانه: ﴿ لايسأل عما يفعل وهم

---

(١) يقول أبو المعين النسفى إن القضاء يذكر ويراد به الفعل.. والمراد من قولنا الطاعات والمعاصى كلها بقضاء الله تعالى أى بخلقه وتكوينه.. وأما القدر فهو على وجهين: أحدهما الحد الذى يخرج عليه الشئ وهو جعل كل شىء على ما هو عليه من خير أو شر، من حسن أو قبح. والثانى بيان ما يقع عليه كل شىء من زمان ومكان، وماله من الثواب والعقاب. تبصرة الأدلة ٢ / ٧٦٤. تحقيق د. محمد الأنور حامد.

(٢) نظم الفرائد لشيخ زادة ص ٢١.

يسألون ﴾ ولأنه سبحانه يتصرف فى ملكه ولا يقبح منه شيء . ولأنا لو قلنا يستحيل التكليف بما لا يطاق لكان لا معنى للدعاء فى قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ (البقرة ٢٨٦) . وقد طلب سبحانه وتعالى من الملائكة أن ينبئوه بأسماء الأشياء وهو يعلم أنهم لايستطيعون، فقد كلفهم إذا بما لا طاقة لهم عليه، والله سبحانه منزه عن العبث ، وهذا يعنى أن التكليف بما لايطاق جائز يقول الجوينى : تكليف مالا يطاق تكثر صوره،فمن صوره تكليف جمع الضدين - أى المحال لذاته- وإيقاع ما يخرج عن قبيل المقدورات - أى المحال فى العادة - والصحيح عندنا أن ذلك جائز .[1]

و - وعن لزوم الحكمة فى أفعاله تعالى قال الماتريدية إن أفعاله سبحانه تترتب عليها الحكمة على سبيل اللزوم تفضلاً لا وجوبا. بينما قال الأشاعرة إن ترتيب الحكمة فى أفعاله يكون على سبيل الجواز، فالفعل الإلهى من الجائز أن يكون لحكمة، ومن الجائز أن يكون لا لحكمه،لأن أفعاله سبحانه لاتعلل بالأغراض.

ز - وعن تخلف الوعد والوعيد قال الماتريدية بامتناعهما لأن التخلف يتنافى مع عدله وحكمته، بينما قال الأشاعرة بجواز تخلف الوعيد دون الوعد لأن الوعيد حقه والوعد حق العباد.

ح - وعن الحسن والقبيح العقليين فى الأفعال التى يمدح عليها الإنسان فى الدنيا ويثاب عليها فى الآخرة أو يذم فى الدنيا ويعاقب فى الآخرة، قال الماتريدية بأن العقل يدرك حسن أو قبح بعض الأشياء.

بينما قالت الأشاعرة إن العقل لا يدرك إلا ما كان صفة كمال أو صفة نقص، أو كان موافقاً للغرض أو مخالفاً للغرض. أما فى المعنى الثالث المذكور فى أول

---

(١) الارشاد لإمام الحرمين الجوينى ص ٢٢٦، تحقيق محمد يوسف موسى ط الخانجى ١٩٩٥ .

الكلام ، فإن الذى يحسن أو يقبح هو الشرع، فما أمر به الشرع فهو حسن وما نهى عنه الشرع فهو قبيح.

وما ذكرناه هو بعض نقاط الاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية ،ومع أن كل فرقة من الفرقتين انضوت تحت اسم وفكر ومنهج خاص، إلا أنهما ابتعدتا عن التطرف والغلو وكانت الموضوعية هى أساس تحركهما، ولهذا خلت ساحتهما من ا لسب والتطاول والاستهجان والتحقير والتعصب والتكفير وهى رذائل طفت على السطح فى الماضى البعيد بين أوساط فرق عدة من أظهرها الشيعة والخوارج. وتطفو على السطح فى حاضر الأمة الإسلامية كلما سنحت الظروف بذلك .والظروف فى الغالب يصنعها الجهل والقهر واتباع الهوى، كما تصنعها قوى خفية معادية للإسلام والمسلمين، وفى مقدمتها الصهيونية والإمبريالية العالمية وقوى الالحاد والبغى.

• • • •

البحث الأول
الشيعة

• الشيعة فى اللغة :

هم الجماعة من البشر يتابع بعضها بعضا ، والشيعة بمعنى الفرقة التى تخضع لمفهوم واحد وتسير على منهج واحد .

وهم الأنصار والأعوان والاتباع والمؤيدون . نقول شيعة الرجل أى : مؤيدوه ومناصروه وأعوانه ، ونقول شيعة المرأة أى : أنصارها وأعوانها ومؤيدوها ، وكذلك شيعة القوم أى : أنصارهم وأعوانهم . واللفظ كما لاحظت يقع على الواحد والاثنين والجماعة والمذكر والمؤنث .

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ (الصافات ٨٣) ، ويقول عز وجل : ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ (القصص ١٥) من شيعته أى أنصاره وأعوانه ومؤيديه .

ويقول سبحانه : ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾ (مريم ٦٩) - أى من كل فرقة .

ويقول : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ (الأنعام ٦٥) - أى فرقا - ويقول : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر ٥١) أى أنصاركم ومن كان على منهجكم ورأيكم .

ويقول ابن منظور : الشيعة القوم الذين يجتمعون علي الأمر . . . والشيعة اتباع الرجل وانصاره وجمعها شيع وأشياع جمع الجمع . . . ويقع على الواحد

والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد وقد غلب هذا الاسم على من يتولى علياً وأهل بيته حتى صار لهم اسماً خاصاً فإذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه منهم وفى مذهب الشيعة أى عندهم [١].

● أما فى الاصطلاح :

فإن أبا الحسن الأشعرى المتوفى سنة ٣٢٤هـ يذكر أن كل من شايع عليًا رضى الله عنه أى ناصرة وأيده وتبعه وقدمه على أبى بكر وعمر وعثمان بل على سائر الصحابه فهو شيعى.

وإنما قيل لهم شيعة لأنهم شايعوا عليًا رضوان الله عليه ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ [٢].

وأهل السنة يناصرون ويؤيدون ويتبعون علياً رضى الله عنه باعتباره الخليفة الرابع بعد رسول الله ﷺ ، وباعتباره يطبق كل ما جاء فى القرآن الكريم والسنة المطهرة، ويرضى عن قناعة وإيمان بخلافة أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم. لكنهم - أهل السنة - لا يقدمونه على سائر الصحابة وبخاصة الخلفاء قبله.

ويضيف ابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦هـ فى تعريفه للشيعة قيدين آخرين هما : أحقيته بالامامة من الخلفاء السابقين عليه، ثم ولده من بعده. فليس بأفضل من سائر الصحابة ومقدم عليهم فقط بل هو الأحق بالخلافة من غيره ثم ولده من بعده.

يقول : من وافق فى أن عليًا رضى الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعى . [٣].

ويذكر الشهرستانى المتوفى سنة ٥٤٨هـ تعريفاً للشيعة يتضمن العناصر التالية :

---

(١) لسان العرب مادة شيع.

(٢) مقالات الإسلاميين ١ / ٦٥ ط القاهرة ١٩٥٠، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد.

(٣) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج٤ .

أ - القول بالمناصرة والمتابعة لعلىّ رضى الله عنه على الخصوص.

ب - النص من الرسول ﷺ والوصاية منه على الخليفة والإمام بعده هو على رضى الله عنه.

جـ - الإمامة بعد علىّ لأولاده.

د - لا يجوز أن تخرج الإمامة أو الخلافة من أولاده إلا نتيجة لظلم أو بغى من الغير أو لاتقاء دفع شر هذا الغير.

يقول الشهرستانى فالشيعة : هم الذين شايعوا عليًا رضى الله عنه على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية أما جلياً وأما خفيا ،واعتقدوا أن الإمامة لاتخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده - وقالوا ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيارالعامة وينتصب الإمام بنصبهم بل هى قضية أصولية وهى ركن الدين لايجوز للرسول عليه السلام اغفاله واهماله ولاتفويضه إلى العامة وإرساله [(١)]

وتعريف الشهرستانى ينطبق فى الغالب على الشيعة الإمامية كما سنبين فيما بعد إن شاء الله تعالى.

• **نشأة التشيع :**

المؤرخون للفرق يقولون فى نشأة التشيع بأقوال متعددة يمكننا حصرها فى هذه الاتجاهات أو هذه الأقوال :

١ - القول الأول : أن النشأة وجدت فى عصر الرسول ﷺ .

٢ - القول الثانى : يرى أن النشأة كانت بعد وفاة الرسول ﷺ .

٣ - القول الثالث : يرى أن التشيع نشأمع موقعة الجمل وأثناء وبعد قضية التحكيم مباشرة.

---

(١) الملل والنحل ١ / ١٤٦ . الناشر مؤسسة الحلبى ، القاهرة تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل.

ولنوضح هذه الاتجاهات بإيجاز :

أ - القول الأول : وهو قول علماء الشيعة أنفسهم الذين يرون أن التشيع بمعنى المناصرة والمتابعة والتأييد لعليّ رضى الله عنه والقول بإمامته بعد رسول الله ﷺ نشأ مع نشأة الإسلام وفى زمن الرسول ﷺ .

يقول النوبختى المتوفى سنة ٣٠٠هـ وهو عالم شيعى ومن أقدم كتاب الفرق : فأول الفرق الشيعية وهم فرقة على بن أبى طالب رضى الله عنه المسمون شيعة على عليه السلام فى زمن النبى ﷺ معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته منهم المقداد بن الأسود وسلمان الفارسى وأبو جندب بن جنادة وعمار ابن ياسر وغيرهم . .وهم أول من تشيع من هذه الأمة [١].

ويقول السيد محسن الأمين العاملى : القول بتفضيل عليّ عليه السلام وموالاته الذى هو معنى التشيع كان موجوداً فى عهد الرسول ﷺ .[٢]

ويذهب محمد الحسين آل كاشف الغطاء الكاتب الشيعى إلى القول : بأن واضع بذورالتشيع لعلى بن أبى طالب هو محمد ﷺ حينما أكثر من مدحه، وبين فضله ودوره فى الإسلام وأهليته لقيادة المسلمين.

أن أول من وضع بذرة التشيع فى حقل الإسلام هو صاحب الشريعة الإسلامية نفسه يعنى أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام... ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقى جنبا إلى جنب والعناية حتى نمت وازدهرت فى حياته ثم أثمرت بعد وفاته [٣].

وهذا الكلام يصدق من ناحية اللغة على من ناصره وتابع والتف حول على

---

(١) الحسن النوبختى فرق الشيعة ص٢٨ تحقيق د. عبد المنعم الحفنى ط، دار الرشاد القاهرة.
(٢) أعيان الشيعة ١ / ١٣ .
(٣) أصل الشيعة وأصولها ص١١٨ دار الأضواء ، ١٩٩٣ .

رضى الله عنه كما يصدق على أى جمع ناصر وتابع أى صحابى من الصحابة الأطهار.

ولايعنى هذا اطلاقاً التشيع بمعناه الذى عرف فيما بعد والذى يقول بإمامة على وأحقيته بالخلافة بعد رسول الله ﷺ وولده من بعده.

فرسول الإسلام كان موجوداً بين القوم وكانت دعوته تؤكد الأخوة الإسلامية والوحدة الإسلامية وأن لافضل لعربى على أعجمى وأن الناس كلهم سواسية كأسنان المشط لا فضل لواحد على الآخر إلا بمقياس التقوى والعمل الصالح وأنهم جميعاً مثل ركاب سفينة إذا حاول أحدهم إحداث خرق فيها وتركه الباقون دون أن يحاولوا ابعاده عن الفعل غرقوا جميعاً.

يقول النشار رافضاً القول الأول : والخطأ الأكبر فى هذه المحاولة أنه لم يكن بين يدى الرسول شيعة وسنة وقد أعلن القرآن : ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ لا التشيع ولا التسنن وأتى الإسلام لكى يرفع الحجز بين الناس فلا هاشمى ولا قرشى ولا تيمى وغيره ولا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى [1].

ب - القول الثانى : يرى أن بذرة التشيع نشأت بعد وفاة الرسول ﷺ من قول الذين يقولون أن أولى الناس بخلافة الرسول هم أهل بيته وأولى الناس من أهل بيته هو على بن أبى طالب يقول اليعقوبى فى تاريخه ٢ / ١٠٣ : تخلف عن بيعة أبى بكر قوم ومالوا مع على بن أبى طالب منهم العباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس والزبيربن العوام وخالد بن سعيد والمقداد وابن عمر وسلمان الفارسى وأبو ذر الغفارى وعمار بن ياسر والبراء بن عازب وأبى بن كعب.

يقول أحمد أمين كانت البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة

---

(١) د. على سامى النشار ، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ٧ / ٣٠ ط ٧ ، ١٩٧٧ دار المعارف.

النبى ﷺ أن أهل بيته أولى أن يخلفوه وأولى أهل البيت العباس عم النبى وعلى ابن عمه، وعلى أولى من العباس والعباس نفسه لم ينازع عليًا فى أولويته للخلافة [١].

جـ - القول الثالث : يرى أنه بعد استشهاد عثمان رضى الله عنه بويع علىّ ليكون الخليفة الرابع لرسول الله وتلاحقت الأحداث حيث خرج طلحة والزبير والسيدة عائشة ليطالبوا عليًا بالقبض على قتلة عثمان والاقتصاص منهم وتداعت الأحداث لتوصل إلى موقعة الجمل وسمى من اتبع علياً بالشيعة.

يقول ابن النديم : قال محمد بن اسحاق لما خالف طلحة والزبير على على رضى الله عنه وأبيا ألا الطلب بدم عثمان بن عفان وقصدهما على ليقاتلهما حتى يفيئا إلى أمر الله جل اسمه ،تسمى من اتبعه على ذلك الشيعة فكان يقول شيعتى وسماهم الأصفياء، الأولياء، شرطه الخميس، الأصحاب[٢].

ثم حصلت موقعة صفين سنة ٣٧ هـ بين على ومعاوية رضى الله عنهما وكادت الدائرة تدور على معاوية وجيشه لولا رؤية لجأ إليها عمرو بن العاص وحسب أن فيها حقنا للدماء وحفاظًا على وحدة الأمة وسلامتها وهى مطالبته بالتحكيم، ولم يكن الإمام على يرضى بهذا التحكيم لأنه كان قاب قوسين أو أدنى من الانتصار لولا ضغط جيشه عليه.

و اختير عمرو بن العاص ليمثل معاوية كما اختاروا أبا موسى الأشعرى ليمثل عليا وبعد مناقشات بين المختارين تم اتفاقهما على خلع على من الخلافة ، ومعاوية من إمارة الشام والعودة للشورى لاختيار الخليفة من جديد. ووقف أبو موسى ليعلن اقصاءه لعلى ومعاوية درءا للفتنة بينهما ووقف عمرو بن العاص ليعلن الموافقة على اقصاء على وابقاء صاحبه معاوية فى إمارة الشام - تمهيداً لجعله الخليفة -

(١) فجر الإسلام ص١٢ / ٢٦٦ سنة ١٩٧٨ النهضة المصرية.
(٢) الفهرست ص٢٤٩ دار المعرفة بيروت.

يقول ابن كثير : ثم اصطلحا - أى أبى موسى وعمرو بن العاص - أن يخلعا علياً ومعاوية ويتركا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على من يختارونه لأنفسهم. ثم جاءا إلى الجمع الذى فيه الناس وكان عمرو لا يتقدم بين يدى أبى موسى بل يقدمه فى كل الأمور أدباً واجلالاً فقال له يا أبا موسى قم فاعلم الناس بما اتفقنا عليه فخطب أبو موسى الناس.. ثم قال أيها الناس أنا قد نظرنا فى أمر هذه الأمة فلم نر أمراً أصلح لها وألم لشعثها من رأى اتفقت أنا وعمرو عليه وهو أن نخلع علياً ومعاوية ونترك الأمر شورى... وأنا قد خلعت علياً ومعاوية ثم تنحى وجاء عمرو ثم قال : أنه قد خلع صاحبه وأنى قد خلعته كما خلعه وأثبت صاحبى معاوية فإنه ولى عثمان بن عفان والطالب بدمه وهو أحق الناس بمقامة [١]

وقد استتبع التحكيم ظهورجمع من الناس تشيعوا أى ناصروا ووالوا عليًا رضى الله عنه عن قناعه منهم بأنه الإمام الحق وهم الذين سموا بالشيعة.

وجمع آخر خرج على الإمام على ومعاوية وهاجم طلحة والزبير والسيدة عائشة والحكمين وسموا بالخوارج. وجمع ثالث تابع معاوية وانضم إليه وهم أهل الشام. وقسم آخر أثر الابتعاد عن النزاع وعدم الخوض فيه .

ولعلنا نستريح لهذا القول الأخير لأنه الأقرب للصواب. إلا أننا نسارع فنقول أن التشيع كفرقة كلامية لها منهجها أو مذهب عقدى له أصوله نشأ وترعرع بعد مقتل الحسين بن على رضى الله عنهما فى موقعة كربلاء، وظل مع الزمن يأخذ صوراً عدة تتمثل بانقسامه إلى فرق وانقسام كل فرقة إلى فرق أخرى لكل واحدة منها أقوالها المتعددة وسماتها الخاصة وهذا سنعرفه فيما بعد.

يقول عبد القاهر بن طاهر البغدادى المتوفى ٤٢٩هـ - ١٠٣٧م إن الشيعة : افترقت بعد زمان على رضى الله عنه إلى أربعة اصناف زيدية وإمامية وكيسانية وغلاة.. فأما الزيدية فمعظمها ثلاث فرق : وهى الجارودية والسليمانية

---

(١) البداية والنهاية م الرابع ٧ / ٣١٠ ط أولى سنة ١٣٥١هـ.

والبترية.. والكيسانية فرق كثيره يرجع محصلها إلى فرقتين : أحداهما يزعم أن محمد بن الحنفية حى لم يمت وهم على انتظاره - والفرقة الثانية منهم يقرون إمامته فى وقته وبموته، وينقلون الإمامة بعد موته إلى غيره ،ويختلفون بعد ذلك فى المنقول إليه.

وأما الإمامية المفارقة للزيدية والكيسانية والغلاة فإنها خمس عشرة فرقة : وهى المحمدية والباقرية والناووسية والشميطته والعمارية والاسماعيلية والمباركية والموسوية والقطعية والاثنا عشرية والهشامية والزرارية واليونسية والشيطانية اتباع شيطان الطاق والكاملية وهو افحشهم قولاً فى على وفى سائر الصحابة رضى الله عنهم.

فأما غلاتهم الذين قالوا بالهية[1] الأئمة وأباحوا محرمات الشريعة واسقطوا وجوب فرائض الشريعة كالبيانية والمغيريه والجناحية والمنصورية والخطابية والحلولية. ومن جرى مجراهم فما هم من فرق الإسلام وإن كانوا منتسبين إليه. [1]

وترجع نشأة غلاة الشيعة إلى زمن مبكر وهو زمن الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه على يد عبد الله بن سبأ.

ونستطيع ونحن فى القرن الخامس عشر الهجرى وبدايات القرن الحادى والعشرين الميلادى .. ان نقول أن انقسام فرقة الشيعة إلى فرق متعددة لكل فرقة منهجها وفكرها لم يتوقف

ونعترف إننا لا نستطيع حصرها والحديث عنها فرقة فرقة وإنما نستطيع تقسيمها إلى قسمين :

القسم الأول : تغلب على الأفكار فيه سمة الاعتدال ، ويمثل هذا القسم فرقة الاثنى عشرية وفرقة الزيدية.

القسم الثانى : فيسيطر الغلو على أفكاره، ولتوضيح الصورة نتجة إلى التعرف الناقد على القسمين باختصار.

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢١-٢٣ المكتبة العصرية بيروت ط ١٩٩٥ .

القسم الأول

المعــــتدلـــــون

فــــرقة الإمامية الاثنى عشرية وأهم أقوالها

من الفرق الرئيسية للشيعة فرقة الإمامية الاثنى عشرية وهى تسمى بالرافضة.

والإمامية نسبة إلى الإمامة والإمامة فى اللغة تعنى التقدم نقول فلان أم القوم وهم ائتموا به أى تقدمهم وجعلوه مقدماً عليهم.

ويرجع سبب تسميتهم بالإمامية إلى ما يلى:

أ - إن بؤرة اهتمامهم ونقطة الارتكاز عندهم القول بالإمامة إذ هى أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها.

ب - إن أهم شىء فى الدين هو تعيين الإمام لأنه هو الذى سيصرف مصالح الناس ويرفع النزاع بينهم ويعمل على نشر الأمن وتحقيق العدل.

ج - لايجوز للرسول ﷺ أن يفارق الدنيا دون أن ينص صراحة وبكل وضوح على من يخلفه وإلا كان مضيعاً لأمور الأمة.

د - الخليفة لرسول الله ﷺ على بن أبى طالب رضي الله عنه وهو إمام المسلمين وقد نص رسول الله ﷺ باللفظ الصريح والتلميح الواضح على أن الإمام بعده هو على بن أبى طالب رضي الله عنه، وتنتقل الإمامة من على إلى أولاده حتى الإمام الثانى عشر محمد بن الحسن العسكرى.

● يقول الشهرستانى: إن الإمامية هم القائلون بإمامة على بن أبى طالب رضي الله عنه بعد النبى عليه السلام نصاً ظاهراً وتعيينا صادقًا من غير تعريض بالوصف بل اشارة إليه بالعين. قالوا وما كان فى الدين، والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام

حتى تكون مفارقته الدنيا على فراغ قلب من أمر الأمة فإنه إنما بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق فلا يجوز أن يفارق الأمة ويتركهم هملاً ... بل يجب أن يعين شخصاً هو المرجوع إليه وينص على واحد هو الموثوق به والمعول عليه وقد عين علياً رضي الله عنه في مواضع تعريضاً وفي مواضع تصريحاً. [1]

و سموا بالاثنى عشرية لقولهم باثنى عشر إماماً أولهم على بن أبى طالب وآخرهم محمد المهدى وقد نص الرسول ﷺ على إمامة على بعده وينص كل إمام على الإمام الذى يليه وهم يتسلسلون على النحو التالى :

١ - على بن أبى طالب رضي الله عنه رابع الخلفاء الراشدين وهو فى رأيهم أول الأئمة ويلقب بالمرتضى وقد قتله عبد الرحمن بن ملجم[2] فى مسجد الكوفة فى ١٧ رمضان سنة أربعين. وكان مولده بعد عام الفيل بثلاثين عاماً وقبل الهجرة بثلاثة وعشرين عاماً، ومرقده فى النجف الاشرف بالعراق.

٢ - الحسن بن على ويلقبونه بالمجتبى، ولد فى رمضان من السنة الثانية بعد الهجرة وتوفى سنة تسع وأربعين ودفن بالبقيع.

٣ الحسين بن على ويلقبونه بالشهيد، ولد سنة ثلاث من الهجرة واستشهد سنة إحدى وستين فى العاشر من محرم قتله عبيد الله بن زياد فى خلافة يزيد بن معاوية يوم الاثنين بكربلاء ومرقده فيها ،ويقال أن رأسه الشريفة نقلت إلى مصر وهى فى الضريح المسمى باسمه ويقال غير ذلك والله أعلم.

٤ - على زين العابدين بن الحسين ويلقبونه بالسجاد، ولد سنة ٣٨هـ وتوفى سنة ٩٥ ودفن بالبقيع وامه شاه زنان بنت يزدجرد بن شهريار بن كسرى.

---

(١) الملل والنحل ١ / ١٦٢ .

(٢) قبض عليه الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما وقطع المسلمون يديه ورجليه عقاباً له على فعلته الشنعاء، ومات سنه أربعين بعد استشهاد الإمام على بثلاثة أيام، وقيل حرق جسده بعد هذا،

٥ - محمد الباقر بن على زين العابدين ويلقبونه بالباقر، ولد سنة ٥٧هـ وتوفى سنة ١١٤ هـ ودفن مع والده وامه السيدة فاطمه بنت الحسن.

٦ - جعفر الصادق بن محمد الباقر ويلقبونه بالصادق، ولد سنة ٨٣هـ وتوفى سنة ١٤٨ ودفن بالبقيع مع والده وجده وامه السيده ام فروة.

ومن الإمامية من يسوق الإمامة بعد جعفر الصادق إلى ابنه إسماعيل بن جعفر الصادق وهؤلاء يسمون بالإسماعيلية ومن أشهر ألقابهم الباطنية، أما من يقطع بإمامة موسى الكاظم ثم موته وإمامة أبنائه من بعد فيسمون بالقطعية.

٧ - موسى الكاظم بن جعفر الصادق ويلقبونه بالكاظم، ولد سنة ١٢٨هـ وتوفى سنة ١٨٣ فى السادس من رجب ببغداد ودفن بها فى مقبرة قريش بالكاظمية وأمه السيدة حميدة.

٨ - على الرضا بن موسى الكاظم ويلقبونه بالرضا. ولد سنة ١٤٨هـ وتوفى فى صفر سنة ٢٠٣هـ بطوس بقرية تسمى سناباد ودفن بها وتقع طوس فى خراسان بإيران وامه السيدة أم البنين.

٩ - محمد الجواد بن على الرضا ويلقبونه بالتقى، ولد فى رمضان سنة ١٩٥هـ وتوفى فى آخر ذى القعدة سنة ٢٢٠ ودفن بمقابر قريش ببغداد مع جده وامه السيدة سبيكه.

١٠ - على الهادى بن محمد الجواد ويلقبونه بالنقى، ولد سنة ٢١٢هـ فى النصف من ذى الحجة وتوفى سنة ٢٥٤ بسر من رأى حيث دفن بها وامه السيدة سحانة.

١١ - الحسن العسكرى بن على الهادى ويلقبونه بالذكى، ولد سنة ٢٣٢هـ وتوفى سنة ٢٦٠عن عمر لم يجاوز الثامنة والعشرين ودفن مع أبيه بسر من رأى وامه السيدة حديثه.

١٢ - محمد المهدى بن الحسن العسكرى ويلقبونه بالحجة، قيل أنه ولد سنة ٢٥٥هـ فى النصف من شعبان وقيل سنة ٢٥٦هـ. [1]

وهم يقولون أن محمداً المهدى هذا الإمام الثانى عشر دخل سرداباً بسر من رأى والمسماه بسامرا، الآن وهم يعتبرونه المهدى المنتظر الذى سيخرج ليملأ الدنيا عدلاً ويقضى على أعدائهم.

ويقال أن محمد المهدى هذا كان عمره وقت دخوله السرداب أربع سنوات أو ثمان سنوات.

يقول الشهرستانى : إن الذين قطعوا بموت موسى الكاظم بن جعفر الصادق وسموا قطعية ساقوا الإمامة بعده فى أولاده فقالوا الإمام بعد موسى الكاظم ولده على الرضا ومشهده بطوس ثم بعده محمد الجواد وهو فى مقابر قريش ببغداد ثم بعده على بن محمد ومشهده بقم وبعده الحسن العسكرى الذكى وبعده ابنه محمد القائم المنتظر الذى هو بسر من رأى وهو الثانى عشر.[٢]

و بدخول محمد القائم المهدى المنتظر ابن الحسن العسكرى السرداب سنة ٢٦٠هـ أو ٢٦٤هـ بدأ ما يسمى بالغيبة الصغرى. وقبل دخوله اختار مراجع أو ثواباً أربعة، ليكونوا حلقة الوصل بينه وبين اتباعه من الشيعة، ينقلون إليه أخبارهم وما يريدون منه وبخاصة فيما يتعلق بدينهم، وينقلون إليهم أخبار الإمام ورده وما يجب عليهم الالتزام به.

وهؤلاء المراجع هم عثمان بن سعيد العمرى وابنه محمد بن عثمان، وحسين ابن روح وعلى بن محمد الصيمرى.

وقبل وفاة الأخير سنة ٣٢٩هـ وصلته رقعة بتوقيع الإمام فيها بأن الغيبة الكبرى بدأت، ولا ظهور إلا بعد أن يأذن الله تعالى، فمن أدعى بعد ذلك رؤيه الإمام فهو كذاب مفتر[٣] وسموا بالرافضة لرفضهم خلافة أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ويقال إن الرافضه اسم خاص بمن رفض إمامة زيد بن على حيث قال لهم رفضتمونى فسموا بالرافضة.

---

(١) راجع الأصول من الكافى ٢ / ٥١٤ ، وراجع الأئمة فى الارشاد للمنير.

(٢) الملل والنحل ١ / ١٦٩ .

(٣) راجع الشيعه والتصحيح د. موسى الموموى ص٦١ .

بعض ادلة الإمامية الاثنى عشرية على إمامة على رضى الله عنه بعد رسول الله ﷺ بالنص

أولاً : أدلة من القرآن الكريم - كما يزعمون -

يستدل الشيعة الإمامية الاثنا عشرية على إمامة عليّ بعد رسول الله ﷺ بأدلة يستنبطونها من القرآن الكريم منها ما يسمونه بدليل الولاية - ودليل التطهير - ودليل المباهلة.

وإليك نبذة مختصرة عن كل دليل، مع مناقشة مختصرة أيضاً.

أ - دليل الولاية ومناقشته :

ومعنى الولاية : المناصرة والتعظيم والحب، والولى هو الناصر والمحب والمعظم وفى معنى آخر الولى هو الأولى بالتصرف والمتولى للأمور.

فالله تعالى ولى المؤمنين أى ناصرهم، والمحب لهم، والمقدر لدورهم، والمثبت لأقدامهم فى الدفاع عن دينه ﴿ إن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد ٧) هو وحده المعبود، والناصر الذى لا يغلب والمرجع فى كل شيء.

والشيعة يصرون على أن الولى فى الآية الكريمة التى سنذكرها بمعنى الأولى بالتصرف فى كل الشئون الدنيوية والأخروية.

يقول سبحانه ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ «المائدة ٥٥» أى المتولى لأموركم، والمتصرف فى كل أموركم، هو الله ورسوله والذين آمنوا.

ويقولون بان المعنى بالذين آمنوا هو الإمام على رضى الله عنه ويستدلون على

صحة ما يقولون بختم الآية بقوله تعالى : (ويؤتون الزكاة وهم راكعون) .

ويقولون لقد سأل مسكين الناس فى مسجد المدينة وهم يصلون، فلم يجبه أحد إلا الإمام عليّ - رضى الله عنه - حيث مد يده بخاتم فى اصبعه وهو راكع،وكأنه يقول للمسكين خذه.

وانتبه المسكين ، ونزع الخاتم من أصبع عليّ وانصرف

علي إذا هو المعنى بايتاء الزكاة وهو راكع.

وإذ ا كان هذا عجز الآية،فإن صدرها يؤكد أن الاحق والأولى بالتصرف فى أمور المسلمين هو الله ورسوله والإمام على.

إذا على بنص القرآن هو الإمام بعد رسول الله ﷺ . .قال ابن عباس : نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه .وقال فى رواية أخرى نزلت فى على بن أبى طالب وقاله مجاهد والسدى [1] وفى أصول الكلينى ج ص ٣٤٨ عن جعفر الصادق قال : «فى قول الله عز وجل ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ إنما يعنى أولى بكم أى احق بكم وبأموركم وأنفسكم وأموالكم الله ورسوله، والذين آمنوا يعنى علياً وأولاده الأئمة إلى يوم القيامه .. وكان أمير المؤمنين فى صلاة الظهر وقد صلى ركعتين وهو راكع، فجاء سائل فقال السلام عليك يا ولى الله وأولى بالمؤمنين من أنفسهم .. تصدق على مسكين ... فتصدق عليه والسائل الذى سأل من الملائكة».

● ويرد على هذه الدعوى بما يلى :

١ - هذا المسكين ألم يكن فى الامكان أن يصبر حتى ينتهى المصلون من صلاتهم ثم يسأل حاجته؟ ثم لماذا لم يصل كما يصلى الناس؟ ولم يحرص على التشويش عليهم بالسؤال وهم يصلون حتى لو كان من الملائكة كما يقول الاخير؟

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبى ج٦ ص ٢٢١ .

٢ - الصلاة صلة بين العبد وربه، وهذه الصلة لا تتم إلا بالخشوع والخضوع الكامل لله، ومع الخشوع والخضوع يعيش الإنسان في رحاب الله، ولا يحس بسائل أو غيره وأبو بكر وعلى هما فى القمة من النقاء وتقوى الله يستحيل أن ينصرفا عن ما هما فيه، ويجيبا متنطعاً لا يصلى يحلو له أن يشوش على المصلين .

وما فعله على من مد يده بالخاتم أو طرح الحلة ثم الاشارة للرجل أو الملاك عمل لا يجعل الصلاة خالصه لله ومن المؤكد أن تقوى على لله تبعده عن هذا .

٣ - إن اسم الموصول فى الآية الكريمة والصلة للجمع لا للمفرد الذين آمنو - الذين يقيمون الصلاة - الذين يؤتون الزكاه وهم راكعون - كلها الفاظ للجمع، والقرآن الكريم عربى فصيح ، فالتحول من الجمع إلى المفرد صرف للظاهر دون داع .

فلو كان المراد هو على لقال تعالى يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة وهو راكع .

٤ - يقول القرآن الكريم الذين آمنوا أى حققوا الجزء الاعتقادى، وهو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر وآمنوا بالقدر خيره وشره .

ومع تحقيقهم اتجهوا إلي الجزء العملي وفيه الصلاة والزكاة، وهم فى قمة الخشوع والذلة لله فى كل امورهم فليس الخشوع والذلة والانكسار والتسليم المطلق فى الصلاة والزكاة فقط، وإنما هم كذلك مع الله تعالى فى كل حركاتهم وسكناتهم، أى أنهم يعيشون دائماً فى دائرة الإحسان (اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكنتراه فإنه يراك) البحارى ومسلم فى صحيحهما كتاب الإيمان .

٥ - فى الآية الكريمة ما يخرجها عن الحصر فى عليّ بن أبى طالب فقد ورد فى سبب النزول أن عبد الله بن سلام قال للنبى ﷺ : إن قومنا من بنى قريظة والنضير قد هجرونا، واقسموا ألا يجالسونا، ولا نستطيع مجالسة إصحابك لبعد المنازل. فنزلت هذه الآية فقال رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء - والذين عام فى جميع المؤمنين [1] .

(١) المصدر السابق م ٦ ص ٢٢١ .

وقد سئل محمد الباقر الإمام الخامس من أئمة الاثنى عشرية عن (والذين آمنوا) فى الآية هل هو على بن أبى طالب ؟ فقال : على من الذين آمنوا - أى أن علياً كجزء يندرج تحت الذين آمنوا ككل - قال النحاس : وهذا قول بينَ - أى واضح لأن الذين لجماعه. [1]

٦ - الآية الكريمة ﴿ أنما وليكم الله ورسوله ... ﴾ وردت قبلها آيات تحث المؤمنين على عدم اتخاذ اليهود والنصارى أولياء أى مناصرون - فإن بعضهم مناصر للبعض الآخر، وإن من يناصرهم من المؤمنين ظالم لنفسه؛ لأنه دفعها لعصيان الله تعالى.

واسارع فأقول : هناك فرق بين بر القوم وملاينتهم، والتعامل بالعدل معهم، طالما أنهم لم يقاتلونا فى الدين ولم يخرجونا من ديارنا... وبين حبهم ومناصرتهم واعتبارهم الاحق بالنصرة والتأييد.

فالبر والملاينة والعدل امور مطلوبة لقوله تعالى ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة ٨).

أما المناصرة والتأييد فهى تقوية لاعداء الإسلام ضد الإسلام، وهذا وللأسف الشديد ما يحدث فى عالمنا المعاصر، وفى كثير من بلدان العالم الإسلامى، حيث لا يتردد بعض من فى البلدان الإسلامية، وبخاصة حكوماتها فى نصرة ومعاونه اعداء الإسلام على بنى جنسهم ممن يدينون بالإسلام.

وتمضى الآيات الكريمات لتصف من يسارع بنصرة اعداء الإسلام بالمرض، والنفاق، والذل، والانكسار، والخوف، وانعدام الثقة فى الله تعالى، وفى وعده تعالى الذى بقدرته يملك أن يبدل الخوف أمنا، والهزيمة نصراً، وبقدرته وعظمته اهلاك المرتدين عن دين الحق.

---

(١) نفس المصدر والمكان.

وبقـدرته وعظمتـه يخلق من يحبـهم ويحبـونه، وينصـرهم وينصـرونه، ويتعاملون مع المؤمنين بحب وعطف ورحمة ونصره ولين.

وفى نفس الوقت اشداء على الكفار، لا يخافون منهم، ولا يرهبون سلاحهم ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة ٥٤) ثم بعد هذه الآيات تأتى الآية الكريمة (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا...) .

ويأتى بعدها مباشرة بشرى للمؤمنين ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (المائدة ٥٦).

هكذا تتتابع الآيات الكريمات فى دعوة صريحة إلى اعتبار الاحق بالنصرة والتعظيم هو الله والرسول والذين آمنوا. يقول أبو المعين النسفى : لو كانت الآية منصرفه إلى ما قلتم لما خفى ذلك على الصحابه أولاً وعلى ثانياً، ولما اجمعوا على خلافة غيره ولا بايع هو بنفسه غيره.[1]

و هكذا نلاحظ أن كل ما مر يؤكد أن المراد بالولى فى الآية الكريمة هو الناصروالمحب والمؤيد والمعظم، وليس الأولى بالتصرف كما يقول الشيعة.

ولو سلمنا جدلاً بأن الولى هو الأولى ، فليس فى الآية ما يحصره فى الأولى بالتصرف ،فلم لا يكون أولى بالحب والنصرة والتقدير والاحترام؟

يقول شرح المقاصد : والجواب منع كون الولى بمعنى المتصرف فى أمر الدين والدنيا والاحق بذلك، على ما هو خاصة الإمام.

بل الناصر والموالى والمحب، على ما يناسب ما قبل الآية وما بعدها وهو قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (المائدة ٥١)

---

(١) تبصرة الأدلة ص٩٠٠ تحقيق د. محمد الانور

فإن الحصر إنما يكون بإثبات ما نفى عن الغير، وولاية اليهود والنصارى المنهى عن اتخاذها، ليست هى التصرف والإمامة، بل النصرة والمحبة.

وقوله تعالى ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (المائدة ٥٦) وقوله تعالى ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ (المائدة ٥١) لظهور أن ذلك تولى محبة ونصرة، لا إمامة.[1]

ب - دليل التطهير ومناقشته :

ويعنون بالتطهير إزالة الذنوب كلية، وذنوب الظاهر والباطن والباس المطهرين ثوب الكرامة.

واستنبط الشيعة الدليل من قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾. (الاحزاب ٣٣)

بعد أن عزلوا هذا الجزء عن السياق السابق والذى يبدأ بقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ (الاحزاب ٢٨) إلى أن تأتى بالجزء المعزول.

والسياق اللاحق والذى ينتهى بنهاية الآية الكريمة ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ... ﴾ (الاحزاب ٣٤) ولم يهتموا بسبب نزول الآيات، ثم قالوا إن المراد بأهل البيت هم النبي وأهل الكساء - الإمام على والحسن والحسين وفاطمة، وهم معصومون حيث اراد الله سبحانه وتعالى ازالة الذنوب والتطهير الكامل لهم.

ومن شروط الإمامة العصمة، ولا أحد يقول بعصمة الصديق أو عمر أو عثمان - أما نحن - أى الشيعة - فإنا نقول بعصمة الإمام على رضى الله عنه

---

(١) شرح المقاصد - سعد الدين التفتازانى ج٥ ص٢٧٠ تحقيق د. عبد الرحمن عميرة - عالم الكتب بيروت.

وبتحقق العصمة فيه بنص الآية الكريمة بكون هو الإمام بعد رسول الله ﷺ .

والذى يؤكد أن أهل البيت هم هؤلاء الخمسة، لا زوجات الرسول ﷺ تذكير «عنكم» فلم يقل عنكن. وتذكير «ويطهركم» فلم يقل ويطهركن[1] ويذكر الكلَيني فى أصوله ج١ ص ٣٤٦ نصاً نجترئ منه ما يحدد أهل البيت كما يقول الشيعة ... يقول الإمام جعفر الصادق فى رده على من سأله : فلو سكت رسول الله ﷺ ، فلم يبين من أهل بيته لادعاها آل فلان وآل فلان، لكن الله عز وجل انز له فى كتابه تصديقاً لنبيه ﷺ ﴿إنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ فكان على والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام فأدخلهم رسول الله ﷺ تحت الكساء فى بيت أم سلمه، ثم قال اللهم إن لكل نبى أهلاً وثقلاً وهؤلاء أهل بيتى وثقلى، فقالت أم سلمة : الست من أهلك؟ فقال : إنك إلى خير ولكن هؤلاء أهلى وثقلى».

● ويرد على هذا بما يلى :

١ - إن الآيات من قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا...) إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيراً ﴾ نزلت فى زوجات النبى ﷺ ، ولابد من مراعاة سبب النزول فى أى فهم للآيات.

٢ - إن الايتين الأولى والثانية تخير نساء النبى بين اختيار الدنيا وزينتها، وبين اختيار الله ورسوله والدار الآخرة.

والثالثة تحذير لهن من اتيان الفواحش ومضاعفة العذاب.

والرابعة : بيان للجزاء الحسن المضاعف لمن تقنت منهن.

---

(١) راجع التبيان فى تفسير القرآن لابى جعفر محمد بن الحسن ٨ / ٣٣٩ ط النجف ١٣٧٦هـ.

والخامسة : بيان لخصوصية زوجات النبي ﷺ ، ونهى لهن عن بعض الأمور مثل الخضوع بالقول والتبرج، وأمرلهن بالاستقرار فى بيوتهن والدوام على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله تعالى ورسوله.

● وكل هذا لأن الله تعالى يريد ولا راد لارادته ازالة أى ذنب يلحق بهن، كما يريد تعالى رفعهن إلى مكانة عالية بالتطهير الكامل.

وتأتى الآية السادسة لتطالبهن بتذكر دائم للآيات القرآنية التى تنزل على الرسول ﷺ ، وتطبيقها على وجهها الصحيح مع أقوال الرسول ﷺ وافعاله وتقريراته.

٣ - السياق كله من أول الآيات إلى آخرها يحدد أن المراد بأهل البيت هن زوجاته ﷺ . إلا أنه لا يمنع من دخول فاطمة وعلى والحسن والحسين، لاتفردهم وحدهم بأنهم هم أهل البيت.

٤ - لجواز دخول الرسول ﷺ وعلى ابن أبى طالب والحسن والحسين ضمن سياق أهل البيت، غلب لفظ التذكير على لفظ التأنيث فقال تعالى ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ولم يقل ليذهب عنكن ويطهركن.

● وقد يكون التذكير راجعاً إلى لفظ أهل البيت. أى ليذهب عنكم ويطهركم أهل البيت.

يقول القرطبى : اختلف اهل العلم فى أهل البيت من هم ؟ فقال عطاء وعكرمة وابن عباس، هم زوجاته خاصة... وذهبوا إلى أن البيت أريد به مساكن النبى ﷺ .

وقالت فرقة معهم الكلبى هم على وفاطمة والحسن والحسين خاصة - وهذا

القول هو ما يعتمد عليه الشيعه، ويؤيدون كلامهم باحاديث لم تخل من الضعف والغرابه- واحتجوا بقوله تعالى ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ بالميم ولو كان النساء خاصة لقال عنكن ويطهركن.

إلا أنه يحتمل أن يكون خرج على لفظ الأهل، كما يقول الرجل لصاحبه كيف أهلك أى امرأتك ونساؤك فيقول هم بخير.

قال تعالى عن سارة امرأة إبراهيم عليه السلام حينما تعجبت من تبشير الله تعالى لها بالولد بعد أن صارت عجوزاً ﴿اتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ مع أنها واحدة مؤنثه. والذى يظهر من الآية أنها عامة فى جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم.

وإنما قال الله ويطهركم لأن رسول الله ﷺ وعلياً وحسنا وحسينا كان فيهم، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر.[1]

و يضيف الرازى فى تفسير الآية لطيفه وهى: أن الرجس قد يزول عينا ولا يطهر المحل - فمع ازالة الذنوب - يطهركم أى يلبسكم خلع الكرامة ... ثم يقول: واختلفت الأقوال فى أهل البيت، والأولى أن يقال هم أولاده وأزواجه، والحسن والحسين منهم وعلى منهم.[2]

٥ - القول بعصمة على وفاطمة والحسن والحسين لم يقل به أحد إلا الشيعة، ولا دليل معهم إلا التحكم وسنناقش قضية العصمة فى ما بعد فى كتابنا هذا إن شاء الله تعالى.

جـ - دليل المباهلة ومناقشتة:

والمباهلة معناها الملاعنة، ونبتهل أى يخلص كل منا فى دعائه بأن يلعن الله

---

(١) الجامع لاحكام القرآن الكريم لابى عبد الله القرطبى م ١٤ ص ١٨٢.

(٢) تفسير الفخر الرازى م ١٣ ج٢٥ ص ٢١٠ دار الفكر.

من يكذب فى دعواه.

يقول ابن منظور : البهْل اللعن ... وبهله الله بهلاً أى لعنه لعنًا. وعليه بهَلةُ الله أى لعنته .. وباهل القوم بعضهم بعضاً، وتباهلوا وابتهلوا أى تلاعنوا... ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا فى شىء فيقولون لعنة الله على الظالم منا ... وفى التنزيل ﴿ ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ . أى يخلص ويجتهد كل منا فى الدعاء واللعن على الكاذب منا.[1]

والدعوى موضع المباهلة هى عيسى عليه السلام (اله أو ابن اله) بهذا يقول النصارى.

أم أن عيسى بشر خلقه الله تعالى مثلما خلق آدم وكل البشر، إلا أن آدم بلا أب وأم سواه الله مباشرة من الطين ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (ص ٧٢،٧١) أما عيسى فلا أب وبأم هى مريم العذراء الطاهرة للدلالة على طلاقة القدرة الالهية. بهذا يقول نبى الإسلام والمسلمون معه.

يقول سبحانه وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (آل عمران ٦١) أى اقطع يا محمد حديثك معهم لأنهم يصرون على الجدال بالباطل، ولا عنهم بأن تأتى باحب الناس إليك وهم هنا أهل الكساء الابناء الحسن والحسين، والنساء فاطمة، والانفس أنت وصهرك على رضى الله عنه.

وهم يأتون كذلك بأحب الناس إليهم الابناء والنساء وأنفسهم ولتجتهدوا جميعاً فى الدعاء أن يلعن الله تعالى ويطرد من رحمته من يكذب فى دعواه.

والشيعة يصرون على أن المعنى بالأنفس فى قوله تعالى (وانفسنا) هو على

---

(١) لسان العرب ج١ ص ٣٧٥ بـهـل وانظر تفسير الفخر الرازى م٤ ٨ / ٩٠ .

ابن أبى طالب نزّل منزلة نفس الرسول، فهو مساوى للرسول فى الفضل ما عدا ماخصه به الوحى وإذا كان الرسول معصومًا فعلىّ كذلك ولعصمة على وأفضليته على كل الصحابة استحق أن يكون الإمام بعد رسول الله ﷺ ؛ لأنه نزل منزلة نفس الرسول. يقول الفخر الرازى : وأما سائر الشيعة فقد كانوا قديمًا وحديثاً يستدلون بهذه الآية على أن عليًا رضى الله عنه مثل نفس محمد عليه السلام إلا فيما خصة الدليل، وكان نفس محمد أفضل من الصحابة رضوان الله عليهم،فوجب أن يكون نفس علىّ أفضل أيضًا من سائر الصحابة.[1]

ويرد على هذا الكلام :

١ - إن القول بأن انفسنا المراد بها نفس على رضى الله عنه هو تأويل لا معنى له، والمعروف أن التأويل إنما يصار إليه إذا كانت هناك ضرورة ولا ضرورة هنا.

٢ - إن القول بأن نفس على تساوى نفس الرسول إلا فيما اختصه به الوحى، وهذه المساواه تعطى لعلى ما للرسول من صفات، وبخاصة افضلية الرسول على الصحابة وعصمته فكذلك على رضى الله عنه.

هذا تطاول على شخص الرسول ﷺ فالرسول متبوع دائمًا، وعلىّ ضمن الصحابه تابع، وانعقد الاجماع بين المسلمين على أن محمدًا عليه السلام أفضل من علىّ[1].

وافضل من الصحابة جميعًا فالنبى دائماً أفضل ممن ليس نبى. وعصمة الرسول بنص القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولا دليل على عصمة على إلا التحكم والعصبية المذهبية.

٣ - ليس فى الآية أى تلميح أو تصريح بإمامة على بعد رسول الله ﷺ أو أى إشارة إلى الإمامة على الإطلاق.

---

(١) تفسير الفخر الرازى م٤ ج٨ ٩٠ .

(٢) نفس المرجع السابق والمكان.

ثانياً : من أدلة الإمامية على إمامة على بعد رسول الله ﷺ من السنة المطهره

تقول الإمامية أن الرسول ﷺ نص على إمامة على رضى الله عنه على أن يكون خليفة للمسلمين بعده أما تعريضاً أى بالإشارة والتلميح وأما تصريحاً ، أما تعريضاته فمنها :

١ - أنه ﷺ (عين أبا بكر الصديق على الحج ثم بعث علياً رضى الله عنه ليقرأ على الناس فى المشهد سورة براءة وليكون هو المبلغ عن رسول الله ﷺ وقال عليه السلام : «نزل على جبريل فقال يبلغه رجل منك أو قال من قومك»[1] ، وقالوا وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على إمامة على بن أبى طالب قبل الصديق لأنه قدم علياً على أبى بكر .

• ولنا وقفة نقدية :

فليس فى ارسال على بن أبى طالب ليقرأ سورة براءة على الناس فى الحج ما يدل على إمامته أو خلافته بعد الرسول ﷺ والأمر لا يخرج عن كون السورة بها الكثير من الأحكام وبها الحديث عن فضائل أبى بكر رضى الله عنه فأراد الرسول ﷺ مؤازرة لأبى بكر حتى يكون مسموع الكلمة بين المسلمين أن يعلم الناس بفضله الذى يذكره القرآن الكريم .

«ولذا لما قدم على قال له أبو بكر (أمير أومأمور) فقال بل (مأمور) وقرأ على الناس ليستمع الكل مناقب أبى بكر من لسان على رضى الله عنه ليكون ذلك أوقع فى النفوس وادخل فى القلوب والرؤوس ويكون أعلى فى اظهاره لفضل أبى بكر رضى الله عنه وأدل على علو قدره» .

---

(١) الملل والنحل ج١ ص ١٦٣ .

(٢) رسالة فى الرد على الرافضة لأبى حامد محمد المقدسى ص ٢٥٤ .

ومن تعريضاته أنه ﷺ أمر على أبى بكر وعمر وغيرهما فقد أمر عليهما عمرو بن العاص مرة ومرة أخرى أمر عليهما أسامة بن زيد وكان ذلك في البعوث والسرايا ولم يؤمر أحداً على عليٍّ رضى الله عنه. وقد فهموا تعنتا ولياً للحقائق من ذلك أن هذا يعنى أنه الخليفة بعده فهو أمير على الجميع.

• **أما تصريحاته على إمامة عليٍّ بعده مباشرة:**

فقد فسرت الشيعة الإمامية بعض أقواله ﷺ بأنها نص صريح على إمامة على رضى الله عنه بعده مباشرة من هذه الأقوال :

١ - أن رسول الله ﷺ حينما خرج هو والمسلمون في غزوة تبوك [١] استخلف على بن أبى طالب على أهل بيته وحينما قال له على أتخلفنى فى النساء والصبيان قال رسول الله ﷺ : «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى عليه السلام إلا أنه لا نبى بعدى» [٢]

٢ - أنه عليه السلام حينما قوى المسلمون وكثروا وأصبحوا قوة نودى فى المسلمين للصلاة جامعة يوم غديرخم [٣] ووقتها قال الرسول ﷺ : من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم والى من والاه وعادى من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار ألا هل بلغت» [٤]

٣ - قوله ﷺ : «أقضاكم على» فإن الإمامة لا معنى لها إلا أن يكون الإمام أقضى القضاة فى كل حادثة والحاكم العادل على المتخاصمين وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾ وقد فسروا أولى الأمر بمن له القضاء والحكم أى الإمام [٥].

---

(١) كانت الغزوة فى رجب سنة ٩ هـ.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

(٣) مكان بين مكة والمدينة نزل به الرسول ﷺ مع المسلمين فى الثامن عشر من ذى الحجة فى حجة الوداع.

(٤) الملل والنحل ١/١٦٣.

(٥) نفسه ١/١٦٤.

٤ - ويذكر كاتب شيعى نصاً لحديث غدير خم يحاول من خلاله إثبات مبايعة الصديق وعمر وعثمان وبقية المبشرين بالجنة والمهاجرين والأنصار لعلى رضى الله عنه.

ولو كان النص كما يقول لما كان هناك معنى لاجتماع المسلمين فى سقيفة بنى ساعدة وما حدث بعد ذلك من مبايعة عمر والمسلمين لأبى بكر الصديق.

ولما كان هناك معنى لتولى عمر بن الخطاب ثم عثمان من بعده للإمامة وأعتقد أن زيادات كثيرة أضيفت للحديث حتى يقتنع الغير بأن الرسول نص على إمامة علىٍّ ويسارع الخلفاء إلى تأييده.

وهذه الزيادات تشكك فى الصحابة وبخاصة الصديق وعمر وعثمان إذ كيف يؤيدون فى الظاهر ثم يضمرون التآمر عليه ويرفضون إمامته مع أنهم أقروا بها أمام الرسول ﷺ .

والنص يبدأ هكذا قال الله تعالى : ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾

قال الإمام قال العالم موسى بن جعفر : أن رسول الله ﷺ لما أوقف أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى يوم الغدير موقفه المشهور قال : «يا عباد الله أنسبونى» ، فقالوا أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى ، ثم قال : «يا أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم» ، قالوا : بلى يا رسول الله فنظر إلى السماء فقال : «اللهم أنى أشهدك بقول هؤلاء» يقول ذلك ثلاثاً .

ثم قال : «ألا فمن كنت مولاه وأولى به فهذا على مولاه وأولى به اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله.

ثم قال : «قم يا أبا بكر فبايع بأمرة المؤمنين لعلى» فقام فبايع .

ثم قال : قم يا عمر فبايع لعلى بأمرة المؤمنين» فقام وبايع .

ثم قال بعد ذلك لتمام التسعة ثم لرؤساء المهاجرين والأنصار فبايعوا كلهم .

ثم قام من بين جماعتهم عمر بن الخطاب فقال : بخ بخ لك يا ابن أبى طالب أصبحت مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة ثم تفرقوا على ذلك .

وقال - أى رسول الله ﷺ - «وكدت عليهم العهود والمواثيق» (١)

٥ - وعن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال : «أنا مدينة العلم وعلى بابها» (٢)

٦ - ويروى عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه» (٣). والحديث فى البخارى ومسلم .

بهذه الأحاديث وغيرها يدلل الشيعة على نص الرسول ﷺ على أن الإمام بعده هو على بن أبى طالب .

ولنا وقفة موضوعية نحاول من خلالها التعرف على الحقيقة .

---

(١) على فى القرآن والسنة ١ / ١٩ .

(٢) مختصر التحفة ص ١٦٥ .

(٣) نفس المصدر السابق ص١٦٩ . وكانت غزوة خيبر فى السنة السادسة من الهجرة وقيل فى أوائل السابعة .

مناقشة للأدلة التى يدعيها الإمامية فى
أحقية على بالإمامة بعد رسول الله ﷺ مباشرة

وما يدعيه الإمامية من أدلة على أحقية على رضى الله عنه بالخلافة بعد رسول الله ﷺ إنما هو افتراء وكذب على رسول الله ﷺ ، لقد وضعوا الأحاديث الكثيرة لتثبيت دعواهم الكاذبة وراحوا يؤولون النصوص ويفهمون منها ما يتمشى مع أغراضهم ويصمون آذانهم ويغلقون عقولهم أمام كل فضيلة من فضائل الصحابة وبخاصة الخلفاء الثلاثة قبل على رضى الله عنه .

وعلى بن أبى طالب هو أول من يخضع وينفذ كلام الرسول ﷺ والصحابة الأطهار معه يعلمون يقيناً أن طاعة الرسول من طاعة الله عز وجل ولا يقبل العقل ولا يصدق أبداً أن الرسول عليه السلام يوصى بشىء فيرفضه الصحابة الأطهار أو يغيرونه بأى وجه .

ولو كان الإمام علىّ يملك دليلاً واحداً على إمامته بعد الرسول لاستشهد به فى اجتماع سقيفة بنى ساعدة ولقدمه للمسلمين قبل انتخاب أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

ولو أن الرسول ﷺ أوصى له بالخلافة بعده أن بالتلميح أو بالتصريح لما جاز له أن يخالف وصية الرسول ويؤيد انتخاب الصديق ثم عمر فعثمان رضى الله عنهم أجمعين .

لقد توقف فترة عن تأييد الصديق لكنه عاد عن توقفه وأيده دون إكراه من أحد وأعانه ووالاه (ثم بايع بعده عمر بن الخطاب مبادراً غير متردد ساعة ، وصحبه وأعانه على أمره وأنكحه من ابنته فاطمة ثم قبل ادخاله فى الشورى أحد ستة رجال فكيف حل لعلى عند هؤلاء الجهال - أى الذين يقولون بالنص

على عليٍّ رضى الله عنه - أن يشارك بنفسه فى شورى ضالة - كما يقولون - .. ولا يجوز أن يطن بعلى رضى الله عنه أنه امسك عن ذكر النص عليه خوف الموت وهو الأسد شجاعة) [١]

وفى مرض الرسول ﷺ الأخير أشار العباس بن عبد المطلب أن يسأل على الرسول عليه السلام أين يجعل الأمر - أى أمر الخلافة - هل فى أقاربه أو غيرهم فأجابه على رضى الله عنه : (والله لومنعنا اياها لا يعطينا الناس اياها أبداً فوالله لا أسأله) رواه أحمد.

فلو كانت هناك وصية من الرسول ﷺ لعرفها العباس، ولما طلب من عليٍّ أن يسأل الرسول، ولقال له عليٌّ حين ذلك أنك تعرف أن الرسول ﷺ أوصى بإمامتى بعده.

وقد سئل على رضى الله عنه هل خصكم رسول الله ﷺ بشىء؟ فقال : (ما خصنا رسول الله ﷺ بشىء لم يعم الناس به كافة) رواه أحمد.

فلو كانت هناك وصية ما لقال بها إجابة عن السؤال. وقول الرسول ﷺ لعلى رضى الله عنه : «أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى» ليس نصاً فى كون عليٍّ هو الإمام بعد رسول الله ﷺ . وذكر سبب الحديث يوضح المراد فإن النبى ﷺ ذهب إلى تبوك مع جيش المسلمين، وترك علياً مستخلفاً على النساء والصبيان فى المدينة. وقال بعض المنافقين حينما رأوا ذلك لقد ترك علياً لأنه يستثقله ولا يحبه. فلما علم عليٌّ بذلك أخذ سيفه ولحق بالرسول وأخبره بقول المنافقين فقال له الرسول تطيبًا لخاطره واظهاراً لقدره : «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى» [٢] وكأنه

---

(١) ابن حزم - الفصل ٤ / ٨٠ .

(٢) أخرجه البخارى ك بدء الخلق باب مناقب على - وأخرجه مسلم ك فضائل الصحابه باب فضائل على

عليه السلام يبين لعلى أن استخلافه على المدينة اسخلاف مؤقت، كاستخلاف موسى لهارون حينما ذهب موسى لميقات ربه، وهو فى نفس الوقت يبين لعلى أن استخلاف موسى لهارون لم يكن عن بغض وإنما كان عن حب كذلك فإنه عليه السلام يستخلفه لأنه يحبه.

ثم أن الذى صار إماماً بعد موسى هو يوشع بن نون ولم يجعل موسى الإمامة فى ولده ولا فى ولد أخيه هارون بعد وفاته فكذلك الأمر بالنسبة لعلى.

يقول ابن حزم : وهذا لا يوجب له فضلاً عمن سواه، ولا استحقاق الإمامة بعده عليه السلام لأن هارون لم يل أمر بنى إسرائيل بعد موسى عليهما السلام وإنما ولى الأمر بعد موسى يوشع بن نون فتى موسى وصاحبه الذى سافر معه فى طلب الخضر وإذا لم يكن على نبياً كما كان هارون نبياً ولا كان هارون خليفة بعد موت موسى على بنى إسرائيل فقد صح أن كونه رضى الله عنه من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى إنما هو فى القرابة فقط. [١]

ويقول الإمام ابن تيمية رحمه الله :

ولم يقل أحد من العقلاء أن من استخلف شخصاً على بعض الأمور وانقضى ذلك الاستخلاف، أن يكون خليفة بعد موته على شيء، ولكن الرافضة من أجهل الناس بالمعقول والمنقول. [٢]

وحديث غدير خم : «من كنت مولاه فعلى مولاه ... الحديث» [٣] قالت الشيعة فى تقرير الاستدلال به أن المولى بمعنى الأولى بالتصرف وكونه أولى بالتصرف هو عين الإمامة.

---

(١) الفصل لابن حزم ٤ / ٧٨.

(٢) منهاج السنة ٤ / ٩١.

(٣) ذكره أحمد بن حنبل فى مسنده ١ / ٨٤ - والترمذى فى صحيحه ٢ / ٦٣٣، حديث ٣٧١٣ قال الترمذى : حديث حسن صحيح.

هذا الكلام منهم مغالطة فإن أهل العربية لا تقول المولى بمعنى الأولى بالتصرف.

ولو افترضنا جدلاً أن المولى بمعنى الأولى بالتصرف فلم نستبعد أن يكون أولى بمعنى أولى بالمحبة، وأولى بالتعظيم،وأولى بالتقدير، وأولى بالنصرة، ونحصرالأولى بمعنى الأولى بالتصرف.

وقد أورد أبو نعيم في الحلية عن الحسن بن الحسن بن علي أنهم سألوه عن حديث «من كنت مولاه» هل هو نص على خلافة عليٍّ؟

قال : لو كان النبي ﷺ أراد خلافته بذلك الحديث لقال قولاً واضحاً هكذا أيها الناس هذا ولي أمري والقائم عليكم بعدي فاسمعوا وأطيعوا» [1]

ويقول أبو حامد محمد المقدسي في رسالة في الرد على الرافضة ص٢١٣ : وجوابه ما قاله الإمام الحافظ «تقي الدين بن تيمية» رحمه الله تعالى : هذا الحديث بهذا اللفظ ليس في شيء من الكتب الأمهات إلا في الترمذي وليس فيه إلا قوله «من كنت مولاه فعلي مولاه خاصة» وأما الزيادة فليست فيه كذلك قال الشيخ الإمام «مجد الدين الفيروزآبادي» : إنه لا يصح من طريق الثقات ويقول (البيهقي) في كتاب (الاعتقاد) كما يذكر ذلك أبو حامد المقدسي أيضاً في رسالته في الرد ص ٢٢٢ : ليس في الحديث - أن صح اسناده - نص على ولاية عليٍّ بعد الرسول».

ويقول الإمام ابن تيمية :إن لم يكن النبي -ﷺ- قاله فلا كلام وإن كان قاله فلم يرد به قطعاً الخلافة بعده إذ ليس في اللفظ ما يدل عليه ومثل هذا الأمر العظيم يجب أن يبلغ بلاغاً مبيناً. [2]

(١) مختصر التحفة ص ١٦٠ .
(٢) منهاج السنة ٧/ ٣٢١ .

ويقـول أيضـاً : وفي الجـملة فـرق بين الـولي والمولى ونحـو ذلك وبـين الوالي، فـباب الـولاية التي هي ضـد العـداوة شيء، وباب الولايـة التي هي الإمـارة شيء، والحـديث إنما هو في الأولى دون الثـانيـة، والنبي -ﷺ- لم يقل من كنت واليـه فعلي واليه وإنما اللفظ «من كنت مولاه» .[1]

وواضح أن نص الحسكاني الـوارد في شـواهد التنزيل والنص المعدل لحديث غدير خم يـراد منهـما إهانة الـصحابة واتهـامـهم بالكذب وعدم طاعـة الرسـول والتطاول على عليٍّ رضي الله عنهم جميعاً.

و حديث «أقضاكم علي» [2] لا يلزم منه أن يكون هو الإمام بعد الرسول ﷺ ، بل يدل على سمة خاصة تميز علياً عن غيره. ولا يعني اتصافه بأنه الأقضى أن يكون هو الإمام، يقـول الإمـام ابن تيـمية عـن الحديث المذكور : إنه حديث غـير معروف ولم يروه أحد من كتب السنة وأهل المسانيـد المشهورة لا أحمد ولا غيره لا باسناد : صحيح ولا ضعيف... نعم قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «أبي اقرأنا وعلي أقضانا» أ.هـ.

وينسب الـشهـرستـاني في كتـابه الملل للرسـول ﷺ قـوله : «أفـرضكم زيد واقـرؤكم أبي وأعـرفكم بالحـلال والحـرام معـاذ» أي أنه يذكـر أخص وصف لمن ذكروا كذلك قال بأخص وصف لعلي «أقضاكم علي» [3].

وحديث جابر عن النبي ﷺ أنه قال : «أنا مدينة العلم وعلي بابها» حديث مطعون فيه حيث قال يحيى بن معين لا أصل له وقال البخاري أنه منكر وليس له وجه صحيح وقـال الترمذي منكر غريب وذكـره ابن الجوزي في الموضـوعـات وقال النووي والذهبي إنه موضوع والتمسك بالاحاديث الموضوعة مما لاوجه له

(١) ابن تيمية - منهاج السنة المحمدية ٧ / ٣٢٤ .
(٢) ذكره ابن ماجة في سننه ١ / ٥٥ عن أنس بن مالك.
(٣) الملل ١ / ١٦٤ .

إذ شرط الدليل اتفاق الخصمين عليه . ومع هذا ليس مفيداً لمدعاهم إذ لا يلزم من أن من كانِ باب مدينة العلم فهو صاحب رياسة عامة بلا فصل بعد النبي ﷺ . [1]

ومع الافتراض بصحة هذا الحديث وأن الرسول ﷺ قاله فمن الضروري لانتشار الإسلام أن لا يكون لمدينة العلم باب واحد بل أبواب متعددة يدخل منها كل من أراد أن يغترف أو ينهل من مدينة العلم حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى وهذا ما حدث فعلاً فقد قام كل صحابي بدوره على الوجه الأكمل. وحديث «إن علياً مني وأنا من علي وهو ولي كل مؤمن بعدي» حديث باطل لأن في اسناده أجلح وهو شيعي متهم في روايته . [2]

وحديث : «كنت أنا وعلي بن أبي طالب نورا بين يدي الله .. الحديث» حديث موضوع بإجماع أهل السنة وفي اسناده محمد بن خلف .

قال يحيى بن معين هو كذاب وقال الدارقطني متروك ولم يختلف أحد في كذبه. ويروى عن طريق آخر فيه جعفر بن أحمد وكان رافضياً غالياً وكذاباً وضاعاً وكان أكثرما يضع في مدح الصحابة وسبهم . [3]

ومع هذا فليس في الحديث المذكور أن صح أي إشارة إلى إمامة عليٍّ بعد رسول الله ﷺ . وقول الرسول ﷺ يوم خيبر : «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه».

أولاً : لا ملازمة بين كونه محباً لله ورسوله وبين كون الله ورسوله يحبه وبين الإمامة.

ثانياً : حب علي رضي الله عنه لله ورسوله لا يعني أن غيره لا يحب الله

---

(١) مختصر التحفة ص ١٦٥ .
(٢) مختصر التحفة ص ١٦٤ .
(٣) نفس المصدر ص ١٦٨ .

ورسوله فالقرآن الكريم يقول فى حق أبى بكر ورفاقه (يحبهم ويحبونه) ويقول فى أهل بدر : ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾ ويقول الرسول ﷺ فى حق معاذ : «يا معاذ أنى أحبك . . .» ولا شك أن من يحبه الرسول يحبه الله سبحانه وتعالى.

ثالثاً : نص الرسول ﷺ على عليٍّ بقوله «يحب الله ورسوله» مع وجود هذه الصفة فى غيره من الصحابة لأنه ﷺ قال : «يفتح الله على يديه» فلو ذكر مجرد الفتح ربما يوهم أن ذلك غير موجب لفضيلته لما ورد : «إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم»[1] فحتى يرفع التوهم قال : «يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» .

وفى رواية أخرى : «إن الله تبارك وتعالى ليؤيد الإسلام برجال ماهم من أهله»[2]

---

(١) ذكره الإمام أحمد فى مسنده عن أبى بكر والنسائى عن أنس . وفى البخارى كتاب المغازى «إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر» وفى مسلم بشرح النووى م١ ج٢ ص ١٢٢ . «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» والقضية ترجع إلى رجل قال عنه الرسول إنه فى النار، ولكن الرجل حارب بضراوة فى حنين واصيب وحسب المسلمون أنه قتل، حينما ابلغوا الرسول قال : إنه فى النار وتبين فيما بعد أن الرجل اصيب ولم يصبر على اصابته فقتل نفسه.

(٢) الطبرانى فى الكبير عن ابن عمرو.

من عقائد
(الإمامية الاثنى عشرية)

١ - فى التوحيد :

١ - يؤمن الشيعة الإمامية بوجود الله عز وجل وبأنه سبحانه وتعالى واحد لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأنه الخالق البارئ الرازق المعطى المانع المحيى المميت.

أى أنهم يؤمنون بتوحيد الربوبية وفى نفس الوقت يؤمنون بأنه تعالى مستحق للخشوع والطاعة والانقياد أى يؤمنون بتوحيد الألوهية.

إلا أن إيمانهم هذا يشوبه الكثير مما يؤدى إلى الشرك.

فنحن نعرف أن توحيد الألوهية معناه إفراد الله تعالى بالعبادة، فلا خشوع ولا خضوع ولا طاعة ولا انقياد إلا له عز وجل، ولا يسأل إلا هو ولا يستعان إلا به ولا ينذر إلا له.

فإذا قارنا هذا المفهوم بما هم عليه وجدناهم «يدعون عباداً غير الله حيث يقولون يا على يا حسن ويا حسين ويا زينب، وينذرون، ويذبحون لغير الله ويطلبون من الأموات قضاء الحوائج» [١]

ومن العجيب أن الخومينى يصر فى العصر الحاضر على أن الطلب من الأحياء أو الأموات أو الحجر ليس شركاً حيث يقول : إن الشرك هو طلب الشىء من غير رب العالمين على أساس كونه الهاً فإن ما دون ذلك ليس بالشرك، ولا فرق فى ذلك بين حى وميت فطلب الحاجة من الحجر أو الصخر ليس شركاً . [٢]

---

(١) محب الدين الخطيب - الخطوط العريضة ص ٤٩ .

(٢) روح الله خومينى - كشف الأسرار ص ٤٩ ط ١٩٨٨ .

ومن يفعل مثل هذه الأمور لا يبتعد كثيراً في اعتقاده عمن قال في حقه القرآن الكريم : ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾.

ومع قول الشيعة بأنهم يؤمنون بالله وبوحدانيته في الربوبية والألوهية إلا أنهم يقعون في أخطاء عقدية تتنافى مع توحيد الألوهية والربوبية حينما يعطون لأنفسهم الحق في القول بأنهم يحاسبون الناس يوم القيامة ويدخلونهم الجنة أو النار، وأن علياً يقوم بتزويج أهل الجنة في الجنة، وهو الذي يدخل أهل النار النار ويغلق باب الجنة ويغلق باب النار.

والنصوص التالية أنقلها دون تدخل وأتركها وحدها لتظهر لنا موقف الشيعة من رب العالمين الذي يقول : ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥) ﴾ (الإسراء ١٣-١٥).

عن سهل بن زياد عن محمد بن سنان عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : يا جابر إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الأولين والآخرين لفصل الخطاب دعي رسول الله ﷺ ودعي أمير المؤمنين عليه السلام فيكسى رسول الله حلة خضراء تضيء ما بين المشرق والمغرب ويكسى عليّ مثلها ويكسى رسول الله حلة وردية يضيء لها ما بين المشرق والمغرب ويكسى عليّ مثلها ثم يصعدان عندها.

(أرجو الانتباه) ثم يدعى بنا فيدفع إلينا حساب الناس، فنحن والله ندخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. ثم يدعى بالنبيين فيقامون صفين عند عرش الله عز وجل حتى نفرغ من حساب الناس فإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار بعث رب العزة علياً فأنزلهم منازلهم من الجنة وزوجهم. فعليّ والله الذي يزوج

أهل الجنة فى الجنة ... وهو والله يدخل أهل النار النار وهو الذى يغلق على أهل الجنة إذا دخلوا فيها أبوابها لأن أبواب الجنة إليه وأبواب النار إليه» [١].

هكذا فى أخص خصائص الله - الحساب فى الآخرة وادخال الجنة أو النار - يشارك الشيعة رب العباد.

وعن سهل بن زياد عن ابن سنان عن سعدان عن سماعة قال : كنت قاعداً مع أبى الحسن الأول عليه السلام والناس فى الطواف فى جوف الليل فقال يا سماعة إلينا اياب هذا الخلق وعلينا حسابهم فماكان لهم من ذنب بينهم وبين الله عز وجل حتمناً على الله فى تركه لنا فأجابنا إلى ذلك وما كان بينهم وبين الناس استوهبناه منهم وأجابوا إلى ذلك وعوضهم الله عز وجل» [٢]

٢ - وصف الله تعالى بما وصف به نفسه :

والإمامية يقولون : ليس لله تعالى صفات أصلاً ولكن تطلق على ذاته تعالى الأسماء المشتقة من تلك الصفات. [٣]

أى يقال أنه تعالى حى سميع بصير إلخ ... ولا يقال أنه تعالى يتصف بصفة الحياة والسمع والبصر يقول الطوسى الشيعى : الله تعالى منتف عنه المعانى والصفات الزائدة بمعنى أنه ليس عالماً بالعلم ولا قادراً بالقدرة بدليل أنه لو كان كذلك لزم كونه محلاً للحوادث لو كانت حادثه، وتعدد القدماء لو كانت قديمة وهما محالان» [٤].

ولا شك أن كلام الإمامية يخالف القرآن الكريم الذى يثبت الصفات لله تعالى فى الكثيرمن الآيات من مثل قول الله تعالى واصفاً نفسه بالعلم ﴿ ولا

(١) روضه الكافى رقم ١٥٤ ص ١١٣ لأبى جعفر الكلينى دار الأضواء ط ١٤١٣ .
(٢) روضة الكلينى رقم ١٦٧ ، ص ١١٦ .
(٣) محب الدين الخطيب - مختصر التحفة ص ٨٠ .
(٤) مع الشيعة الإمامية فى عقائدهم ، جعفر السبحانى ص ٣٨ .

يحيطون بشيء من علمه ﴾ ويقول ﴿ أنزله بعلمه ﴾ ويقول ﴿ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً ﴾ ويبين أنه متكلم حيث يقول : ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ ويقول : ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ ويتنافى مع ما يقول به السلف فإنهم يؤمنون ويصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من الصفات : صفات الذات وصفات الفعل.

ويؤمنون أيضاً بأن صفاته تعالى قديمة لم يزل موصوفاً بها، فأزلا وأبدا هو متصف بكل كمال يليق بذاته المقدسة يقول سبحانه وتعالى فى سورة الأحزاب ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) ﴾ ولا عليم إلا من اتصف بالعلم، ولاحكيم إلا من اتصف بالحكمة.

ويقول فى نفس السورة ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً (٥) ﴾ أى أنه تعالى متصف بالمغفرة والرحمة فى الأزل والأبد.

يقول شارح الطحاوية [1] : لم يزل متصفا بصفات الكمال :صفات الذات ، وصفات الفعل ، ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها، لأن صفاته سبحانه صفات كمال وفقدها صفات نقص ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضده»[1] .

٣ - معرفة الله لكل شيء قبل وجوده كلياته وجزئياته :

ويقول الشيعة الاثنا عشرية أنه تعالى لا يعرف الأشياء قبل وجودها، ولا يعرف الجزئيات قبل وقوعها.

وهذا القول منهم فيه تجهيل لله عز وجل، وانقاص لما وصف نفسه به من صفات الكمال ورد لتقديره السابق للأشياء، وعدم فهم ورفض للكثير من

---

(١) على بن أبى العز الحنفى شرح الطحاوية ص ٦٢ .

الآيات القرآنية مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [(١)] ، وقوله تعالى : ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ [(٢)] فالآيتان الكريمتان تؤكدان التحديد والترتيب السابق للأشياء وفق علمه سبحانه وتعالى .

والقرآن الكريم فيه الكثير من الآيات التى تبين أن علم الله عز وجل كاشف للأشياء قبل كونها وأثناء وجودها وبعد زوالها ، وعلمه سبحانه وتعالى محيط احاطة كاملة بكل صغيرة وكبيرة يقول سبحانه وتعالى : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ [(٣)]. ويقول تعالى : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [(٤)] ويقو ل سبحانه : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ﴾ [(٥)] فهو سبحانه وتعالى يعلم الأشياء قبل كونها كيف تكون ومتى تكون وأين تكون ﴿ لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كعاب مبين ﴾ .

٤ - الوجوب على الله سبحانه وتعالى مستحيل.

وهم يقولون بوجوب كثير من الأشياء على الله سبحانه وتعالى.

ومن هذ الأشياء يجب عليه سبحانه أن يكلف العباد وأن يأمرهم وينهاهم ، وأن يخبرهم بالأوامر والنواهى عن طريق رسله .

كما يجب عليه اللطف بعباده ومعنى اللطف عندهم ما يقرب العبد من الطاعة ويبعده عن المعصية يقول الطوسى : اللطف على الله واجب لأنه خلق

(١) سورة القمر آية ٤٩ .
(٢) سورة الواقعة آية ٦٠ .
(٣) سورة الرعد آية ٨- ٩ .
(٤) سورة الأنعام آية ٥٩ .
(٥) سورة الحديد آية ٢٢ .

الخلق وجعل فيهم الشهوة فلو لم يفعل اللطف لزم الاغواء وذلك قبيح والله لا يفعل القبيح » [١]

ويجب عليه أن يفعل الأصلح بعباده ، أى أن كل ما فيه صلاح وكل ما هو أصلح للعباد يجب عليه أن يفعله .

وإذا أصاب الإنسان بضر أو مكروه يجب عليه أن يعوضه .

ويرد على قول الشيعة بالوجوب بأن هذا القول يتنافى كلية مع توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، فهو وحده الخالق لكل شيء والمالك لكل شيء والمتصرف فى الكل ، والموجب على الكل ، وليس لأحد من خلقه أن يوجب عليه أى شيء والقول بذلك يشعر بالنقص كيف وهو سبحانه وتعالى المتصف بكل كمال والمنزه عن كل نقص .

وهو وحده سبحانه وتعالى المستحق للعبادة بكل صورها وبكل معانيها .

وهو عز وجل إذ يعطى فإنما يعطى بفضله ، وحينما يمنع إنما يمنع بعدله ، لا راد لإرادته : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (يس الآية ٨٢) وأى قدرة للعبد أن يوجب على مالكه الحقيقى شيئاً فكل ما أعطى فهو من فضله ورحمته وكل ما منع فهو من عدله وحكمته وهو المحمود فى كل أفعاله . [٢]

ثم أن الوجوب يتطلب طرفين طرف آمر وطرف مأمور ، والآمر دائمًا هو الله عز جل ، وليس لأحد من خلقه أن يتحول من طرف المأمور ليكون آمراً ، لأن الكل عبيده وليس للعبيد المخلوقين أن يوجبوا على خالقهم التكليف أو اللطف أو الصلاح أو الأصلاح أو العوض .

والقول بالوجوب يتنافى مع قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ (السجدة ١٣) وقوله : ﴿ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (سورة الأنعام ١٤٩) ، وقوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ ﴾ (يونس ٩٩) .

---

(١) مع الشيعة الإمامية فى عقائدهم ص ٣٩ .

(٢) مختصر التحفة ص ٨٦ .

٢ - فى رؤية الله عز وجل :

ومن معتقدات الشيعة عامة والإمامية خاصة عدم جواز رؤية الله سبحانه وتعالى فى الدنيا واستحالة وقوع رؤيته للمؤمنين فى الآخرة.

يقول الطوسى الشيعى : ولا يجوز عليه تعالى الرؤية بالبصر لأن من شرط صحة الرؤية أن يكون المرئى نفسه أو محله مقابلاً للرائى بحاسة أو فى حكم المقابل والمقابلة تستحيل عليه لأنه ليس بجسم ومقابلة محله أيضاً فيستحيل عليه لأنه ليس بعرض ولأنه لو كان مرئياً لرأيناه مع صحة حواسنا وارتفاع الموانع المعقولة ووجوده لأن المرئى إذ وجد وارتفعت الموانع المعقولة وجب أن نراه وإنما لا نراه أما لبعد مفرط أو لقرب مفرط أو لحائل بيننا وبينه أو للطافه أو صغر، وكل ذلك لا يجوز عليه تعالى لأنه من صفات الاجسام والجواهر وبمثل ذلك يعبنه العلم أنه لا يدرك بشيء من الحواس الباقية. [1]

ومعتقدهم هذا مخالف للقرآن والسنة المطهرة ولما عليه السلف الصالح.

فرؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة فى الدنيا أما فى الآخرة فواقعة للمؤمنين، والدليل على امكانها يؤخذ من الآية الكريمة التالية يقول سبحانه وتعالى ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ (الأعراف ١٤٣)

فقد طلب موسى عليه السلام رؤية ربه ولا يعقل أن يطلب أمراً مستحيلاً إذ هو كليم الله وأعلم بما يجب وما يستحيل وما يجوز فى حقه تعالى، وطلبه يشير إلى جوازها، والله سبحانه وتعالى حينما طلب موسى الرؤية لم يقل له لا أرى وإنما قال لن ترانى وهذا يحتمل لن ترانى الآن أو لن ترانى فى الدنيا، ولم يقل أحد بوقوع الرؤية فى الدنيا وإنما قالوا بالجواز فقط.

(١) محمد بن الحسن الطوسى - الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد ص٧٤ دار الأضواء ١٤٠٦هـ.

ثم أنه عز وجل حينما طلب موسى الرؤية علقها سبحانه وتعالى على أمر ممكن وهو استقرار الجبل وما علق على ممكن فهو ممكن إذا الرؤية ممكنة.

أما عن وقوعها للمؤمنين فى الآخرة فالآيات الكريمات والأحاديث الشريفة تتضافر لتؤكد الوقوع للمؤمنين فى الآخرة يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ (القيامة ٢٢ ، ٢٣) أى أن وجوه المؤمنين يوم القيامة مشرقة لأنها تنظر إلى ربها.

ومعروف أن النظر المعدى بالى فى اللغة العربية يعنى الرؤية الحقيقية نقول نظرت إلى فلان أى رأيته رؤية حقيقية ويؤيد هذا وجود القرائن وهى فى الآية الكريمة الوجوه الناضرة التى فيها العيون الناظرة يقول شارع الطحاوية ص ١٢٧ : (وإضافة النظر إلى الوجه الذى هو محله فى هذه الآية وتعديته بأداة إلى الصريحة فى نظر العين واخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه حقيقة موضوعة فى أن الله أراد بذلك نظر العين التى فى الوجه إلى الرب جل جلاله).

وقد أخبر سبحانه وتعالى أن الكافرين عقاباً لهم سيحجبون عن رؤية ربهم يوم القيامة يقول تعالى ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ (المطففين ١٥).

و لقد سئل ﷺ عن الزيادة فى قوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ فقال عليه الصلاة والسلام رؤية ربهم.

وصح عنه ﷺ أنه قال : «انكم سترون ربكم عيانًا يوم القيامة كما ترون هذا القمر لا تضامون».

وما يتمسك به المنكرون فى نفى الرؤية ليس إلا للاستبعاد وقياس الغائب على الشاهد.. وغاية سوء الأدب ممن يؤول آيات الكتاب بمجرد استبعاد عقله

الناقص ويصرفها عن الظاهر ولا يتفكر ولا يتأمل فى معانيها .[1]

وهم يستندون فى إنكارهم إلى قوله تعالى : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الأنعام ١٠٣) فهم يسوون بين الإدراك والرؤية مع أن الحقيقة تقول إن الإدراك هو الاحاطة بكل جوانب الشىء أما الرؤية فليست كذلك، ومثبتوا الرؤية لا يقولون بادراكه تعالى لقوله ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ وإنما يقولون ان الأبصار تراه عز وجل يوم القيامة للأدلة السابقة ولغيرها .

(١) مختصر التحفة ص ٩٨ .

[٣]فى النبـــوة

الإيمان بالرسل والأنبياء من أركان الإيمان ومنكره كافر. فالإنسان فى حياته فى أشد الحاجة لمعرفة من أين أتى؟ وإلى أين يذهب؟ وما هى الغاية من وجوده؟ وكيف يحقق هذه الغاية؟

وهو فى أشد الحاجة لمن يعرفه بربه، وبما يجب له وما يستحيل عليه ومايجوز فى حقه سبحانه وتعالى.

وهو فى حاجة إلى معرفة بعض ما يتصل بالأمور الغيبية، كعذاب القبر ونعيمه والآخرة وما فيها من حشر وصراط وميزان وجنة ونار.

ثم هو فى حاجة إلى الكثير من التشريعات السماوية التى تنظم علاقته بربه وبنفسه وبالآخرين.

وهذه الأمور وغيرها كثير لا يعرفها الإنسان إلا من خلال رسل الله، بعثة الرسل إذا من الأمور الهامة الضرورية ولهذا يتفضل بها علينا المولى سبحانه وتعالى.

١ - ولقد نظر المعتزلة والشيعة فى أهمية ارسال الرسل وقالا أن بعثة الأنبياء من الأمور الواجب على الله تعالى فعلها أى يجب عليه سبحانه وتعالى أن يرسل الرسل.

ومع قناعتنا وإيماننا بأن ارسال الرسل من الأمور الهامة إلا أننا نرد على الشيعة والمعتزلة الذين يقولون بوجوب إرسال الرسل على الله بما يلى :

أ - القول بالوجوب لا يتناسب مع كونه عز وجل الخالق الرازق المعطى المانع المتصرف فى الوجود كله، ولا يتناسب فى نفس الوقت مع كونه سبحانه

المستحق للخشوع والخضوع والطاعة والانقياد، أو بتعبير آخر لا يليق بمرتبة الربوبية والألوهية فهو عز وجل الحاكم الموجب على عباده وليس لعباده أن يوجبوا عليه أى شيء.

ب - القول بالوجوب يشعر بلحوق النقص به عز وجل وهو سبحانه متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص.

جـ - إن إرسال الرسل منه عز وجل تفضل ومنحة ومنة، فهو سبحانه خالق الكل والمتصرف فى أمورهم هو وحده له أن يتصرف فى عباده بالأمر والنهى وله أن يختار من عباده من يعده لتحمل الرسالة ويأمره بتبليغها إلى الناس.

د - لو كان بعث الأنبياء واجبا عليه لم يمتن ببعثهم فى كثير من الآيات قال تعالى : ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ وظاهر أنه ليس فى آداء الواجب منه وأيضاً لو كان واجباً لما سأله إبراهيم عليه السلام وطلب منه البعث فى ذريته ... حيث قال : ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم﴾ لأن الدعاء بما هو واجب الوقوع لغو لا معنى له والأنبياء منزهون عن اللغو. [(١)]

٢ - الشيعة يقولون بجواز التقية على الرسل.

ويقول الشيعة بجواز التقية على الرسل بل يقولون يجب عليهم التقية إذا خافوا من أى أمر يهدد دعوتهم. [(٢)]

وهذا الكلام من الشيعة هو طعن فى عصمة الأنبياء فالله سبحانه وتعالى يحفظ ظواهرهم وبواطنهم من ترك مأمور به أو التلبس بمنهى عنه، ولا تتم

---

(١) مختصر التحفة ص ٩٩ .

(٢) «وجوزوا لهم اظهار الكفر تقيه احتزازا عن القاء النفس فى التهلكه» تقريب المرام ص ٥٦ عبد القادر المسنندجى ج ٢ ص ٦٤ .

رسالة الرسول إلا إذااتسم شخصه بالصدق والأمانة والتبليغ والفطانة وقولهم هو طعن فى هذه الصفات الرئيسة فى أنبياء الله ورسله.

والتقية لو جازت فى حق الأنبياء لا يمكن الوثوق ولا الاعتماد على أقوالهم : (ولو كانت التقية جائزة للأنبياء لما أمكن تبليغ أحكام الله تعالى للناس بالضرورة ... فيجب عليهم أن يبلغوا كل ما أمرهم بتبليغه لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك ﴾ ولو لحقهم مخافة .. ولو كان الأنبياء فعلوا بالتقية - كما يدعى الشيعة - لما عاداهم الكفار وكذبوهم وآذوهم) [1] وتعرضهم للكثير من الآلام والقتل وصبرهم على أقوامهم يدل على أن التقية ليست من الأمور الجائزة وبخاصة بالنسبة للأنبياء.

٣ - ويقولون بمشاركة الأمير للنبى فى المعراج :

ومن الإمامية من يقول بمشاركة على بن أبى طالب أو بتعبيرهم الأمير فى معراج الرسول، ومنهم من يقول لم يعرج بالأمير ولكنه شاهد ورأى ما شاهده الرسول فى معراجه إلا أن الأخير شاهد وهو على الأرض وما شاهده الرسول فى السماء.

وهذا الكلام منهم تكذيب لما عرفه المسلمون وجاء به القرآن الكريم وجاءت به السنة المشرفة من أن الإسراء والمعراج تم لشخص الرسول ﷺ دون مشاركة أى أحد يقول سبحانه وتعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا ﴾ والمفسرون جميعاً يقولون أن المعنى بعبده هو محمد ﷺ والقرآن الكريم يقول : ﴿ مازاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ والمعنى فى الآيات الكريمة هو محمد ﷺ دون مشاركة أى أحد.

والقول بأن الأمير رأى وهو فى الأرض ما رآه النبى أثناء عروجه مع ما فيه من

---

(١) مختصرة التحفة ص ١٠٦ .

الكذب فإنه يوحى بأن مرتبة الأمير أفضل بكثير من مرتبة النبى ولا يقول بهذا إلا كاذب.

٤ - والإمامية يقولون أن الأمير يوحى إليه والفرق بين وحى الرسول وبين وحى الأمير أن الرسول كان يشاهد والأمير يسمع صوته فقط [١]

فقد سئل محمد الباقر عن قول الله عز وجل ﴿وكان رسولاً نبياً﴾ ما الرسول وما النبى ؟ قال : (النبى الذى يرى فى منامه ويسمع الصوت ولايعاين الملك. والرسول الذى يسمع الصوت ويرى فى المنام ويعاين الملك - قال السائل: الإمام ما منزلته ؟ قال يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك) [٢].

وهذا الكلام منهم كذب على أنبياء الله ورسله إذ أن الفرق الأساسى بينهم وبين بقية البشر هو الوحى فلا وحى إلا للأنبياء والرسل يقول سبحانه وتعالى : ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى﴾ فهومثل البشر إلا أن الفرق هو أنه يوحى إليه، أى قل يا محمد للناس أنك بشر مثلهم إلا أن الفرق بينك وبينهم أنه يوحى إليك كالأنبياء الذين سبقوك أما بقية البشر فلا وحي معهم.

والرسول محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين يقول تعالى : ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبين﴾ ولما كان الوحى خاصاً بالأنبياء ومحمد ﷺ هو خاتمهم فقد ختم الوحى به عليه السلام ولا وحى بعده.

٥ - وهم يدعون أن لعلى رضى الله عنه من الفضل مثل ما لمحمد ﷺ والراد

---

(١) مختصر التحفة ص ١١٤ .

(٢) الأصول من الكفافى ج١ ص ٢٣١ ، وفيه أيضاً أن على الرضا سئل عن الفرق بين الرسول والنبى والإمام فقال : «إن الرسول الذى ينزل عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحى وربمارأى فى منام والنبى ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص أو يسمع، والإمام هو الذى يسمع الكلام ولايرى الشخص».

على عليٍّ هو راد على الله عز وجل، والمدخل إلى الله تعالى لا يكون إلا عن طريق عليٍّ والأئمة من بعده فهم أركان الأرض وحجة الله البالغة. (١)

وينسبون إلى عليٍّ رضي الله عنه أقوالاً تجعله مثل الرسول ﷺ بل ربما يفضله حيث يعلم الآجال والمصائب باعلام من الله عز وجل، والنص التالي - والذى اعتقد أن عليًا يبرأ من نسبته له - يوضح الصورة أكثر عن أبى عبد الله جعفر الصادق قال: (كان أمير المؤمنين كثيراً ما يقول أنا قسيم الله بين الجنة والنار وأنا الفاروق الأكبر وأنا صاحب العصا والميسم ولقد أقرت لى جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقروا به لمحمد ﷺ ولقد حملت على مثل حمولته - أى كلفت مثل ما كلف - وهى حمولة الرب وأن رسول الله ﷺ يدعى فيكسى وأدعى فاكسى ... ولقد أعطيت خصالاً ما سبقنى إليها أحد قبل - هكذا!! - علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب فلم يفتنى ما سبقنى ولم يعزب عنى ما غاب عنى ... كل ذلك من الله مكننى فيه بعلمه) (٢)

وفى نص آخر مثل السابق ألا أن به: (ولقد أعطيت الست علم المنايا والبلايا والوصايا وفصل الخطاب وأنى لصاحب الكرات - أى الرجعات إلى الدنيا - ودولة الدول وأنى لصاحب العصا والميسم والدابة التى تكلم الناس) (٣) التى هى من علامات الساعة الوارد ذكرها فى قوله تعالى ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾.

---

(١) راجع الأصول للكافى ج١ ص ٢٥٣، وفى النص «المتعقب عليه فى شيء من أحكامه كالمتعقب على الله وعلى رسوله والراد عليه فى صغيره أو كبيرة على حد الشرك بالله ... باب الله الذى لا توتى إلا منه وسبيله الذى من سلك بغيره هلك...».

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) نفسه ص ١٩٨ - وقسيم الله أى بسبب حبى يدخل من أحبنى الجنة وبسبب بغضى يدخل من أبغضنى النار، والفاروق أى فرق بى بين الحق والباطل، والعصا المراد أن عصا موسى عندى، والميسم لامكواه أى أنه يسم على جبين المنافق حتى يميز بكيه. والمنايا والبلايا، أى آجال الناس ومصائبهم، وعلم ما مضى، وعلم ما سيأتى.

[٤] فى الإمامة والعصمة

رأينا فيما سبق أن الإمامية سموا بذلك لأن بؤرة الاهتمام عندهم ونقطة الارتكاز فى عقائدهم هى الإمامة.

فالإمامة أصل من أصول الدين مثلها مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج فكما يجب الإيمان بالأركان السابقة كذلك يجب الإيمان بالإمامة.

يقول محمد رضا المظفر - وهو من الإمامية- فى كتابه عقائد الإمامية ص ٤٩ : (نعتقد أن الإمامة من أصول الدين لا يتم إلا يمان إلا بالاعتقاد بها) وهم يؤيدون دعواهم هذه بادعاء كاذب أن محمد الباقر قال : (بنى الإسلام على خمس الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشىء كما نودى بالولاية) [١] ويعنون بالولاية الإمامة.

وفى نص آخر عن زرارة عن أبى جعفر قال : بنى الإسلام على خمسة أشياء على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ، قال زرارة : أى شىء من ذلك أفضل؟ فقال : الولاية أفضل ؛ لأنها مفتاحهن، والوالى هو الدليل عليهن.

فقلت : والذى يلى ذلك فى الفضل فقال الصلاة ...» [٢]

وهكذا تكون الولاية فى رأيهم أفضل من الصلاة، وتأتى الصلاة التى هى عماد الدين فى المرتبة الثانية!!

وهناك رواية تقدم الولاية على الأركان الأخرى فعن محمد الباقر (بنى الإسلام على خمس الولاية والصلاة والزكاة وصوم رمضان والحج) [٣].

وقد سئل الباقر عن ولاية على رضى الله عنه أمن الله أم من رسوله؟ فقال

---

(١) أصول الكافى فى ج٢ ص ٢١ .

(٢) أصول الكافى ج٢ ص ٢٢ .

(٣) نفسه ج٢ ص ٢٥ .

للسائل : (ويحك كان رسول الله ﷺ أخوف لله من أن يقول ما لم يأمره به الله، بل افترضه كما افترض الله الصلاة والزكاة والصوم والحج)[١].

وكما يجب إرسال الرسول لاحتياج الناس إليه في أمور دينهم ودنياهم كذلك يجب النص على الإمام لاشتراك النبى والإمام فى سبب الوجوب وليس الإمامة من الأمور العامة التى يوكل أمرها إلى الشورى أو اختيار الأمة بل هى من أصل الدين وبالتالى : (لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان الولى الذى قبله)[٢].

وكما يختار الله سبحانه وتعالى ويصطفى ويجتبى من بين خلقه الرسل الذين يتحملون الرسالة ويبلغونها للناس فهو سبحانه وتعالى يختار للإمامة من يشاء ويوحى إلى نبيه بالنص عليه وهذا يعنى أن الإمامة منصب إلهى لها ما للنبوة من قداسة يقول محمد الحسين :

(إن الإمامة منصب الهى كالنبوة فكما أن الله يختار للنبوة من يشاء فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه)[٣]

والإمام فى اعتقادهم معصوم كالنبى ومتصف بما اتصف به النبى من صفات الكمال وهو خلوه منذ صغره من الكبائر والصغائر ما ظهر منها وما بطن بل هو أيضاً خلو من السهو والغفلة يقول الطوسى : (يجب أن يكون الإمام معصوماً من القبائح والاخلال بالواجبات لأنه لو لم يكن كذلك لكانت علة الحاجة قائمة فيه إلى آخر لأن الناس إنما احتاجوا إلى الإمام لأنهم غير معصومين ومحال أن تكون العلة حاصلة والحاجة مرتفعة لأن ذلك نقض للعلة)[٤].

يقول الخمينى فى كتابه : (نحن نعتقد أن المنصب الذى منحه الأئمة للفقهاء

---

(١) نفسه ١ / ٣٥٠ .
(٢) عقائد الإمامة ص٥٠ .
(٣) أصل الشيعة ص ٩٨ .
(٤) الاقتصاد ص ٣٠٥ .

لا يزال محفوظًا لأن الأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة ونعتقد فيهم الإحاطة بكل ما فيه مصلحة المسلمين) [١].

والنص يعنى أنهم محفوظون عن كل شىء حتى السهو والغفلة وعلمهم علم احاطى يشمل كل صغيرة وكبيرة، ولقد ذهبوا لأبعد من ذلك حيث رفعوا مرتبة أئمتهم فى العلم عن مرتبة الأنبياء والملائكة فالأئمة يعلمون ما علمه الأنبياء والملائكة ثم لهم مع هذا علم خفى يعلمهم الله اياه دون غيرهم.

ويدعى الكلينى أن جعفر الصادق قال : (إن لله تعالى علمين علمًا أظهر عليه ملائكته وأنبيائه ورسله فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه فقد علمناه وعلماً استأثر به فإذا بدأ لله فى شىء منه أعلمنا ذلك وعرضه على الأئمة الذين كانوا قبلنا) [٢]

وفى هذا الإطار أيضاً يفترون على محمد الباقر حيث يدعون أنه قال : قال علىّ رضى الله عنه (ولقد أعطيت الست علم المنايا والبلايا والوصايا وفصل الخطاب وأنى لصاحب الكترات ودولة الدول وأنى لصاحب العصى والدابة التى تكلم الناس) [٣].

والأئمة هم أولو الأمر الذين أمر الله بطاعتهم وهم شهداء على الناس وأبواب الله والسبيل إليه أمرهم أمر الله ونهيهم نهيه وطاعتهم طاعته ولا يجوز الرد عليهم والرد عليهم كالرد على الرسول والراد على الرسول كالراد على الله فيجب التسليم لهم والانقياد لأمرهم. [٤]

---

(١) الحكومة الإسلامية ص ٩١ . ومن قبل الخومينى قال الإمام على - كما يقولون - (إن الله تبارك وتعالى طهرنا وعصمنا جعلنا شهداء على خلقه) اصول الكافى ١ / ٢٤٧ .

(٢) الكافى للكلينى ١ / ٣١٤ .

(٣) عقائد الإمامية ص ٥٤ .

(٤) راجع الأصول ١ / ١٩٦ . وراجع فى نفس المعنى ص ٢٥٥ .

والإمام عندهم هو القرآن الناطق أما القرآن الكريم فهو القرآن الصامت ولا يفهم الصامت إلا بالعودة إلى الناطق الذى هو الإمام الذى يوضح ما يريده الله.
وهم يفرقون بين الشريعة والحقيقة ويقولون أن الشريعة هى الأحكام التى تهم العوام وهى التى جاء بها النبى أما الحقيقة أو العلم الخاص فلا يعلمه إلا أئمة آل البيت وهؤلاء يتلقون علم الحقيقة بالوراثة وتبقى سراً . [١]

والشيعة يدعون أن اسم الله الأعظم يتكون من ثلاثة وسبعين حرفاً كان عند آصف بن برخيا حرف واحد منها به نقل عرش بلقيس ملكة سبأ حينما قال سليمان : أيكم يأتينى بعرشها فقال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وقال الذى عنده علم من الكتاب وهو هنا آصف أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك وفعلاً أتى بعرش بلقيس فى لحظات قلائل.

وعند الله سبحانه وتعالى حرف منها استأثر به فى علم الغيب. عنده أما أئمتهم فعندهم واحد وسبعون حرفاً.

وهكذا يريد الشيعة أن يحيطوا أئمتهم بهالة من العظمة والقدرة على كل شيء ويدعون لأئمتهم ما لم يدعيه أحد من الصفوة المجتباه لتحمل رسالة السماء رسل الله عليهم الصلاة والسلام يقول القرآن الكريم : ﴿ قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ﴾ .

فرسول الله وخاتم الأنبياء يقول فى حقه القرآن ما يقول ويدعى الشيعة لأئمتهم ما يقول به هذا النص.

(عن أبى جعفر قال : إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير

---

(١) الخطوط العريضة ص ٥١ .

بلقيس حتى تناول السرير ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين. ونحن عندنا من الاسم الأعظم واحد وسبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به فى علم الغيب عنده) [1] .

و يدعون أن عصا موسى التى قال عنها : ﴿وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى﴾ والتى بها شق الأرض وتحولت بعد القائها إلى حية تسعى تلقف الإفك والشرك والظلم.

هذه العصا كانت لآدم فصارت لشعيب ثم لموسى وهى عند أئمتهم تنطق إذا أريد منها أن تنطق وتفعل الأعاجيب بل كل ما تؤمر به .

والنص التالى يوضح هذه الدعوى :

عن أبى جعفر قال : (كانت عصا موسى لآدم عليه السلام فصارت إلى شعيب ثم صارت إلى موسى بن عمران وإنها لعندنا وأن عهدى بها آنفاً وهى خضراء كهيئتها حين انتزعت من شجرتها وإنها لتنطق إذا استنطقت أعدت لقائمنا يصنع بها ما كان يصنع موسى وإنها لتروع وتلقف ما يأفكون وتصنع ما تؤمر به) [2]

• وقفة نقدية موجزة :

الإمامة من الأمور الهامة للمسلمين لأن الإمام هو الذى يقوم بتنفيذ أحكام الله سبحانه وتعالى بعد النبى ﷺ ويرعى شئون المسلمين ويرفع المظالم ويجهز الجيوش للدفاع عن العقيدة .. إلخ ولأهميتها كثر الحديث فيها بين العلماء والفقهاء عند كثير من الطوائف الإسلامية.

ويعد الخلاف فى الإمامة من الخلافات الأولى التى نشأت بين الأمة يقول

(١) الأصول من الكافى ١ / ٢٨٨ .
(٢) الأصول من الكافى ١ / ٢٨٩ .

الشهرستاني في الملل ١ / ٢٢ : (وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة ... وقد سهل الله تعالى ذلك في الصدر الأول).

والإمامة الحقة لا تتم بالوراثة وإنما بالاختيار الحر والشورى لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ وأيضاً لاتتم إلا ببيعة المسلمين.

● لقد حدد العلماء طرائق اختيار الإمام فيما يلي :

١ - اختيار حر عن مشورة من غير عهد أحد كاختيار أبي بكر رضي الله عنه ولابد من البيعة.

٢ - أن يعهد الخليفة لمن يليه إذا لم تكن له به قربة ولابد من البيعة مع العهد كما حدث في أمر استخلاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٣ - أن يعهد الخليفة إلى واحد من ثلاثة فاكثر يعدون من أفضل القوم ولابد من البيعة أيضاً كما حدث في أمر استخلاف عثمان بن عفان.

ولكل عصر أن يختار ما يناسبه من الطرق الثلاثة المهم أن تكون البيعة هي الأمر المشترك بين كل الطرق. [1]

ولم يقل أحد من علماء المسلمين بنص الرسول ﷺ على إمامة علي رضي الله عنه بعده ولم يقل عليّ ذلك - وسبق أن ناقشنا بعض دعاوى الشيعة ، راجع مناقشة الأدلة التي تدعيها الإمامية على النص على إمامة عليٍّ رضي الله عنه.

ولم يقل أحد من المسلمين بانحصار الإمامة في علي بن أبي طالب وأولاده من بعده بدليل أن علياً نفسه لم يطعن في خلافة من كان قبلة من الأئمة بل أيدهم.

(١) راجع تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ١ / ٨٦ .

ولم يذكر أحد من الصحابة أى نص يشير أو يؤكد ما يقول به الشيعة وبخاصة الإمامية منهم مع أن أمر الإمامة كما رأينا من الأمور الهامة ورغم أهمية الإمامة للمسلمين فلم يرد نص من الرسول ﷺ يجعلها ركناً من أركان الإيمان أو الإسلام فالمشهور أنه ﷺ حينما سئل عن الإيمان حدده فى «الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره».

وحينما سئل عن الإسلام حدده بأنه : «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع » وهكذا بقية ما ورد فى الحديث الشريف عن الإحسان والساعة... إلخ.

والقول بوجوب إرسال الرسل على الله هو من أقوال المعتزلة والشيعة أما نحن فنقول أن ارسالهم هو هبة وعطية وتفضل من الله سبحانه وتعالى على خلقه الذين هم عبيده هو عز وجل المتصرف فى شئونهم إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم وبالتالى فقولهم بوجوب النص على الإمام قياساً على القول بوجوب ارسال الرسل قول باطل لبطلان المقيس عليه.

وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للرسل فمن باب أولى لايجب عليه سبحانه نصب الإمام لأن القول بالوجوب عليه مناف للألوهية والربوبية فكيف يكون هو المستحق للعبادة وهو الخالق المتصرف فى كل شىء ثم يوجب عليه الغير وهو من الأشياء نصب الإمام. ولو كانت الإمامة بنص من الله تعالى أو بنص من الرسول ﷺ لما كان فى وسع على رضى الله عنه أن يتردد لحظة واحدة فى تنفيذ النص الدينى وخاصة بعد استشهاد عثمان رضى الله عنه.

فمما يذكر أنه بعد استشهاد عثمان رضى الله عنه قالوا لعلى رضى الله عنه (مد يدك نبايعك على خلافتك فقال : دعونى والتمسوا غيرى وأن تركتمونى فإنا كأحدكم ولعلى أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم وأنا لكم وزير خير

لكم منى أمير) .[١]

وقد فوض الحسن بن على أمر الإمامة لمعاوية فبايعة على ذلك فلو كان الأمر بالنص لما أمكنه أن يفعل ذلك لما فيه من مخالفة الله ورسوله ﷺ والإمام قبله كما يقولون.

والشيعة حينما يقولون بعصمة الأئمة إنما يستدلون على ذلك بقولهم : (إن الإمام لو لم يكن معصوماً للزم التسلسل والتسلسل باطل بيان الملازمة أن المحوج لنصب الإمام هو جواز الخطأ فلو جاز الخطأ عليه أيضاً لافتقر إلى آخر)وهكذا يتسلسل [٢]

والإجابة نمنع أن المحوج لنصب الإمام هو جواز الخطأ على الأمة بل المحوج له هو تنفيذ الاحكام ودفع المفاسد والحفاظ على الأمة وتنفيذ العدل بين الناس وهذه الأمور لاتحتاج إلى العصمة وإنما إلى اتصاف الإمام بالعدل والنزاهة والاجتهاد والقدرة على متابعة أحوال الرعية وتقديم الخدمات لهم.

والأنبياء هم الصفوة الممتازة الذين اصطفاهم الله من بين البشر يقول سبحانه وتعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ﴾ (الحج ٧٥) .

ويقول عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران ٣٣) .ويقول سبحانه : ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ ﴾ (ص ٤٧) . وهم الذين يتلقون عن طريق الوحى ما ينفع الناس فى دينهم ودنياهم.

وهم المؤيدون بالأمور الخارقة للعادة التى يظهرها الله على أيديهم تصديقاً لهم على دعواهم.

(١) بطلان عقائد الشيعة ص ٢٩ نقلاً عن نهج البلاغة.
(٢) مختصر التحفة ص ١٢١ .

وهم المكلفون بالتبشير والإنذار حتى لا يتعلل الناس يوم القيامة بنقص عقولهم. قال تعالى: ﴿ رُسُلاً مُبشِّرِين ومُنذِرِينَ لِئَلاً يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (النساء ١٦٥).

وهم مأمورون بالتبليغ يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (المائدة ٦٧). ولسلامة التبليغ ولكى يكونوا القدوة والمثل الأعلى حفظ الله ظواهرهم وبواطنهم من ترك مأمور به أو ارتكاب منهى عنه أى أنه سبحانه عصمهم دون ما سواهم.

ولد ختم الأنبياء والرسل بمحمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين قال تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾، ويقول تعالى: ﴿ وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾.

وهو ﷺ أكمل الخلق جميعاً خلقة وخلقاً وهو معصوم ومطاع .. وخلفاؤه يعتدون به ... وأنهم أصحاب ورع وفضيلة عظيمة ولكنهم لا يشتركون معه فى العصمة ولا يساونه فى الفضل والكمال كما تفترى الشيعة فى أئمتهم. [1]

• **والشيعة حينما يقولون بعصمة الأئمة إنما يرمون إلى تحقيق أهداف منها:**

أ - الارتفاع بمستوى الأئمة ليتساووا مع الأنبياء فى مرتبتهم.

ب - جعل الأئمة هم مصدر الأحكام وبالتالى هم المشرعون وهم المحافظون على التشريع ولهم وحدهم حق الطاعة وأمرهم نافذ لأنه من الله تعالى.

جـ - وهم وحدهم الذين يملكون أن يقولوا للناس ما يريد الله منهم كما يملكون أن يوضحوا ما قال به القرآن يقول أبو زهرة: (وإذا كانت عقول الرجال لا تبلغه عندهم فعقول الأوصياء الاثنى عشر هى التى تبلغه .. فهم مفاتيح

---

(١) بطلان عقائد الشيعة ص ٣١.

القرآن وفهمهم له هو فهم من لدن الله تعالى فهم ملهمون فى كل ما يقولون وما يحكمون به .[١]

د - تأكيد القول بأن الإمامة ليست من المصالح الدنيوية بل هى ركن الدين ولا يجوز للنبى اغفالها بل يجب تعيين الإمام ولكى يخلص التعيين من أى خطأ أو عبث يلزم أن يكون النبى المعصوم أو الإمام المعصوم.

هـ - أما الهدف الأخير فهو أبطال إمامة أو خلافة من سبق علياً رضى الله عنه لأن أحداً من المسلمين لم يقل بعصمتهم (وهم بهذا الاعتبار إناس غير مؤهلين لاشغال هذا المنصب الدينى الذى هو ركن الدين وقاعدته.[٢]

والشيعة حينما يدعون لأئمتهم علم الغيب يقولون : (إن الإمام إذا شاء أن يعلم علم)[٣] ويدعون أن هذا القول من أقوال جعفر الصادق، كما يدعون أن الأئمة يعلمون متى يموتون وإنهم لا يموتون إلا باختيار منهم[٤].

يقول الكلينى : (عن أبى بصير قال : قال أبو عبد الله عليه السلام أى أمام لايعلم ما يصيبه وإلى ما يصير فليس ذلك بحجة لله على خلقه)[٥].

وهم بقولهم هذا يتناقضون مع قوله سبحانه وتعالى : ﴿وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو﴾ وقول تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ (لقمان ٣٤) .

وإذا كانوا حقاً يؤمنون بمحمد ﷺ رسولاً لله عز جل وخاتماً للأنبياء

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ٢ / ٢٨٤ .

(٢) دراسات فى الفرق ص ٤٨ نقلاً عن معالم أصول الدين للرازى.

(٣) الأصول من الكافى ١ / ٣١١ .

(٤) الشيعة والسنة ص ٦٦ .

(٥) الأصول من الكافى ١ / ٣١٧ ويروى الكلينى أيضاً أن موسى بن جعفر حدد وقت موته بقوله بعد غد أموت وكذلك حدد على بن الحسين حيث قال لابنه محمد الباقر : يا بنى إن هذه الليلة التى أقبض فيها.

والمرسلين فعليهم أن يؤمنوا أن أئمتهم توابع لمحمد ﷺ وليس التابع كالأصل وقد أمر الله سبحانه الأصل أن يقول للناس كل الناس أنه لا يملك من أمر نفسه شيئاً ولا يملك خزائن الأرض ولايعلم الغيب وما هو إلا بشر يوحى إليه ونذير قال تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف ١٨٨) . ويقول تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ (الأنعام ٥٠) .

وإذا كان علم الهدى وإمام المتقين وخاتم النبيين ينفى الله عنه الأمور السابقة فكيف يستحل الشيعة لأنفسهم أن يصفوا أئمتهم وهم بشر لاوحى معهم بمعرفة الغيب كيف يدعون أن علياً رضى الله عنه قال : (أعطيت خصالاً ما سبقنى إليها أحد قبل علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب فلم يغتنى ما سبقنى ولم يعزب عنى ما غاب عنى) .

ويدعون أن جعفر الصادق قال : (لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنى أعلم منهما ولا نبأتهما بما ليس فى أيديهما ، لأن موسى والخضر أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هوكائن حتى تقوم الساعة وقد ورثناه من رسول الله ﷺ وراثة)[1] وقال : (إنى لأعلم ما فى السموات والأرض وأعلم ما فى الجنة وما فى النار وأعلم ما كان وما يكون)[2].

ما هو المسوغ لهم فى كل ما يقولون ؟ إنه استحلال الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ وعلى أئمتهم وعلى المسلمين أجمعين . وهذا الكذب هو الذى دفعهم للتفريق بين الشريعة والحقيقة.

(١) الأصول ١ / ٣١٩ .
(٢) الأصول ١ / ٣١٩ .

والقول بأن الشريعة جاء بها محمد ﷺ للعوام أما الحقيقة فهى علم خاص من الله يعلمه لأئمتهم. وهو الذى دفعهم للقول بقرآن ناطق وهو الإمام وقرآن صامت وهو القرآن الكريم.

والمسلم الحق يعلم أن دين الله واحد يشتمل على العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق وهى أمور فى متناول كل البشر فقد جاء بها محمد ﷺ من عند ربه وهى مبثوثة فى القرآن الكريم المنقول بالتواتر والمحفوظ بحفظ الله قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ وما على الإنسان أى إنسان فى أى زمان ومكان إلا أن يصغى للبشير والنذير ويتدبر ويتفكر.

[٥] فـــى البـــداء

من المعتقدات التى يقول بها الشيعة البداء على الله سبحانه وتعالى والبداء مصدر للفعل بدا يبدو أى ظهر يظهر ويعنى البداء الظهور بعد الخفاء والعلم بعد الجهل.

• ولتوضيح هذا القول :

إن الإنسان منا يبدو أى يظهر له أن يذهب إلى المكان الفلانى ويقرأ الكتاب الفلانى ثم فجأة يبدو له أن يتراجع عن المكان الذى حدده أو الكتاب الذى حدده بسبب أمر كان خفياً عنه ثم ظهر.

والبداء من الأمور الممكنة بالنسبة للإنسان لمحدودية علمه وخضوعه للغفلة والسهو والنسيان ولقصور عقله ولا شتمال حواسه مهما بلغت على النقص.

وفى القرآن ذكرت آيات كريمات تشير إلى حدوث البداء بالنسبة للإنسان منها قوله تعالى : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ (الزمر ٤٧) . فالظالمون ظهر لهم العذاب الشديد يوم القيامة الذى كانوا لا يحتسبونه أى يجهلونه.

ويقول سبحانه وتعالى فى شأن يوسف عليه السلام : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (يوسف ٣٥) . أى ظهر لهم بعد أن كان الأمر خفياً. ويقول سبحانه فى شأن آدم وحواء : ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ﴾ (الأعراف ٢٢) . أى ظهرت لهما بعد أن لم تكن ظاهرة.

أما بالنسبة لله سبحانه وتعالى فهو من الأمور التى يتنزه عنها عز وجل لأن اتصافه سبحانه بالبداء يشعر بالنقص والنقص عليه سبحانه محال.

إلا أن الشيعة لخبث فى عقولهم ولضلال فى اعتقادهم وليضعوا المبررات لما يتقولونه على الله سبحانه وتعالى ثم يظهر الأمر بخلافه يجيزون البداء له سبحانه بل إنهم يعتبرون البداء على الله سبحانه وتعالى من الأمورالتى يجب أن يقر بها الإنسان فعن الريان بن الصلت يقول : (ما بعث الله نبياً إلا بتحريم الخمر وأن يقر لله بالبداء) [١] . ويدعون إن محمد الباقر قال : (ما عبد الله بشىء مثل البداء) [٢] ،وأن جعفر الصادق قال : (ما عظم الله بمثل البداء) [٣] ، وعنه أيضاً قال : (لو علم الناس ما فى القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه) [٤].

وعن مرازم بن حكيم إنه قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (ماتنبأ نبى قط حتى يقر لله بخمس خصال : البداء والمشيئة والسجود والعبودية والطاعة) [٥]

ويقول النوبختى : (فأما البداء فإن أئمتهم لما أحلوا أنفسهم من شيعتهم محل الأنبياء من رعيتها فى العلم فيما كان ويكون والاخبار بما يكون فى الغد... فإن جاء ذلك الشىء على ما قالوه قالوا لهم ألم نعلمكم أن هذا يكون فنحن نعلم من قبل الله ... وإن لم يكن ذلك الشىء الذى قالوا إنه يكون على ما قالوا لشيعتهم قالوا بدا لله فى ذلك فلم يكون) . [٦]

و يروى أن جعفر الصادق أشار إلى أن الإمام بعده هو إسماعيل ابنه ولمامات إسماعيل فى حياة جعفر قال : (ما بدا لله فى شىء كما بدا له فى إسماعيل ابنى) وهذامعناه أن الله رأى أن يكون إسماعيل هو الإمام بعد جعفر الصادق لكنه تعالى ظهر له أمراً فأمات إسماعيل ونص على إمامة غيره وهو موسى الكاظم.

---

(١) الأصول ١ / ٢٠٣ .
(٢) نفسه ص ٢٠٠ .
(٣) نفسه ص ٢٠٠ .
(٤ ، ٥) نفسه ص ٢٠٠ .
(٦) فرق الشيعة ٧٦ .

والبداء على الله الذى يقول به الشيعة مأخوذ من اليهودية فهم يدعون أن الله يجهل ويخطىء ويندم على فعله بعد أن يفعله فقد خلق سبحانه الإنسان لكن بدا له بعد خلقه إنه سيكون عالماً بالخير والشر وبدا له أن الإنسان سيأكل من شجرة الحياة وبالتالى يشارك الخالق فى الأبدية (فأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل فى الأرض التى أخذ منها) سفر التكوين الإصحاح الثالث. وفى التوراة أيضاً (فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه) سفر الخروج الإصحاح ٣٢ . وتقول التوراة : (ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض... فحزن الرب إنه عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه فقال الرب امحوا عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته) سفر التكوين الإصحاح السادس.

هكذا يصوروين الله سبحانه وتعالى، وهكذا يصفونه بأنه خالق لا يعلم من أمر خلقه شيئًا، أو كان يعلم ثم ظهر له أمر آخر. أو أنه أراد شيئًا فجاء ماأراده على غير ما أراد.

وإذا كان البداء له معان (البداء فى العلم وهو أن يظهر له خلاف ما علم ... والبداء فى الإرادة وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم. والبداء فى الأمر وهو أن يأمر بشىء ثم يأمر بشىء آخر بعده بخلاف ذلك. [1]

فهو بمعانيه الثلاثة يستحيل على الله سبحانه وتعالى، لأن فى القول به تجويزا للجهل عليه سبحانه، وجعل علمه عز وجل أقل محدودية من علم الإنسان تنزه ربنا عما يقول الظالمون.

فهو عز وجل خالق الكون والإنسان - يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور،وسع علمه السموات والأرض ما كان وما يكون وما هو كائن ومالم

---

(١) الملل والنحل ١ /١٤٨ .

يكن لو كان كيف يكون، هو وحده عالم الغيب والشهادة لاتخفى عنه خافية، علمه كاشف لكل صغيرة وكبيرة، وإرادته نافذة.

﴿إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون﴾.

يقول عالم شيعي جليل : (إن فكرة البداء تتناقض مع قول الله تعالى : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (يونس ٦١) [1].

---

(١) د. موسى الموسوي - الشيعة والتصحيح ص ١٤٦ .

[٦] فى التقيـــة

من المعتقدات الخاصة بالشيعة وجوب الأخذ بالتقية فى القول والعمل.

والتقيـة فى اللغة مأخوذة من الفعل اتقى بمعنى حذر وتوقى، تقول توقيت الشىء أى أنك حذرته وابتعدت عنه.

ومادة الفعل تعنى الحذر والاخفاء واتخاذ الساتر أو المانع والابتعاد عن ما لا يرضاه الإنسان لنفسه.

أما فى الاصطلاح فمعناها : (أن تقول شيئًا وتضمر شيئًا آخر، أو تقوم بعمل عبادى أمام الفرق الإسلامية وأنت لا تعتقد به، ثم تؤديه بالصورة التى تعتقد بها فى بيتك) [١].

أوهى اخفاء المعتقد حذراً باللجوء للحيطة حفاظاً على النفس يقول سبحانه وتعالى : ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ [٢] أى لا يحل للمؤمنين أن يوالوا الكافرين إلا إذا كانوا فى حالة ضعف وخافوا أن يلحقهم الشر الكثير فتجوز لهم الموالاة اتقاء لهذا الشر مع قناعتهم الداخلية بأن الكافرين أعداء لله ويجب التخلص منهم من أجل نصرة الإسلام.

ويتم اخفاء المعتقد عند الشيعة بمسايرة الشيعى لمن يعايشهم فى الظاهر بأن يقول مثل قولهم ويفعل مثل فعلهم مع قناعته الداخلية بما يخالف تمام المخالفة ما يظهره.

عن أبى بصير قال : قال أبو جعفر : (خالطوهم بالبرانية وخالفوهم بالجوانية) [٣].

---

(١) الشيعة والتصحيح ص ٥٢ ، د. موسى الموسوى. (٢) آل عمران آية ٢٨ .

(٣) الأصول ج٢ ص٢٢٩ المراد بالبرانية العلانية أو الأمور الظاهرة، والمراد بالجوانية الباطن أو الأمور السرية الخفية.

فله مثلاً أن يظهر في بلد ما يتمسك بالسنة، تمسكه الكامل بكل ما يتمسكون به، وأن يتعبد الله بمثل ما يتعبدون، ويظهر اللطف والود والحب والاخاءوالتسامح لهم مع احتفاظه في داخله بكل ما يخالف ما يظهره.

يقول آية الله خوميني : (التقية أن يقول الإنسان قولا مغايرا للواقع - أو يأتي بعمل مناقض لموازين الشريعة .وذلك حفاظًا لدمه أو عرضه أو ماله - ثم يضرب مثلاً يوضح به ما يقول - على سبيل المثال أن الوضوء طبقاً لأحكام ألا له ينبغي أن يتم بسكب الماء إبتداء من المرفق ومسح القدم باليد ،فيما يرى بعض أهل السنة أن الماء ينبغي أن يسكب ابتداء من رؤوس الأصابع حتى المرفق وغسل القدم بدلاً من مسحها.

في هذه الحالة إذا أراد أحد أن يتوضأ وهو بين أهل السنة، ووجد بأنه يعرض حياته أو حياة غيره للخطر إذا ما توضأ على طريقة الشيعة ،فإن عليه أن يجاريهم في الوضوء ليبعد عن نفسه ذلك الخطر. [١]

وهكذا في كل موقف نرى الشيعة يظهرون خلاف ما يبطنون. أي أن على الشيعي أن يلجأ إلى التقية في كل قول أو فعل.

• **أهمية التقية عندهم :**

والشيعة إذ يقولون بالتقية فإنهم في نفس الوقت يعدونها من الأسس الهامة التي يجب الارتكاز عليها في الحياة الخاصة والعامة، ويستدلون على أهميتها بأقوال ينسبونها لأئمتهم ،من هذه الأقوال أن علياً رضى الله عنه قال : (التقية من أفضل أعمال المؤمن يصون بها نفسه واخوانه من الفاجرين) [٢].

وأن محمد الباقر قال : (التقية من ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له) [٣]

---

(١) كشف الأسرار ص ١٤٧ .

(٢) الشيعة والسنة ص ١٥٧ نقلاً عن تفسير العسكري ص ١٦٢ .

(٣) الأصول من الكافي للكليني ٢ / ٢٢٨ . ومن الأقوال التي يقول بها الشيعة أن الرسول ﷺ قال : «مثل مؤمن لاتقيه له كمثل جسد لا رأس له» وقال : «تارك التقية كتارك الصلاة» معارج اليقين ،أصول الدين ص ٢٥١ ، وفي نفس المرجع يقول الحسن بن علي : إن التقية يصلح الله بها أمة» ويقول الحسين ابن علي : «لولا التقية ما عرف ولينا من عدونا».

وأن جعفر الصادق قال : (إن تسعة أعشار الدين فى التقية ولا دين لمن لاتقية له) [١].

وقال أيضاً سمعت أبى يقول : (لا والله ما على وجه الأرض شيء أحب إلى من التقية أنه من كانت له تقية رفعه الله ومن لم تكن له تقية وضعه الله) [٢].

ويقول أبو عبد الله فى قوله تعالى : (ولاتستوى الحسنةولا السيئة) الحسنة التقية ،والسيئة الإذاعة.

وفى قوله تعالى : ﴿ ادفع بالتى هى أحسن السيئة ﴾ التى هى أحسن التقية.[٣]

و يقول عبد الله بن أبى يعفور سمعت أبا عبد الله يقول : (التقية ترس المؤمن والتقية حرز المؤمن ولا إيمان لمن لا تقية له أن العبد ليقع له الحديث من حديثنا فيدين الله عز وجل به فيما بينه وبينه فيكون له عزاً فى الدنيا ونوراً فى الآخرة . وأن العبد ليقع إليه الحديث من حديثنا فيذيعه فيكون له ذلاً فى الدنيا وينزع الله عز وجل ذلك النور منه) [٤].

ويقول ابن بابويه القمى فى رسالته فى الاعتقادات : (التقية واجبة من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة) ويقول أيضاً : (التقية واجبة لايجوز رفعها إلى أن يخرج القائم فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله تعالى) .

وقد استخدم الشيعة فى تفسيرهم لبعض ما يتصل بتاريخهم مبدأ التقية . حيث يقولون إن الإمامة كانت بالنص من محمد ﷺ لعلى رضى الله عنه ، إلا أن علياً بايع أبا بكر تقية حينما وجد الآخرين يبايعونه وفى داخله كان يكره ذلك ، وأيضاً بايع عمر وعثمان من باب التقية .

وتنازل الحسن بن على رضى الله عنهما لمعاوية من باب التقية .

(١) نفس المرجع ٢/٢٢٥ .
(٢) نفسه ص ٢٢٦ .
(٣) الأصول ٢/٣٢٥ .
(٤) الأصول ٢/٢٣٠ .

بل أن الأئمة الذين اختفوا وآخرهم محمد المهدى بن الحسن العسكرى إنما اختفوا تقية.

• وقفة نقدية :

وأحسب أن مبدأ التقية كان له الدور الكبير فى اخفاء الكثير مما عليه الشيعة من الاعتقادات.

وقد ساهم فى وضع بذور الشك فى قلوب المسلمين فى كل ما يقوله الشيعة. بل أن الذين فكروا منهم فى العودة إلى دين الله الحق نظر إليهم بريبة لاحتمال لجوئهم للتقية.

وأحسب أنهم بقولهم بالتقية يضعون أنفسهم فى صف المنافقين الذين يستهزئ الله بهم وبما يفعلونه يقول سبحانه :﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (البقرة ١٤-١٥).

والتقية قد تكون جائزة فى دار الحرب مع أعداء الإسلام حفاظًا على أسرار الأمة وعلى المال والعرض إذا وقع المسلم أسيراً يقول سبحانه وتعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ (النحل ١٠٦).

ويقول الرسول ﷺ : «رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».

أما أن يدعى الشيعة أنهم مسلمون يشهدون أن لا إله إلا الله،وأن محمداً رسول الله ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون البيت . وأنهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. ثم يلجأون للتقية من بقية المسلمين الآخرين. فلجوؤهم إليها عدوان على العقيدة والشريعة معًا. لأنه يحمل فى طياته التشكيك ووضع بذور التفرقة

والاختلاف والتنابذ والتقاتل وتكذيب الكل للكل وهذا خلاف قوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (آل عمران ١٠٣).

والتقية في العبادة عمل لم يقصد به وجه الله وكل عبادة لم يقصد بها وجه الله باطلة.[١]

فإذا تصورنا مسلماً يصلي بطريقة معينة خوفاً من مسلم آخر ،فهذا المصلي لا يصلي لله وإنما لهذا الآخر. ومن يفعل ذلك ليس بأمين على دينة ولا بآمن على عقيدته.

وإذا كان هذا أمر التقية فمن المستحيل أن يكون تأييد على لأبى بكر فعمر ثم عثمان تقية، لأنه من السابقين الأولين الصادقين في إسلامهم، ولأن تاريخه يؤكد أنه غيور على الإسلام، مطبق لمنهج القرآن الكريم، والسنة المطهرة لا يخاف في الله لومة لائم.

ولو أنه كان يلجأ للتقية في عصر الصديق وعمر وعثمان لسارع بعد استشهاد عثمان في موافقة القوم على المبايعة فور مجيئهم إليه لكن الحقيقة تقول غير ذلك. فقد جاءوا إليه وقالوا له بعد استشهاد عثمان : (مد يدك نبايعك على خلافتك) فقال : (دعوني والتمسوا غيرى، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلى اسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم وأنا لكم وزير خير لكم مني أمير).[٢]

لقد كان رضى الله عنه يحافظ على الصلوات ويحضر الجماعات ويصلي الجمعة مقتديا بالآئمة السابقين عليه وكانت كل تصرفاته تقوى لله (ولم يكن لمثله أن يتقى بجميع عباداته أحداً غير الله .. وحملها على التقية طعن في دين

---

(١) الوشيعة في نقد عقائد الشيعةص ٢٨ ، موسى جار الله.

(٢) بطلان عقائد الشيعة ص ٢٩ نقلاً عن نهج البلاغة.

على أمير المؤمنين وطعن عظيم فى جليل فضله) [(١)]

وكان رحمه الله جل همه خوف الله تعالى، وتنفيذ أوامره، والسير على نهج الرسول ﷺ، وكانت الدنيا عنده لا تساوى ورقة ساقطة من شجرة، وكان العدل سمة أصيلة فى ذاته وهو القائل : (فوالله لو أعطيت الأقاليم السبعة وما تحت أفلاكها، على أن أعصى الله فى نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت. وإن دنياكم عندى لأهون من ورقة فى فم جرادة تقضمها) [(٢)].

وما ينسب من أقوال لعلى بن أبى طالب، أو لمحمد الباقر، أو لجعفر الصادق فى التقية، فهو من باب الكذب والافتراء والتقول على هؤلاء الأعلام حيث يشهد تاريخهم الناصع بأنهم كانوا مع الحق ولم يخفوه أو يظهروا غيره خوفاً على حياتهم.

لقد صالح الحسن بن على معاوية طمعاً فى حقن دماء المسلمين ورجاء فى تسكين نار الفتنة التى ظهرت بعد مقتل على رضى الله عنه.

أما الحسين الذى استشهد بكربلاء فقد (ثار ضد يزيد بن معاوية ولم يقبل بنصح أولئك الذين نصحوه بالبقاء فى مدينة الرسول ﷺ .. فهل فى مثل هذه الثورة تجد الشيعة أثراً للتقية) [(٣)].

كان من السهل على الحسين أن يمالىء يزيداً ويظهر له الرضا تقية لكنه لم يفعل لأنه يتحرك من خلال ما يمليه عليه اجتهاده وقناعته الدينية، لا من خلال تقية مكذوبة على آل بيت رسول الله ﷺ .

وعاصر محمد الباقر الدولة الأموية، كما عاصر نهايتها ثم بداية الدولة

---

(١) الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة ص ٢٩ .

(٢) الشيعة والتصحيح ص ٤٢ نقلاً عن البلاغة ٢ / ٢١٨ .

(٣) الشيعة والتصحيح ص ٥٣ .

العباسية جعفر الصادق، ومع اختلافهما الفقهى مع الدولتين، إلا أن هذا الاختلاف لم يمنعهما من نشر آرائهما الفقهية فى وضح النهار، وبصوت مرتفع ودون خوف من الدولتين أو لجوء لما يسمية الشيعة بالتقية. [1]

يقول موسى الموسوى فى كتابه الشيعة والتصحيح ص ٥٩ : (إن على الشيعة أن تجعل نصب أعينها تلك القاعدة الأخلاقية التى فرضها الإسلام على المسلمين وهى أن المسلم لا يخادع ولا يداهن ولايعمل إلا الحق ولا يقول إلا الحق ولو كان عليه ... وليعلموا إن ما نسبوه إلى الإمام الصادق من أنه قال التقية دينى ودين آبائى أن هو إلا كذب وزور وبهتان على ذلك الإمام).

(١) راجع الشيعة والتصحيح ص ٥٥ .

[٧] فـــى الرجعـــة

من الأفكار والمعتقدات الشيعية «الرجعة» ويعنون بها رجعة أئمتهم إلى الدنيا بعد الموت وقبل البعث. ويوسع البعض معناها لتشمل رجعة الأئمة ورجعة بعض أتباعهم، ورجعة بعض أعدائهم إلى الحياة الدنيا لينتقم الأئمة والاتباع من الذين ظلموهم فى الدنيا - حسب معتقد الشيعة - بأن الإمامة أخذت من على غصباً.

كما يعنى البعض بالرجعة رجوع من اختفوا من الأئمة إلى دنيا الناس ثانية لينشروا العدل. والنص التالى يشير إلى فكرة رجعه القائم :

عن بدر بن الخليل الاسدى قال : (سمعت أبا جعفر يقول فى قول الله تعالى ﴿ فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون . لا تركضوا وإرجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون ﴾ قال : إذا قام القائم - أى رجع - وبعث إلى بنى أمية بالشام هربوا إلى الروم فيقول لهم الروم لا ندخلنكم حتى تتنصروا، فيعلقون فى أعناقهم الصلبان فيدخلونهم : فإذا نزل بحضرتهم أصحاب القائم طلبوا الامان والصلح فيقول أصحاب القائم لاتفعل حتى تدفعوا إلينا من قبلكم منا - أى بنى أميه - قال فيدفعونهم إليهم فذلك قوله (لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفت فيه ومساكنكم لعلكم تسألون) قال يسألهم عن الكنوز وهو أعلم بها - أى إن القائم يعلم الغيب أيضاً - قال : فيقولون (يا ويلنا إنا كنا ظالمين. فمازالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين) بالسيف» [1]

يقول الموسوى : (تعنى الرجعة فى المذهب الشيعى أن أئمة الشيعة بدءاً بالإمام على وانتهاء بالحسن العسكرى الذى هو الإمام الحادى عشر عند الشيعة الإمامية سيرجعون إلى هذه الدنيا ليحكموا المجتمع الذى أرسى قواعده بالعدل

---

(١) روضة الكافى ص ٩ .

والقسط الإمام المهدى الذى يظهر قبل رجعة الأئمة ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويمهد الطريق لرجعة أجداده وتسلمهم الحكم. وإن كل واحد من الأئمة حسب التسلسل الموجود فى إمامتهم سيحكم الأرض ردحاً من الزمن ثم يتوفى مرة أخرى ليخلفه ابنه فى الحكم حتى ينتهى إلى الحسن العسكرى. وسيكون بعد ذلك يوم القيامة. كل هذا تعويضاً لهم عن حقهم الشرعى فى الخلافة والحكومة التى لم يستطيعوا ممارستها فى حياتهم قبل الرجعة. (١)

وفى موضع آخر يذكر أن الذين كتبوا فى الرجعة من الشيعة لم يكتفوا بالقول برجعة الأئمة بل قالوا: (إن الرجعة لا تشمل أئمة الشيعة فحسب بل تشمل غيرهم وذكروا اسماء نفر غير قليل من صحابة الرسول ﷺ زعموا أنهم من أعداء الأئمة. والذين منعوهم من الوصول إلى حقهم فى الحكم كل هذا حتى يتسنى للأئمة الانتقام منهم فى هذه الدنيا. (٢)

وقد وضع بذور فكرة الرجعة اليهودى عبد الله بن سبأ حينما أدعى من عند نفسه أن محمداً ﷺ سيرجع إلى الدنيا، وأن علياً لم يمت وإنما هو فى السحاب وسيرجع إلى الدنيا ليملأها عدلاً بعد أن ملئت ظلماً.

وقد أخذ ابن سبأ فكرة الرجعة فى الغالب من رجعة عزير ذلك الذى أماته الله سبحانه وتعالى مائة عام ثم بعثه، تقول الآية الكريمة تأكيداً لقدرة الله وعظمته: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة ٢٥٩).

---

(١) الشيعة والتصحيح ص ١٤١ د. موسى الموسوى.

(٢) نفس المرجع ص ١٤٢.

وبالتالى قال برجعة محمد ﷺ وعلى رضى الله عنه قياساً على رجعة عُزير. ومثل هذه الأمور لا يقاس عليها وإنما لابد فيها من النص.

وربما أخذها أيضاً من الفكرة السائدة عند اليهود والتى تقول برجعة هارون بعد موته أو أنه لم يمت وإنما اختفى وسيرجع إلى الدنيا.

ولفكرة الرجعة جذور فى النصرانية حيث يدعى النصارى أن عيسى صلب وقتل ودفن فى القبر ثم بعد ثلاثة أيام قام من قبره ورجع إلى الدنيا والتقى بالحواريين ثم ودعهم وصعد إلى السماء.

يقول الشهرستانى : (وأما جواز الرجعة فإنما وقع لهم من أمرين أحدهما : حديث عُزير عليه السلام إذ أماته الله مائة عام ثم بعثه. والثانى : حديث هارون عليه السلام إذ مات فى التيه واختلفوا فى حال موته فمنهم من قال أنه مات وسيرجع ومنهم من قال غاب وسيرجع) [١]

وسيراً على ما قال به ابن سبأ يقول الإثنا عشرية أن محمد المهدى بن الحسن العسكرى الإمام الثانى عشر عندهم سيرجع. وهم ينتظرون رجوعه فى كل لحظة.

وتقول الشيعة الكيسانية برجعة محمد بن الحنفية. بينما تقول الشيعة الإسماعيلية برجعة محمد بن إسماعيل.

والشيعة لم يكتفوا بالقول برجوع أئمتهم قبل البعث أحياء إلى الدنيا بعد الموت وإنما وسعوا الدائرة لتشمل رجوع الشيعة الذين ظلموا ورجوع الذين ظلموهم لينتقم الظالم من المظلوم.

والنصان التاليان لكاتبين من مشاهير الشيعة يؤكدان ما نقول :

---

(١) الملل والنحل ج١ .

يقول المجلسى : (ويرجع للدنيا يوم ظهور حضرة القائم عليه السلام من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً فيرجع أعداؤه لينتقم منهم فى هذا العالم ويشاهدون من ظهور كلمة الحق وعلو كلمة أهل البيت ما أنكروه) [١]

ويقول محمد رضا المظفر : (إن الذى تذهب إليه الإمامية أخذا بما جاء عن آل البيت عليهم السلام أن الله تعالى يعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا فى صورهم التى كانوا عليها فيعز فريقاً ويذل فريقاً آخر ، ويظهر المحقين من المبطلين والمظلومين من الظالمين وذلك عند قيام مهدى آل محمد عليه السلام) [٢]

ويستدل بعض الشيعة على صحة الرجعة بقوله تعالى : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ (غافر ١١) .

فيقول هذا البعض فى تفسيره للآية الكريمة إن الاماتة الأولى ما تحدث لكل إنسان فى دنيانا ثم تكون الحياة الأولى برجعة الحياة إلى المقبور وخروجه إلى دنيا الناس ، ثم تأتى الموتة الثانية بعد الرجعة ثم الحياة الثانية التى هى للحساب (وفى الناس من استدل بهذه الآية على صحة الرجعة والاماتة الثانية بعدها والإحياء الثانى يوم القيامة) [٣]

والشيعة يدعون أن جعفر الصادق قال : (إن أمير المؤمنين عليه السلام يرجع مع ابنه الحسين عليه السلام رجعة وترجع معه بنو أمية معاوية وآل معاوية وكل من قاتله فيعذبهم بالقتل وغيره . [٤]

وقد ادعوا أيضاً أن جعفر الصادق قال : (ليس منا من لم يؤمن بكرتنا - أى رجعتنا-) [٥].

---

(١) حياة القلوب للمجلسى ٣ / ٣٠٣ . (٢) عقائد الشيعة ص ٥٩ .

(٣) تاريخ الإمامية ص ١٧٠ نقلاً عن التبيان للطوسى ٩ / ٦٠ .

(٤) بين الشيعة وأهل السنة ص ١٧٠ نقلاً عن الأنوار النعمانية للجزائرى ٢ / ١٠٣ .

(٥) نفس المرجع ص ١٧١ نقلاً عن من لا يحضره الفقيه ٣ / ٤٥٨ .

• الموقف من الرجعة :

والقول بالرجعة يتنافى مع ما جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة وما عليه اعتقاد المسلمين - فليس بعد الموت إلا القبر أى البرزخ وليس بعد البرزخ إلا النشر والحشر والصراط والميزان والحساب والثواب والعقاب أى القيامة بكل ما فيها يقول سبحانه وتعالى فى شأن قوم نوح الذين لم يتبعوه وأصروا على التمسك بكفرهم : ﴿ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾ (نوح ٢٥) وإذاكانت القيامة لم تقم بعد فإن النار التى ادخلوها نتيجة لكفرهم هى نار القبر.

ويقول سبحانه وتعالى فى شأن آل فرعون : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ (غافر ٤٦) أى أنهم يعرضون على النار فى القبر ثم يكون ادخالهم يوم القيامة النار الأشد من نار البرزخ.

إذ أن العطف يقتضى المغايرة وهذا معناه أن النار التى يعرضون عليها فى الغدو والعشى هى نار فى القبر غير النار التى يعذبون فيها يوم القيامة.

ويطلب الكافرون من ربهم إذا جاءهم الموت أن يعطيهم فسحة من الوقت ليعملوا صالحاً. ويكون الرد عليهم أنه ليس بعد الموت إلا البرزخ ويظلون هكذا إلى يوم يبعثون يقول سبحانه : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون ٩٩-١٠٠).

ويقول سبحانه فى شأن الكافرين : ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ (التوبة ١٠١) .

فالمرة الأولى فى الدنيا باصابتهم بالأمراض والقلق والاضطراب والضيق.

والمرة الثانية فى القبر ثم يكون العذاب الأليم بعد بعثهم يوم القيامة.

يحكى الرازى أقوالاً عن أنس بن مالك ومجاهد وقتادة تؤكد كلها أن المر الثانية هى عذاب القبر : (والأولى أن يقال مراتب الحياة ثلاث حياة الدنيـ وحياة القبر وحياة القيامة) [١]

وليس فى المراتب المذكورة مرتبة تسمى بالرجعة قبل يوم القيامة كما يقول الشيعة.

ويرد على قولهم فى الآية الكريمة (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) بأن القرآن الكريم يفسر بعضه البعض الآخر، كما تفسر السنة المطهرة.

وليس فى القرآن الكريم ما يدل على الرجعة، وإنما فيه ما يؤكد الحياة فى القبر للسؤال والثواب والعقاب.

و ليس فى السنة المطهرة ما يدل على الرجعة وإنما فيها ما يؤكد احياء الموتى فى قبورهم للسؤال والثواب والعقاب.

عن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ - أى محمد ﷺ - فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله ... وأما الكافر المنافق فيقول لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس. فيقال له لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين ...» رواه البخارى فى صحيحة فى كتاب الجنائز باب ما جاء فى عذاب القبر وكذلك أحمد بن حنبل فى مسنده.

وإذا كان القرآن الكريم والسنة المطهرة لا يقولان بالرجعة وإنما بالاحياء فى

---

(١) تفسير الفخر الرازى م ٨ . ١٦ / ١٧٧ .

القبر للثواب أو العقاب فالحياة الأولى فى الآية الكريمة تكون بنفخ الروح فى الأجنة، والموتة الأولى هى المشاهدة فى الدنيا، والحياة الثانية فى القبر ثم تكون الموتة الثانية ولا حياة بعد ذلك إلا يوم القيامة .[1]

يقول تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ (الزلزلة الآيات ٦ :٨)

ويروى البخارى ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : «إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشى، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال له : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة» والحديث الشريف يبين أنه ليس بعد الموت إلا القبر أو البرزخ ومن ثم يأتى البعث وليس هناك مرتبة تسمى بالرجعة كما يقول الشيعة.

وعلى هذا الاعتقاد كان الصحابة الأطهار. وكان السلف الصالح.

والمسلمون حقاً وصدقاً لا يؤمنون إلا بعذاب أو نعيم فى القبر بعد الموت، ثم بجنة أو نار يوم القيامة. وما عدا ذلك من أقوال فهو خروج عن ما يقوله الإسلام.

والقرآن الكريم يقدم الدليل تلو الدليل ليؤكد أن الإنسان سيرجع حتماً ليقف أمام الذات العلية ليحاسب على ما قدمت يداه وسيكون الرجوع فى الدار الآخرة.

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ (المؤمنون ١١٥-١١٦) أى تنزه عز وجل عن العبث ، وسيرجع الكل إليه ليسلم كتابه فيه ما قدمته يداه :﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا

(١) راجع تفسير الفخر الرازى م١٤ ، ٢٧ / ٤٠ .

يَلْقَاهُ منشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (الإسراء ١٣ : ١٥)

ويذكر القرآن الإنسان بحقيقة نفسه وأنه مخلوق من نطفة فلماذا إذا يخاصم ويتعالى ويعاند ويأتى بالعظام الذى أصبح رميماً ويفتته ويسأل استنكاراً واستبعاداً وكأنه يقول من المستبعد الرجوع إلى الآخرة يقول سبحان وتعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (يس ٧٧ : ٨٢).

العذاب أو النعيم فى القبر إذا حق. والدار الآخرة بكل ما فيها حق. والرجوع إلى الدنيا قبل يوم القيامة فى الصور التى ذكرها القرآن الكريم مثل عزير وأهل الكهف وإحياء عيسى للموتى بإذن الله. وأولئك الألوف الذين خافوا الموت فأماتهم الله ثم أحياهم. ورجوع عيسى إلى الدنيا قبل يوم القيامة كل هذا حق.

أما ما عدا ذلك مما تقول الشيعة فهو كذب على الله وعلى رسوله وعلى القرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع المسلمين.

[٨] القرآن الكريم والشيعة

لا شيء يضر بالمعتقدات أكثر من الجحود والإصرار على الإنكار والكذب، فالذى لا يعرف من السهل أن يعرفه الغير بطريقة صحيحة، وبأسلوب سهل، وبالنص المنقول عن الله سبحانه وتعالى أو الرسول ﷺ ثم بالعقل.

والذى يعمل عقله ويحاول هو فى الغالب يريد أن يعرف الحقيقة ومن اليسير إقناعه بالثوابت أولاً ثم إقامة الدليل تلو الدليل الذى يؤكد صحة نقل هذه الثوابت، ومع التأكد من صحة النقل وسلامة النص يبقى النص معطياً للمفاهيم التى ترضى كل عقل على حدة.

والذى يؤمن بسلامة النص لكنه يلجأ لتأويله ربما نلتمس له العذر وندعو له بالهداية للحق حتى يدافع عن الإسلام. والذى يأخذ النص كما هو بظاهره[١] فهذه قناعته التى ارتاح لها، وبنى عليها معتقده فلا داعى لمناقشته.

وإن حدثت فلتكن بالحسنى والموضوعية، وليكن الهدف للطرفين هو الوصول إلى الحق من غير أن يحيف طرف على الآخر أو يقلل طرف من رؤية الآخر.

أما الذى يعرف ويجمد ويجحد فهذا كالأنعام بل أضل سبيلاً ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ ﴾ (الأنفال آية ٢٢).

إن من نعمة الله على البشر أنه ميزهم عن بقية المخلوقات بالعقل وجعله أساس الابتلاء والاختيار، وبه صار الإنسان مسئولاً عن كل صغيرة وكبيرة، ويوم أن يغيب هذا العقل أو يجمد أو يتحرك فى دائرة الجحود والتعصب الأعمى تكون الطامة الكبرى.

(١) لكن فقط نتمنى أن يبتعد عن التجسيم والتشبيه ويتحرك فى دائرة قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ ويفوض أمر معرفة الظاهر المتشابه إلى الله تعالى.

لقد كان للسلف مواقفهم الصحيحة الثابتة مع ما جاء فى القرآن الكريم والسنة المطهرة وعلى نفس الدرب تحرك إلى حد كبير الأشاعرة والماتريدية.

ومع الإيمان بالنص وتقديم العقل على النص أو محاولة اخضاع النص للعقل كان المعتزلة. حتى الخوارج الذين سنتعرف عليهم فيما بعد لم ينكروا النص وإنما اجهدوا أنفسهم وأجهدوا النص معهم وهم يحاولون.

أما بعض الشيعة فبجحود كامل وإنكار كامل وكذب على الله وعلى رسوله ﷺ وعلى أهل بيت رسول الله راحوا يرددون أقوالاً ما أنزل الله بها من سلطان.

فهم يسمعون النص القرآنى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر آية ٩)

وقوله : ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت آية ٤٢)

وقوله : ﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (القيامة آية ١٦-١٩)

وهم يعلمون أن ملاك الوحى بدأ نزوله فى غار حراء على رسول الله ﷺ وواصل النزول إلى قرابة التحاق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى ،وأن محمداً ﷺلم يمت إلا والقرآن مجموع كله ومحفوظ كله. مجموع فى أدوات تتناسب مع الزمن ومحفوظ فى الصدور.

وأنه بأمر من أبى بكر تمت كتابة القرآن الكريم كما أنزل بآياته مع ترتيب هذه الآيات ترتيباً توقيفياً فى صحائف أو لفافات وخضعت الكتابة لأدق منهج علمى عرفه التاريخ وهم يعلمون أن عثمان جمع المسلمين على كتاب الله بعد أن نقله فى مصحف واحد أرسل إلى كل الأمصار.

هم يعلمون كل هذا لكن لأغراض يخفونها ولرغبات ملتوية ولحب للزعامة

والتسلط يكذبون ويقولون بدعاوى تشكك فى الإسلام فى عقائده وعباداته ومعاملاته وأخلاقة .

وهم يكذبون الصحابة الأطهار الذين هم من خير القرون بنص من الرسول : «خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ،ثم الذين يلونهم ثم يأتى قوم من بعد ذلك تسبق أيمانهم شهاداتهم» [١] .

والذين هم أول من تلقى الرسالة وعمل على حفظها ونشرها والدفاع عنها .

إن بعض الشيعة بتكذيبهم وجحودهم يعملون على هدم الأعمدة الرئيسية التى قام عليها الإسلام ويفتحون الباب على مصراعيه للتشكيك فى نقلة وحفظة القرآن وهذا بدوره يؤدى إلى القول بأن القرآن حرف وبدل وغير وزيد فيه وانقص منه .

وصريح لفظهم بقول أن القرآن الكريم لم يجمع كله إلا على أيديهم فعن جابر قال : سمعت أبا جعفر يقول : (ما ادعى أحد من الناس انه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب - هكذا - وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا على ابن أبى طالب والأئمة من بعده) [٢]

وإذا كانت آيات القرآن لا تتجاوز الستة آلاف آية إلا بقليل فان نصهم يقول : (إن القرآن الكريم الذى جاء به جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ سبعة عشرة ألف آية) [٣] .

وللموضوعية فاننا نذكر تعليقاً على هذا الحديث أورده الشيخ محمد جواد الفقيه محقق اصول الكافى فى هامش الكافى إلا أننا لا نستريح لهذا التبرير ، لأن آيات القرآن كلها توقيفية فليس لأحد ان يقسم الآية إلى آيتين أو اكثر ثم

---

(١) ذكره الترمذى فى صحيحة عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ ، وقال حديث حسن صحيح .
(٢) أصول الكافى ١ / ٢٨٦ .
(٣) أصول الكافى ٢ / ٦٠٥ وكذلك الهامش.

يقول إن الآيات سبعة عشر ألف آية .

ونص المحقق فى الهامش : (قد اشتهر اليوم بين الناس أن القرآن ستة آلاف وستمائة وست وستون آية) وروى الطبرسى فى المجمع عن النبى ﷺ أن القرآن ستة آلاف ومائتان وثلاث وستون آية . ولعل الاصلاف من قبل تحديد الآيات) .

والنص التالى يوضح أكثر هذه الدعوى الكاذبة : (عن أبى يصير قال دخلت على أبى عبد الله ، فقلت : جعلت فداك أنى أسألك عن مسألة ، أهاهنا أحد يسمع كلامى ؟ قال : فرفع أبو عبد الله ستراً بينه وبين بيت آخر ، فاطلع فيه ثم قال : سل عما بدا لك ، قال .

قلت أن شيعتك يتحدثون أن رسول الله ﷺ وآله علم عليا باباً يفتح منه ألف باب ؟ قال . فقال : علم رسول الله صلى الله عليه وآله عليا ألف باب يفتح من كل باب ألف باب ، قال .

قلت : هذا والله العلم ، قال فنكت ساعة فى الأرض ثم قال : أنه العلم وما هو بذاك ، قال : يا أبا محمد وأن عندنا الجامعة ،وما يدريهم ما الجامعة ؟ قال .

قلت : جعلت فداك وما الجامعة ؟

قال : صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله ، واملائه من فلق فيه ، وخط على بيمينه ، فيها كل حلال وحرام وكل شىء يحتاج إليه الناس حتى الآرش فى الخدش ، وضرب بيده إلى فقال لى : تأذن يا أبا محمد ؟

قال قلت : جعلت فداك إنما أنا لك فاصنع ما شئت ،قال : فغمزنى بيده وقال : حتى أرش هذا ، كأنه مغضب ، قال قلت : هذا والله العلم ، قال : أنه العلم وليس بذلك .

ثم سكت ساعة ثم قال : وإن عندنا الجفر ، وما يدريهم ما الجفر ؟ .

قال قلت : وما الجفر ؟ قال : وعاء من آدم فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوامن بنى إسرائيل قال .

قلت : إن هذا هو العلم ، قال : أنه العلم وليس بذاك ، ثم سكت ساعة ثم قال : وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة ؟

قال قلت : وما مصحف فاطمة ؟ قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد . . . إلخ) [1]

وصريح النص يبين أن الشيعة عندهم علم الأولين والآخرين وعندهم وعاء فيه علم النبيين بدءا من آدم إلى الخاتم والوصيين والعلماء الذين مضوا من بنى إسرائيل ، أى أن عندهم ما يسمى بالجامعة والجفر . ثم عندهم ما يسمى بمصحف فاطمة [2] حجمه ثلاثة أضعاف المصحف لدى المسلمين وليس فيه آية واحدة من المصحف الذى عند المسلمين ، وآياته سبع عشرة ألف آية بينما آيات المصحف عند المسلمين ست آلاف ومائتان وستون آية .

وهذا معناه التشكيك الواضح فى كتاب الله سبحانه وتعالى والتشكيك فى نقلة القرآن وحفظته والتطاول على كل من كان له دور فى جمع القرآن الكريم .

ونذكر نصاً آخر من كتب القوم يصور الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً

---

(١) الكافى من الأصول ١ / ٢٩٦ .

(٢) الناظر للوهله الأولى فى عبارة مصحف فاطمة تختلط عنده الأمور ، وللأمانة والموضوعيه نذكر جزءاً من نص يوضح الأمر إلا أنه يقول بأمر آخر غريب على البيئة الإسلامية وهو نزول ملاك الوحى على السيدة فاطمة ليسرى عنها ويعلمها بأمورلم يعلمها أحد من قبلها يقول جعفر : «إن الله لعالي لما قبض ﷺ دخل على فاطمة من الحزن مالا يعلم إلا الله فأرسل الله إليها ملكاً يسلى عنها ويحدثها فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين ، فقال : إذا احسست بذلك وسمعت الصوت قولى له ، فأعلمته بذلك فجعل أمير المؤمنين يكتب كل ما سمع حتى اثبت من ذلك مصحفاً قال ثم قال أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام ، لكن فيه علم ما يكون» . أصول الكافى ١ / ٢٩٨ .

وكأنهم شلة من المتآمرين على كتاب الله سبحانه وتعالى وعلى الخليفة الرابع على بن أبى طالب رضى الله عنه.

ففى الوقت الذى نقرأ فيه عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ :«لاتسبوا أصحابى فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفة» (١)

ونقرأ عن أبى جحيفة عن أبية عن على رضى الله عنه أنه قال : (خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكروخيرها بعد أبى بكر عمر ولو شئت سميت الثالث) (٢)

فالرسول ﷺ يبين عظم قدر الصحابة ويطالب الناس فى كل عصر أن يعرفوا ذلك وأن لا يتطاولوا على أى صحابى وفى مقدمتهم بالتأكيد المبشرين بالجنة.

وعلى رضى الله عنه وهو فى مقدمة الصحابة يحدد باللفظ الصريح المنقول بسند صحيح أن خير الأمة بعد النبى ﷺ الصديق ومن بعده فى الخيرية الفاروق عمر بن الخطاب.

فى الوقت الذى نتعرف فيه من خلال الرسول على عظم قدر الصحابة ومن خلال على، على خيرية الصديق وعمر، نقرأ النص التالى الذى يذكره أحد كبراء الشيعة فى كتاب له بسند عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه يقول :

(إنه لما توفى رسول الله ﷺ ، جمع على القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله ﷺ ، فلما فتحه أبو بكر خرج فى أول صفحة فتحها فضائح القوم. فوثب عمر وقال : يا على أردده فلا حاجة لنا فيه ،فأخذه على عليه السلام وانصرف، ثم احضر زيد بن ثابت وكان

---

(١) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل كتاب فضائل الصحابة ١ / ٥١ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٦هـ واسناد الحديث صحيح ويقول الترمذى حديث حسن صحيح.

(٢) المرجع السابق ١ / ٨٠ واسناد الحديث صحيح.

قارئاً للقرآن فقال له عمر : إن علياً جاءنا بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد رأينا أن نؤلف القرآن ونسقط منه ما كان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار،فأجابه زيد إلى ذلك ثم قال : فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر على القرآن الذى ألفه أليس قد أبطل كل ما عملتم.قال عمر فما الحيلة؟ قال زيد أنتم أعلم بالحيلة. فقال عمر : ما حيلته دون أن نقتله وتستريح منه. فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد فلم يقدر على ذلك.

-- فلما استخلف عمر سألوا علياً أن يدفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم. فقال عمر : يا أبا الحسن إن جئت بالقرآن الذى جئت به إلى أبى بكر حتى نجتمع عليه فقال : هيهات ليس إلى ذلك سبيل إنما جئت به إلى أبى بكر لتقوم الحجة عليكم ولاتقولوا يوم القيامة (إنا كنا عن هذا غافلين) أوتقولوا (ماجئتنا به) أن القرآن الذى عندى (لا يمسه إلا المطهرون) والأوصياء من ولدى.فقال عمر فهل وقت لاظهاره معلوم؟ فقال على : نعم إذا قام القائم من ولدى يظهره ويحمل الناس عليه) [1]

وكاتب النص يسب الصحابة الأطهار من المهاجرين والأنصار حيث يدعى أنهم أصحاب فضائح ذكرت فى القرآن الكريم.

ويكذب على الله سبحانه وتعالى حيث يقول بوجود هذه الفضائح فى القرآن ويفترى على الإمام على حيث يدعى أن علياً نقل هذا القرآن المشتمل على فضائح الصحابة.

ويصف عمر بن الخطاب وزيد بن الثابت بالمتآمرين على القرآن اللذين يفكران فى الحذف منه وتأليف قرآن ليس به فضائح القوم كما يدعى هذا الشيعى المأفون.

---

(١) أحمد بن أبى طالب الطبرسى كتاب الاحتجاج ص ٢٢٥ ط النجف - «ونؤلف القرآن» أى نجمعه . «وألفه» أى جمعه. «فيحرفوه» أى يبدلوه ويغيروه بالإضافة والحذف والتقديم والتأخير.

ثم يصف عمر الفاروق بالمتآمر على قتل على رضى الله عنه حتى يتخلص من القرآن الذى عنده ويعجز خالد بن الوليد عن تنفيذ مؤامرة القتل فى على.

ثم يواصل هذا المأفون دعواه الكاذبة حيث يدعى أن قرآن على عند القائم أو ما يسمونه بالمهدى المنتظر حينما يظهر يأتى بقرآن على ويطبقه على الناس.

ولا شك أن علياً رضى الله عنه برئ مما يسند إليه ودليل براءته أنه فى خلافته لم يسمع أحد بالقرآن الذى ينسبه الشيعة إليه وبما فيه من أكاذيب. فلو أن عنده ما يقولونه لأظهره حتى يثبت بطلان وتزييف الخلفاء قبله وتطاولهم على القرآن كما يدعى الشيعة.

ودليل براءته أيضاً أنه لم يقل أبداً فى حياته بفكرة القائم أوالمهدى الغائب الذى سيعود.

إن أقل ما يقال فى النص المنسوب لأبى ذركذباً وذوراً إنه من وضع كاتب كاره للإسلام ونبى الإسلام وقرآن الإسلام، حاقد على الصحابة الأطهار مريد بالإسلام والمسلمين كل شر.

وتحت يدى الآن كتاب أرسلته إلى إدارة البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر لكتابة تقرير عنه. وهو كتاب مطبوع فى بيروت دار الأصالة سنة ١٩٩١ ويتكون من جزءين الأول فى ٤٨٩ صحيفة والثانى فى ٧٤٨ صحيفة.

أما اسمه فهو (الإمام على فى القرآن والسنة) لمؤلفه محمد على أسبر وواضح من اسم الكتاب أن الهدف من كتابته هو إبراز ما جاء فى القرآن الكريم والسنة المطهرة بشأن على رضى الله عنه.

والمؤلف شيعى اقتصر دوره فى التأليف على نقل النصوص من كتب شيعية

أصيلة، وقد حرص على توثيق نصوصه بعد عمل مقدمة للكتاب تمهد لما سيذكر وتوجد مبررات لما ينقل أو يقول.

والكتاب من أوله لآخره بنصوصه يكذب على الله سبحانه وتعالى، ويكذب على رسوله ﷺ وآل بيته.

ففيه تأويلات كثيرة لآيات القرآن الكريم تهدف لاخضاع النص القرآني لادعائهم بأن الإمام بعد الرسول هو على بن أبى طالب.

وفيه الإيحاء المسبوق بالادعاء بأن الصحابة الأجلاء حذفوا من القرآن كل ما يتصل بآل البيت وبخاصة على بن أبى طالب وإمامته وتصدره لكل شىء فى الإسلام بعد الرسول ﷺ.

وليس من غرضى هنا أن أناقش، كما أنه من المستحيل أن انقل كل ما جاء فى الكتاب، وإنما فقط سأسمح لنفسى واستميح القارئ عذراً فى نقل بعض النماذج كما هى،مع إيضاح المرجع بصفحاته لنعرف جميعاً كم افترى بعض الشيعة على الله سبحانه وتعالى وعلى رسوله ﷺ، وكم اساءوا لآل البيت وهم يحسبون أنهم ينزهونهم أو يمدحونهم.

يبدأ الكتاب بآيات من سورة الفاتحة،وتتتابع الآيات بعد ذلك إلى سورة الناس. أى أن المؤلف محمد على أسبر حرص على أن ينقل نصوصاً من كتب الشيعة تتصل كلها بسور القرآن الكريم.

وها أنا ذا أعطى أمثلة وأترك للقارئ أن يبحث عن حكم الله تعالى فيمن يفترى عليه سبحانه وعلى رسوله وآل بيته والصحابة الأجلاء.

والمؤلف حينما ينقل نصاً يذكر سنداً شيعياً كاملاً ينتهى فيه فى الغالب عند الإمام محمد الباقر أو الإمام جعفر الصادق أو الحسن العسكرى.

وحتى لانطيل على القارئ العزيز فسوف اكتفى من السند بالراوى الأخير يليه الإمام الشيعى.

١ - قال تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة ٦) بسنده إلى الإمام الصادق - أى جعفر الصادق - قال : الطريق هو أمير المؤمنين ومعرفة الإمام.

ويؤكد ذلك عن الصادق أيضاً أنه قال فى قوله تعالى : ﴿وأنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم﴾ هو أمير المؤمنين فى أم الكتاب.[1]

ثم بسند إلى جعفر الصادق أيضاً يقول : الصراط صراطان : صراط فى الدنيا وهو الإمام المفترض الطاعة وهو على من عرفه واقتدى بهداه مر على الصراط الذى هو جسر جهنم، أما من لم يعرفه فإن قدمه تزل ويتردى فى النار.[2]

ويؤكد الكلام بحديث مروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال لعلى بن أبى طالب : «أنت الطريق الواضح وأنت الصراط المستقيم».

وبسند عن الباقر عن أبيه عن جده قال رسول الله ﷺ :(من سره أن يجوز على الصراط كالريح العاصف ويلج الجنة فليتولى وليى ووصيى وصاحبى وخليفتى على أهلى على بن أبى طالب - ومن سره أن يلج النار فليترك ولايته، فوعزة ربى وجلاله أنه لباب الله الذى لا يؤتى إلامنه وإنه الصراط المستقيم وإنه الذى يسأل عن ولايته يوم القيامة)[3]

٢ - وينقل المؤلف بسندة عن الباقر قال : قال رسول الله ﷺ : (يا على إذا

---

(١) الإمام على فى القرآن والسنة ١ /١٣ .
(٢) المرجع نفسه ١ /١٣ .
(٣) المرجع نفسه ١ / ١٤ نقلا عن شواهد التنزيل للحسكانى ١ /٥٨ .

كان يوم القيامة اقعد أنا وأنت وجبريل على الصراط فلم يجز أحد إلا من كان معه كتاب فيه براءة بولايتك) [١]

٣ - فعلى رضى الله عنه حسب ما يرى الشيعة - وهى رؤية غريبة عن الإسلام - ليس الصراط فقط وإنما دخول الجنة واجتياز جهنم موقوف على ولايته أو عدم ولايته. وهو مع الرسول وجبريل يقعدون على الصراط بحيث لا يجتازه بأمان إلا من معه براءة بولاية على رضى الله عنه.

وكأنى بالآيات الكريمة : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ⁽٦⁾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⁽٧⁾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة ٦-٨) معطلة فعمل الخير أو عمل الشر لا معنى له وإنما المهم هو من والى علياً أو عاداه.

إننا نحب على بن أبى طالب ونجله لأنه من السابقين الأولين فى الإسلام، ولأنه قام بكل ما يقدر للدفاع عن عقيدة لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولأنه زوج فاطمة أحب بنات رسول الله إليه، ولأنه الخليفة الرابع للرسول ﷺ، ولأنه ابن عم رسول الله.

لكننا نرفض الافتراء على الله وعلى رسوله وعلى الإمام على رضى الله عنه.

٤ - يقول سبحانه وتعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة ٢).

ينقل المؤلف بسند عن جعفر الصادق قال : الكتاب هو على وهو هدى للمتقين وهو تبيان للشيعة. [٢]

٥ - يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ⁽٨⁾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة ٨، ٩)

(١) المرجع نفسه ١ / ١٤ نقلاً عن معانى الاخبار للشيخ الصدوق ص٣٥ .
(٢) نفسه ١ / ١٧ .

ينقل المؤلف نص غدير خم عن موسى بن جعفر - وقد ذكرناه قبل ذلك بما يرتبط به من معان شيعية والمهم هنا أن النص المنقول يستمر ليبين أن قوماً - وهم كما مرالصديق وعمر بن الخطاب وبقية العشرة المبشرين بالجنة - اظهروا الموافقة وأضمروا الرفض كراهية أن يؤول الأمر لعلى بن أبى طالب بعدالرسول فأخبر الله محمداً عنهم فقال يا محمد (ومن الناس من يقول آمنا بالله) الذى أمرك بنصب على إماماً وسائساً لأمتك ومدبراً (وما هم بمؤمنين) ولكنهم مواطئون على هلاكك واهلاكه فهم (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون) أى أنهم بخداعهم لا يضرون إلا أنفسهم فالله غنى عنهم وعن نصرتهم.[1]

وهكذا وتمشياً مع منهج الشيعة فى اخضاع القرآن الكريم لكل ما يناسب أغراضهم يفسرون الآيات القرآنية بحيث يجعلون المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، هم الذين أظهروا الموافقة على إمامة على يوم غدير خم بحضرة الرسول عليه السلام، وأبطنوا التآمر عليه، وهم أنفسهم الذين فى قلوبهم مرض والله يزيدهم مرضاً على مرضهم ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون فى قولهم إنا على البيعة والعهد مقيمون.[2]

٦ - ويستمر المؤلف فى تتبع آيات سورة البقرة حيث يخضع الكثير منها لخدمة الفكرة الرئيسية عند الشيعة وهى وصية الرسول بإمامة على بعده مباشرة.

فى تفسير الآية الكريمة ﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ ينقل عن الحافظ الحسكانى بسند عن عبد الله بن مسعود قال : وقعت الخلافة من الله عز وجل فى القرآن لثلاثة نفر آدم حيث قال الله تعالى : ﴿أنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ وداود حيث قال تعالى : ﴿ياداود إنا جعلناك خليفة

(١) نفس المرجع ١ / ٢٣.

(٢) نفس المرجع ١ / ٢٤.

في الأرض ﴾والخليفة الثالث على بن أبي طالب [١] لقوله تعالى : ﴿ليستخلفنهم كما استخلف الذين من قبلهم﴾.

وعن الآية الكريمة ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ بسند عن الحسن العسكرى الإمام الحادى عشر عند الشيعة قال : أى اسماء الأنبياء وأسماء محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين والطيبين من آلهما وأسماء رجال من شيعتهم. [٢]

وبعد أن أكل آدم وحواء من الشجرة وبدت لهما سوءاتهما جاءهما جبريل وطلب منهما أن يسألا ربهما بحق الأسماء التى رأياها على ساق العرش حتى يتوب عليهما.

فقالا : اللهم إنا نسألك بحق الأكرمين عليك محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين والأئمة إلا تبت علينا - فتاب الله عليهما.

وفى الآية الكريمة ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن﴾ يقول المؤلف سئل جعفر الصادق عن الكلمات فقال : هى الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فتاب عليه وهو أنه قال : يارب أسألك بحق محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين ألا تبت على فتاب الله عليه.

وسئل عن (فاتمهن) قال يعنى فأتمهن إلى القائم عليه السلام اثنى عشر إماماً تسعة من ولد الحسين.

وفى الآية الكريمة : ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ يقول : الصلوات رسول الله وعلى وفاطمة والحسن والحسين (والوسطى) أمير المؤمنين (وقوموا لله قانتين) أى طائعين للأئمة [٣].

---

(١) نفس المرجع ص ٢٦ نقلاً عن الحسكانى ص ٧٥ .
(٢) نفس المرجع ١ / ٢٧ نقلاً عن الحسكانى ص ٨٢ .
(٣) المرجع نفسه ١ / ٨٦ .

٧ - ويختم المؤلف آيات سورة البقرة بقول الله تعالى : ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون... ﴾ فيذكر أن في إسراء رسول الله ﷺ سأل الله محمداً من خلفت في أمتك ؟ فقال الرسول خيرها. فقال الله تعالى : على بن أبي طالب فقال الرسول نعم. وقال الله لمحمد أني شققت لك اسماً من اسمائي فأنا المحمود وأنت محمد. واخترت علياً وشققت له اسماً من أسمائي فأنا الأعلى وهو علي. ثم يقول الله يا محمد إني خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من نوري. وعرضت ولايتكم على أهل السموات والأرض فمن قبلها كان عندي من المؤمنين. ومن جحدها كان عندي من الكافرين.

ويرى الله سبحانه وتعالى محمداً ليلة الإسراء الأئمة الاثنى عشر. وفي الإسراء أيضاً قال الله لمحمد من لأمتك بعدك ؟ قال محمد الله أعلم. قال الله علياً أمير المؤمنين.

يقول أبو جعفر الصادق : والله ما كانت ولايته إلا من الله مشافهة لمحمد ﷺ. [1]

وتأخذ سورة آل عمران من المؤلف ومن ينقل عنهم نفس التوجه الذي أخذته سورة البقرة حيث يخضع المؤلف آيات السورة للتأويل الغريب والعجيب الذي يحدم الفكر العام عند الشيعة وهو فكر يخالف ما عليه القرآن والسنة المطهرة.

٨ - ويستمر نفس التوجه في سورة النساء مع اضافة تحريف لبعض آيات القرآن الكريم مثل :

بسند عن أبي عبد الله قال : إنما نزلت ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك. في علي. أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله وكيلاً﴾ وواضح أنهم أضافوا للآية الكريمة ١٦٦ من سورة النساء جملة في علي.

(١) نفس المرجع ١ / ٩٤.

ومثل : تحريف الآية ١٦٨ والآية ١٧٠ من نفس السورة هكذا عن محمد بن الفضيل عن أبى جعفر قال : نزل جبريل بهذه الآية هكذا (إن الذين ظلموا آل محمد حقهم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا) [(١)]

فقد حذفو : من الآية كلمة كفروا .وأضافوا إليها من عندهم آل محمد حقهم. وصحة الآية هكذا ﴿إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا﴾.

وعن نفس السند الآية ١٧٠ (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فى ولاية على فآمنوا خيراً لكم وإن تكفروا بولايته فإن لله ما فى السموات وما فى الأرض وكان الله عليماً حكيماً) [(٢)] فقد أضافوا للآية – فى ولاية على – كما أضافوا بولايته .وأضافواوما فى .

وصحة الآية هكذا : ﴿يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم وإن تكفروا فإن لله ما فى السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً﴾.

٩ – وتبدأ سورة المائدة بالآية الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقر د أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم ...﴾

بسند عن أبى جعفر قال : إن رسول الله عقد عليهم لعلى بالخلافة فى عشرة مواطن ثم أنزل الله : (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود التى عقدت عليكم لأمير المؤمنين) . هكذا باضافةالتى عقدت عليكم لأمير المؤمنين.

١٠ – وعن تسمية على بأمير المؤمنين حينما سئل جعفر لم سمى قال سماه الله وهكذا أنزله فى كتابة :

(١) المرجع نفسه ١ / ١٥٤ .

(٢) نفسه ١ / ١٥٤ .

(وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم وأن محمداً رسولى وأن علياً أمير المؤمنين) [١]

وهكذا حرفوا الآية ١٧٢ من سورة الأعراف باضافة وأن محمداً رسولى وأن علياً أمير المؤمنين. وهم فى تحريفهم يسندونه إلى الأئمة من باب الايهام أنهم يؤصلون وفى الحقيقة هم يكذبون.

١١ - وعن حذيفة اليمانى قال : قال رسول الله ﷺ : «لو يعلم الناس متى سمى على أمير المؤمنين ما أنكروا فضله. لقد سمى أميرالمؤمنين وآدم بين الروح والجسد».

ثم يذكر المؤلف آية الأعراف هكذا :

(وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم علىٰ أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى. وقالت الملائكة بلى. فقال تبارك وتعالي وانا ربكم ومحمد نبيكم وعلى وليكم وأميركم) [٢] هكذا باضافة من أول وقالت الملائكة إلى قوله وأميركم.

١٢ - وبسند عن أبى جعفر أنه سئل عن تأويل قوله تعالى : (إن عدة الشهورعند الله اثنا عشر شهراً) فقال للسائل : إن السنة هى جدى رسول الله، وشهورها اثنا عشر شهراً هم أمير المؤمنين على .. وعدد الأئمةالاثنى عشر إلى الإمام المختفى كما يقولون محمد المهدى بن الحسن العسكرى. [٣]

ولا أدرى هل كان الإمام منالشيعة يعلم باسماء الأئمة إلى الإمام المختفى ؟!

وتأول : (منها أربعة حرم ذلك الدين القيم) بأنهم أربعة من الأئمة يخرجون باسم واحد هم على أمير المؤمنين و على ابن الحسين وعلى بن موسى وعلى بن

(١) نفسه ١ / ٢١٥ .
(٢) المرجع نفسه ص ٢١٧ .
(٣) المرجع نفسه ص ٢٧٤ .

محمد فالاقرار بهؤلاء هو الدين القيم.

هكذا اخضاع القرآن الكريم لمعان لا تخطر إلا على بال من يريد لوى القرآن لمفاهيم خاصة به.

لقد سمحت لنفسى بذكر بعض النماذج - وربما الاكثار منها - لأقوال الشيعة فى القرآن الكريم ،وهى أقوال تنطلق من نقطة مركزية وهى إمامة على ابن أبى طالب بعد الرسول ﷺ بنص من الرسول نفسه، والطعن فيمن سبقه من الأئمة.

ومن أجل هذه النقطة المركزية لجأوا إلى تحريف القرآن الكريم الذى فى أيدى المسلمين والذى نقل بالتواتر المأمون من الخطأ - كما سنرى بايجاز فيما بعد - وادعواوجود قرآن آخر اشمل وأكمل وهو قرآن علىّ.

ولم يكتف الشيعة بالادعاء الغريب عن البيئة الإسلامية، بل راحوا يؤولون النصوص القرآنية وفق هواهم ويخضعونها اخضاعاً مريباً لتضخيم صورة على وفاطمة والحسن والحسين وبقية الأئمة الاثنى عشرية المزعومين.(١)

ويستندون فى تأويلهم إلى أحاديث من وضعهم ينسبونها كذبا إلى رسول الله ﷺ وإلى الخليفة الرابع على رضى الله عنه وإلى بعض الصحابة الأطهار كأبى سعيد الخدرى وأبى ذررضى الله عنهما والأئمة الاثنى عشرية.

وأسأل هل يكون مسلماً من يحرف القرآن الكريم الذى قال فى حقه الله تعالى : ﴿إنانحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ وقال : ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ الإسراء ٨٨ .

وهل يحافظ على إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر

(١) على سبيل المثال يفسرون الآية الكريمة ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاه...﴾ النور ٣٥ يقول جعفر : المشكاه هى فاطمة - والمصباح هو الحسن. والمصباح فى زجاجة هو الحسين. ونور على نور أمام بعد إمام . يهدى الله لنوره من يشاء أى يهدى للأئمة - أصول الكافى ج١ ص ٢٥٢ .

خيره وشره. من يضيف لآيات القرآن الكريم كلمات من عند نفسه ويدعى أنها من القرآن، أويخضع القرآن لمفاهيم تتناقض مع الإيمان؟!!.

أن النورى الشيعى ينتقص من قدرة الله تعالى على حفظ القرآن الكريم حينما يؤلف كتاباً بعنوان (فصل الخطاب فى تحريف الكتاب) يذكر فيه عبارات يزعم أنها آيات قرآنية محرفة، ولا يهمه وغيره من الشيعة «اقرار الإمام على فى أيام خلافته بهذا القرآن الموجود بين أيدى المسلمين، فلو كانت هناك سورة أو آيات محرفة لتحدث عنها الإمام على وأثبتها فى القرآن. [1] وهو من هو فى شجاعته وأمانته وإيمانه.

وبخاصة أن دعوى التحريف ترتكز على القول بأن الصحابة حذفوا من القرآن كل ما يتصل بأحقية على فى الإمامة وبأنه أفضل منهم وآله معه، وأن القرآن الصحيح هو قرآن على.

وأسأل هل كان يخاف الإمام على وهو إمام المسلمين فى وقتها من أحد من رعاياه أو من كل رعاياه إن هو أظهر القرآن الذى يدعوه ؟!! وهل فاق خوفه من الرعية خوفه من الله تعالى ؟!! ثم ما الذى يدفعه للكذب على الله سبحانه وتعالى وعلى رسوله ﷺ وخيانتهما بعدم اظهار الحقيقة ؟!!

إن كل ما قيل وذكر فى الكتب الشيعية عن مصحف الإمام على ليس أكثر من اضفاء هالة من الغلو على شخصية الإمام على حسب زعم الذين كانوا وراء وضع هذه الأساطير ... - وقد - أساءوا إلى الإمام على فوصفوا الإمام بأنه يخفى أحكاماً الهية.. ولم يدل بها إلا لأولاده الذين هم الأئمة. والأئمة بدورهم

---

(١) د. موسى الموسوى الشيعة والتصحيح ص ١٣١ . والنورى هو حسين بن محمد تقى النورى الطبرى واسم كتابه فصل الخطاب فى إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، جمع فيه مئات النصوص عن كبار الشيعة يبين آن القرآن محرف ومع تظاهر بعض الشيعة بالبراءة من هذا الكتاب فإن التظاهر ربما يكون من باب التقية.

أخفوها عن المسلمين وحتى عن شيعتهم، إلى أن اختفت كل تلك العلوم باختفاء الإمام الثاني عشر.

وهكذا نرى أن الحب الجارف عندما يتجاوز حده ينتهي إلى الاساءة المطلقة [١]

و نحن لانقول أن حب القوم لعلي انتهى بهم إلى الاساءة المطلقة، وإنما نقول انتهى بهم إلى التطاول على الله تعالى والرسول عليه الصلاة والسلام وعلى رضي الله عنه وآل البيت والقرآن الكريم والمسلمين.

وندعوهم إن كانوا حقاً مسلمين إلى حذف هذا التطاول على القرآن، والعودة الواعية المؤمنة المتعقلة إلى كتاب الله المحفوظ بحفظ الله والمنزل على الرسول ﷺ.

(١) الشيعة والتصحيح ص ١٣٤ .

نبذة عن جمع القرآن الكريم

القـرآن الكريم هو كـلام الله عـز وجل، المنزل على خـاتم الانبـيـاء والمرسلين محمد ﷺ.

وهو الكتاب الخاتم والمتمم والمهيمن على الكتب السماوية المتعبد بتلاوته، والمتحدى بأقصر سورة فيه، والمنقول بالتواتر المأمون من الخطأ، والمشتمل على ما ينفع الإنسان فى دينه ودنياه وآخرته.

وقد تعهد ربنا عـز وجل بحفظه من بدء نزوله وإلى أن تقوم الساعة يقول سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر ٩).

فمع بدايه الوحى ومع لحظاته الأولى كان عليه الصلاة والسلام يسمع الآية أو الآيات من جبريل عليه السلام ويحرص كل الحرص على ترديدها بلسانه وقلبه ليحفظها. وظل كذلك حتى طمأنه ربه عز وجل بأن وعده بأن يجمعه له فى صدره الشريف.

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ ﴾ (القيامة ١٩:١٦).

ويقول عز وجل : ﴿ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (طه ١١٤).

ويقول : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ﴾ (الإسراء ١٠٦)

و كان ﷺ يقرأ الآية أو الآيات التى نزلت فور نزولها على الصحابة رضوان الله عليهم.

وحرصاً منهم على كلام الله سبحانه كان منهم من يحفظها، ومنهم من يكتبها ومنهم من يجمع بين الأمرين.

ليس فقط بل أنه عليه الصلاة والسلام اتخذ كتاباً للوحى من خيرة الصحابة وأعلمهم منهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ومعاوية وخالد بن الوليد وأبى بن كعب وزيد بن ثابت وابان بن سعيد وثابت بن قيس وغيرهم وأمرهم بكتابه القرآن، ولم يكن ذلك إلا زيادة فى التوثيق والحفظ والضبط حتى تظاهر الكتابة الحفظ ويسلم القرآن الكريم من أى تحريف أو تبديل، وحتى لايختلط القرآن بغيره.

وكان الرسول يقول : «لا تكتبوا عنى شيئًا إلا القرآن فمن كتب عنى شيئًا غير القرآن فليمحه» (١)

وكان ﷺ يقول لهم ضعوا آية كذا فى مكان كذا من سورة كذا.

ولم يكن هذا إلاتنفيذاً لكلام جبريل عليه السلام، ولا شك أن جبريل عليه السلام كان ينفذ أمر الله سبحانه.

وكان كتاب الوحى أمناء مع ربهم، ومع رسولهم، ومع دينهم،ومع أنفسهم.

يكتبون بكل دقة وأمانة ما ينزل من القرآن الكريم على ما توفر أمامهم من العسب - أى جريد النخل - واللخاف - أى الحجارة الرقيقة - والرقاع وهى من الجلد أو الورق،وعلى عظام الاكتاف والاضلاع، ويحفظ المكتوب فى بيته ﷺ. (٢)

ولم ينقض العهد النبوى الشريف ولم يلحق الرسول بالرفيق الأعلى - إلا بعد أن تمت أمورمنها :

---

(١) ذكره أحمد بن حنبل فى المسند ٣ / ٢١ عن عطاء بن يسار عن سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ.

(٢) راجع مناهل العرفان ١ / ٢٣٦ محمد عبد العظيم الزرقانى مطبعة عيسى البابى الحلبى.

أولاً : مراجعة الرسول عليه الصلاة والسلام للقرآن الكريم كله على جبريل عليه السلام.

تقول فاطمة رضى الله عنها كما هو فى صحيح البخارى :(أسر إلى النبى ﷺ . أن جبريل كان يعارضنى بالقرآن كل سنة، وأنه عارضنى العام مرتين، ولا أراه إلا قد حضر أجلى)(١)

ثانياً : جمع القرآن الكريم كله بكتابته على ما تيسر من أدوات، غير أنه لم يكتب لا فى صحف ولا مصاحف.

ثالثاً : قيام عدد كبير من الصحابة بحفظه فى قلوبهم وصدورهم.

وبعد أن عرفنا أن القرآن الكريم جمع فى عهد الرسول ﷺ ، على ما تيسر من الأدوات.

نريد أن نتعرف على الدوافع التى حدت بالصديق رضى الله عنه لجمع القرآن؟ وبم تميز هذا الجمع فنقول :

لما لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى. وتولى أمر المسلمين الخليفة الأول أبو بكر الصديق. وفى السنة الثانية عشرة للهجرة قامت حرب اليمامة بين المسلمين وأهل الردة من أتباع مسيلمة الكذاب.

وفى هذه الموقعة استشهد عدد كبير من قراء الصحابة وحفاظ القرآن. فعظم الأمر على المسلمين، وأفزعهم ما حدث، وعز على عمر بن الخطاب ما رأى، وخاف أن يضيع كتاب الله بموت الحفاظ واستشهاد القراء فألح على أبى بكر أن يجمع القرآن فى صحف.

---

(١) ذكره البخارى فى صحيحة كتاب نزول الوحى - باب كان جبريل يعرض القرآن على النبى ٣ / ٢٢٧ دارإحياء الكتب العربية.

وتردد الصديق أول الأمر ، لكنه اقتنع بعد ذلك حينما تبين له أن جمع القرآن ليس من البدع، بل هو مستمد من القواعد التى وضعها الرسول بتشريع كتابة القرآن واتخاذ كتاب الوحى.

وقد انتدب أبو بكر لهذا الجمع زيد بن ثابت وهو من خيرة الصحابة ومن كتاب الوحى لرسول الله، ومن حفظة القرآن الكريم، ومن الذين حضروا العرضة الأخيرة للقرآن فى حياة الرسول عليه الصلاة والسلام.

بالإضافة إلى ورعه وأمانته وحسن خلقه وخوفه الشديد من الله عز وجل.

وتردد أيضاً زيد بن ثابت أول الأمر ،وحينما أطمأنت نفسه واقتنع بقول الصديق وتيقن من صواب الفكرة وأنها لمصلحة المسلمين.

قام بجمع القرآن بكتابته فى الصحف وفقاً للمنهج الذى وضعه أبو بكر وعمر، فلم يكتف بما حفظ فى صدره، ولا بما كتب بيده،ولا بما سمع باذنه. بل راح يبالغ فى الحذر والدقة والتحرى، وأخذ على نفسه أن يعتمد فى جمعه على مصدرين هما : ما كتب بين يدى رسول الله ﷺ وما كان محفوظاً فى صدور الرجال من أصحاب الرسول ﷺ.

وبعد الانتهاء من جمع زيد للقرآن الكريم بكتابته فى صحف. حفظت هذه الصحف عند أبى بكر ثم نقلت بعد مماته إلى عمر ابن الخطاب ثم نقلت إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر.

(عن عبيد بن السابق أن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضى الله عنه: إن عمر أتانى فقال أن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإنى أرى أن تأمر بجمع

القرآن. قلت لعمر كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ . قال عمر هذ والله خير ، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن فاجمعه... قلت كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله ، قال هو والله خير . فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .

فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدورالرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره - لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حتى خاتمة براءة .

فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنه» [1]

وقد تميزت هذه الصحف بميزات منها :

١ - إنها جمعت القرآن الكريم على أدق وجوه البحث والتثبت العلمى .

٢ - أنه اقتصر فيها على مالم ينسخ تلاوته .

٣ - إن كل سورة فى هذا الجمع أصبحت وحدة مستقلة فى عدد من الصحف .

٤ - إنها ظفرت باجماع الأمة عليها وبلوغها حد التواتر .

وقد اتسعت رقعة الدولة الإسلامية فى عهد الخليفة الثالث عثمان رضى الله عنه . ومع اتساعها انتشر قراء القرآن الكريم وحفاظه فى كل الأقاليم يقرؤن الناس كتاب ربهم ،ليكون دستوراً لهم فى كل شئون دينهم ودنياهم .

---

(١) صحيح البخارى كتاب نزول الوحى . باب جمع القرآن ٣ / ٢٣٥ .

وكان أهل كل إقليم من الأقاليم الإسلامية يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً.

فأهل الشام يقرأون بقراءة أبى بن كعب ،وأهل الكوفة يقرأون بقراءة عبد الله ابن مسعود، وغيرهم مثلاً يقرأون بقراءة أبى موسى الأشعرى.. وهكذا.

ونتج عن هذا اختلاف فى وجوه الأداء، لأن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف، ولأن كل صحابى كان يقرأه بالحرف الذى سمعه من النبى ﷺ.

وقد ترتب على هذا الاختلاف فى الأداء شقاق وصراع ،وكادت تحدث فتنة تقود المسلمين إلى اختلاف كبير. حدث هذا فى الأقاليم البعيدة عن مركز الخلافة.

ولما رأى حذيفة بن اليمان هذا الخلاف والصراع، هاله الأمر وقال لخليفة المسلمين عثمان رضى الله عنه (أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب، اختلاف اليهود والنصارى) [1]

أما فى مركز الخلافة فقد أخرج عبد الله بن أبى داود فى كتاب المصاحف من طريق أبى قلابة قال :

(لما كان فى خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، حتى كفر بعضهم بعضا.

فبلغ ذلك عثمان فقام خطيباً فقال : (أنتم عندى تختلفون فيه فتلحنون، فمن نأى عنى من الأمصار أشد فيه اختلافاً وأشد لحنا، اجتمعوا يا أصحاب محمد واكتبوا للناس اماما).

(١) أبو بكر عبد الله بن أبى داود السجستانى كتاب المصاحف ص ٢٦ ١٩٨٨ بيروت.

وصدق عثمان رضى الله عنه فقد كان الأمر ينذر بالخطر لهذه الأسباب ،وحرصاً من الخليفة عثمان رضى الله عنه على كتاب الله عز جل، وعلى أمن المسلمين ووحدتهم، استشار الصحابة رضوان الله عليهم فيما يصنع حتى يزول الخلاف، وتحسم مادة النزاع.

فأجمعوا أمرهم على استنساخ مصاحف من مصحف امام وترسل إلى الأقاليم، وتكون هى الأساس والمرجع، وللفور خرجت الفكرة للتنفيذ فى إطار الخطوات التالية :

أولاً : شكل عثمان لجنة علمية من زيد بن ثابت وهو من الأنصار، ومن ثلاثة من القرشيين هم عبد الله بن الزبير ،وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث ابن هشام.

ثانياً : أعلمهم بالمنهج الذى يسيرون عليه فى كتابة المصحف الإمام قائلاً : إن اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم.

ثالثاً : أرسل إلى حفصة بنت عمر (أن أرسلى الصحف نستنسخها ثم نردها إليك) وأرسلت حفصة الصحف الأصلية، لتكون هى المنطلق الأساسى لعمل اللجنة العلمية . .وأعادها الخليفة عثمان إليها بعد الانتهاء من نسخها.

رابعاً : بعد انتهاء اللجنة من كتابة المصحف أرسلت نسخ منه إلى الأقاليم المختلفة.

وبهذا العمل الجليل تم له جمع المسلمين على كتاب ربهم ،قبل أن تتداخل القراءات ويحدث المحظور.

ذكر البخارى فى صحيحة (أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق.

فافزع حذيفة اختلافهم فى القراءة.

فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب ، اختلاف اليهود والنصارى) فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك . فارسلت بها حفصة إلى عثمان.

فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة ، إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا.

حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف ، رد عثمان الصحف إلى حفصة. وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أن يحرق) [1]

هذا وقد توفرت مزايا عديدة فى المصحف الذى جمع بأمر عثمان رضى الله عنه :

الاقتصار على ما ثبت بالتواتر واهمال ما نسخت تلاوته ، ولم يستقر فى العرضة الأخيرة ،وترتيب السور والآيات على الوجه المعروف لنا الآن ، بخلاف الصحف التى جمعت بأمر أبى بكر رضى الله عنه ، فقد كانت مرتبة الآيات دون السور.

وقد تمت كتابة المصحف بطريقة جمعت وجوه القراءات المختلفة والأحرف التى نزل عليها القرآن.

رحم الله عثمان فقد حفظ بعمله كتاب الله عز وجل من أى تحريف أو تبديل أو تغيير.

(١) صحيح البخارى كتاب كيف نزول الوحى باب جمع القرآن ٣ / ٢٢٥ .

تذييل ضرورى

قبل تقديم الكتاب لإعادة طبعه، قرأت كتاباً لكاتب شيعى معاصر اسمه : السيد جعفر مرتضى العاملى وعنوان الكتاب (حقائق هامة حول القرآن الكريم) الناشر : دار الصفوة - بيروت ط ١٤١٣ هـ- ١٩٩٢ م وهو يقع فى ٤٧٧ صفحة من القطع الكبير.

والعنوان لافت للنظر، ودافع لمن هو مثلى مهموم بما كتب عن القرآن الكريم فى كتب بعض الشيعة.

دافع وبقوة لقراءته بتريث وعقلانية وسماع موضوعى لفكر الآخر الذى نشترك معه فى الشهادتين، وفى الصلاة والزكاة والصوم والحج وقبل ذلك التصديق القلبى الجازم الذى لا يداخله أى شك بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

ومع كل هذا أصارعه ويصارعنى فى أمر تجاوزه الزمن تدفعنى وتدفعه قوى خفية جل همها الابقاء على التفرق والحرص على تمزيق أوصال أمة الإسلام، واظهار المسلمين وكأنهم قلة من الإرهابيين الكارهين للديمقراطية والمعوقين لحركة التقدم فى الحياة.

ومع توفيق الله سبحانه وتعالى لى من الانتهاء من قراءة الكتاب المذكور، فإنى اسارع بتقديم الشكر لمؤلفه الذى حاول قدر طاقته أن يبرئ ساحة الإمامية الاثنى عشرية من القول بتحريف القرآن الكريم.

ومع قبولى بنية حسنة لكل ما قال، واستبعادى من أجل وحدة المسلمين أن يكون المنطلق معتقد التقية، وإيمانى بأن المطلوب من الجميع سنة وشيعة أن يعتصموا بدين الله المتمثل فى القرآن الكريم والسنة المطهرة، وبخاصة فى هذه

الظروف القاسية التى تعيشها الأمة الإسلامية وسط ضباب كثيف من الأقاويل والدعاوى المفتراة عليها.

ومع سعادتى بكل ما قال المؤلف دفاعاً عن القرآن ﴿الذى لا يتأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾. والمحفوظ بحفظ الله تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾. فإنى أوجز بعض النقاط الهامة التى ذكرها المؤلف - وربما بلفظه - شكر الله له سعيه وأجزل له العطاء ورحمه ورحمنا إنه تعالى نعم المولى ونعم النصير.

يقول المؤلف السيد جعفر مرتضى العاملى : ومهما يكن من أمر فإن الشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ قال عن موقف الشيعة من مسألة التحريف - اعتقادنا أن القرآن الذى أنزله الله على نبيه محمد ﷺ هو ما بين الدفتين، وما فى أيدى الناس ، ومن نسب إلينا أنا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب - .... ثم يقول العاملى هذا وإنك لتجد جلة علماء الشيعة وجهابذة فقهائهم قد ألفوا الكثير من المصنفات ... فى رد من زعم تحريف القرآن فليراجع ما كتبه كل من :

الشيخ المفيد - وابن شهر آشوب - والمرتضى والطوسى وابن إدريس والرضى والطبرسى وابن طاووس والعلامة الحلى، والقاضى التسترى والبياضى والكركى،وفتح

---

(١) حقائق هامة حول القرآن الكريم ص ٢١-٢٣ .
(٢) حقائق هامة حول القرآن الكريم ص ٢٧ .

• عن الكلينى وما ورد فى كتابه :

يقو ل السيد جعفر العاملى إن الكلبنى لم يدع صحة جميع ما فى كتابه ؛ ولهذا يلزم التعامل مع الاخبار التى يرويها حول القرآن فى نطاق الاخبار البلاغية ووفق قواعد الرد والقبول المرسومة إن لم يمكن تأويلها على وجه صحيح .

– والكلينى أورد بعض ما يثبت التحريف فى قسم النوادر أى أنه يعتبرها أخبار آحاد ، وردت مورد الشذوذ والندرة ، وهى أخبار يرى العلماء أنها لا تنسجم مع ما عداها .

– ثم إن الكافى عند الشيعة لا يصل إلى درجة الصحاح عند السنة ، فإذا صح ما ورد فيه فى البعض فإن البعض الآخر ليس بصحيح .

فيه إذاً الصحيح والسقيم والضعيف والقو ى والمرسل والمسند .

– والعلماء الاجلاء من الشيعة لم يلتفتوا إلى مثل هذه الأحاديث قديماً وحديثاً ، بل بينوا أن قسماً منها راجع للتأويل أو التفسير و قسم فيها يهدف إلى الاشارة إلى تحريف المعانى إلى غير ذلك من وجوه ذكروها فى هذا المجال [1] .

• ما ظاهره التحريف :

يضرب به عرض الحائط وأما ما كان منها ظاهراً أو صريحاً فى التحريف ، ولا يقبل الحمل على معنى صحيح . فقد اعتقدوا بكذبه وضربوا به عرض الحائط [2] .

– وغالب ما روى فى هذا المجال إنما هو مروى عن غلاة الشيعة والكذابين والوضاعين.

---

(١) المرجع نفسه ص ٣٠ .

(٢) المرجع نفسه ص ٣٠ .

- ولتأكيد فكرة أن بعض ما فى الكافى صحيح ، والبعض الآخر ليس كذلك بقول بعض الشيعة إن احاديث الكافى حوالى ستة عشر ألفاً ومائتى حديث ، وهم يضعفون منها حوالى تسعة آلاف وخمسمائة حديث ، والباقى صحيح وحسن وموثق» [١].

• ما فى تفسير القمى من أحاديث فيه خلط :

- وعن تفسير القمى وما ورد فيه من أحاديث فعلى الرغم من أن بعض العلماء وثقوا هذه الأحاديث إلا أن البعض الآخر وهم كثير لم يقبلوا من القمى هذه الأحاديث وبخاصة أن هذا التفسير خلط ما روى عن القمى بما روى عن ابى الجارود والآخر ضعيف الرواية .

• الزيادات مرجعها إلى تفسيرات موحى بها :

- وعن معنى التنزيل الوارد فى قول على بن أبى طالب «ولقد حضروا الكتاب كملاً مشتملاً على التنزيل والتأويل » .

- يقول العاملى الطاهر : أن المراد بالتنزيل هو نفس القرآن أو شأن نزول الآيات كذكر اسماء المنافقين ونحو ذلك ... أو التفاسير التى انزلها الله تعالى على رسوله شارحاً لبعض الآيات ... التى يحتاج إلى توصيف منه تعالى فينزل ذلك على النبى الاعظم وهذه التفاسير ليست قرآناً ، بل هى من قبل الأحاديث القدسية التى هى وحى إلهى وليست قرآناً .

• الزيادات فى مصحف على زيادات تفسيرية :

- وهذا يفسر بعض الإضافات التى ترى فى آية من الآيات ويفسرقول على أو غيره من الأئمة هكذا أنزلت أى أن نزول تفسيرها من قبل الله تعالى وخرج

---

(١) المرجع نفسه ص ٣٣ .

التفسير بالآية على سبيل البيان والتوضيح .

– وهذا مثل ما ورد من زيادات في المصحف الذى جمعه على رضى الله عنه فهى زيادات تفسيرية نزلت من الله وهى ليست من القرآن .

وذكر اسماء المنافقين هى من هذه الزيادات التى ليست من القرآن .

● ما قاله الإمام جعفر مرجعه زيادات تفسيرية :

– وما قاله الإمام جعفر الصادق : يا ابن سنان إن سورة الأحزاب فضحت نساء قريش من العرب وكانت أطول من سورة البقرة ولكن نقصوها وحرفوها . يراد منه أنهم حذفوا منه التنزيل الذى هو تفسير وليس بقرآن .

– وما قاله الإمام جعفر : انزل الله فى القرآن سبعة باسمائهم فمحت قريش ستة وتركوا أبا لهب .[1] فما محى هو التفسير وليس القرآن .

● زيادات تفسيرية فى مصحف الإمامين على والرضا :

– ماروى أن أبا بكر رد مصحف على لأنه وجد فيه فضائع القوم يرجع لنفس القبيل ، أى ما رآه الصديق هو تفسير ، وليس بقرآن لأنه لا يعقل أن يزيد على أو ينقص من القرآن وهو التقى النقى الورع وإنما ذكر الزيادات أى التفاسير التى املاها الرسول بنفسه عليه .

– وبذكر أن المصحف الذى دفعه الإمام الرضا إلى البيزنطى ذكرت فيه اسماء سبعين رجلاً فى سورة لم يكن هو ايضاً من التفسير أو البيان أو التوضيح فإن من القريب أن تكون تلك الاسماء تفسيراً للآية ، ولعله تفسير جاء به جبريل من قبل الله تعالى . وكذا الحال فى كل ما ورد عنهم عليهم السلام فيما هو من هذا القبيل »[2].

---

(١) المرجع نفسه ص ١٦٥ هامش .

(٢) المرجع نفسه ص ١٦٥ .

• مصحف فاطمة رضى الله عنها :

- ودعوى أن الشيعة يقولون بأن لدى فاطمة مصحفاً يخالف ما فى أيدى المسلمين. هناك عدة روايات حول هذا المصحف يستفاد منها أن فاطمة لم يكن معها مصحف يخالف ما في أيدى المسلمين ولا تدعى ذلك بل ما تقول به أو ينقل عنها أنه كتاب مثل سائر الكتب فيه وصيتها وعلم ما يكون حسب ما تقول الروايات .(١)

• دعوى أن آيات القرآن سبع عشرة ألف آية :

- تعليقاً على قول بعض الشيعة أن آيات القرآن سبع عشرة ألف آية مع أنها فى الحقيقة ليست كذلك قال الصدوق : نقول إنه قد نزل من الوحى الذى ليس بقرآن ما لوجمع إلى القرآن كان مبلغه مقدار سبع عشرة ألف آية .(٢)

وهناك النصوص الكثيرة التى تؤكد أن القرآن الذى يتمسك ويحفظه الشيعة هو نفسه الذى جمعه عثمان بل جمعه من قبل عثمان فى صحف أبو بكر وعمر، وهو نفسه الذى أنزل على الرسول ﷺ فأى زيادات هى تفاسير موحى بها . ولو أن ثلثى القرآن ذهب ولم يبق إلا ثلثه ، لثارت ثائرة الصحابة جميعاً وأولهم الإمام على رضى الله عنه ، وهم الذين كانوا يدققون فى كل ما يتصل بآيات القرآن الكريم، وهناك من الصحابة من كان يحفظ القرآن عن ظهر قلب وعددهم كثير، ومنهم من كتب لنفسه مصحفاً فى عصر الرسول ﷺ ، فلو أن ثلثى القرآن سقط أو ثلثه، أو أى شىء منه لظهر واشتهر ولصار مرضع خلاف بين المسلمين وهذا لم يحدث .(٣)

---

(١) نفس المرجع ص ١٦٨ .

(٢) نفس المرجع ص ٣٧٢ .

(٣) المرجع نفسه ص ٣٧٣ .

• النورى وكتابه فصل الخطاب :

- ويذكر المؤلف النورى الشيعى الف كتاباً زعم فيه تحريف القرآن وأسماه (فصل الخطاب فى تحريف كتاب رب الأرباب) ويدعى أى العاملى صاحب كتاب حقائق هامة أن النورى اغتر ببعض الروايات عن بعض الشيعة وافتر أكثر بروايات كثيرة عن أهل السنة .

• أدلة النورى والرد على بعضها :

- ويبدأ العاملى بعد ذلك فى تلخيص أدلة النورى، والرد عليها بإيجاز أيضاً، وهو إيجاز مقنع فى عمومه .

- من هذه الأدلة ما يقول به أهل السنة والشيعة بأن ما وقع فى الأمم السابقة سيقع فى هذه الأمة ... ومن ذلك تحريف الكتاب .(١)

- ويرد بأن هذا الكلام باطل فليس من الضرورى ولا من طبائع الاشياء أنه يقع للاحق مثل ما وقع للسابق، ربما يقع بعضه أما كله أو جله فلا ، فعبادة العجل وقعت لليهود ، وتيه بنى إسرائيل فى الصحراء وليس من الحتم أن يقع هذا للمسلمين وبمثل هذا غرق فرعون، وموت هارون من قبل أخيه موسى، ورفع عيسى وولادته من غير أب وقصة عزير وقصة أهل الكهف ... إلخ.

فما يقع ربما يقع من بعض الوجوه وربما لا يقع والقرآن معجز بلفظه، وليس كذلك الكتب السابقه، وكونه معجز يبقى بلا تحريف إلى أن تقوم الساعة ومع الاعجاز باللفظ فهو فى نفس الوقت معجزة الرسول ﷺ .

- ومنها اختلاف مصاحف بعض الصحابة فى ذكر بعض الآيات والكلمات فى السور.

---

(١) المرجع نفسه ص ٣٩٤ .

- ويرد بأن هذا الاختلاف أما تفسير أو تأويل أو دعاء .

- ومنها أن أبى بن كعب زاد فى مصحفه سورتى الخلع والحقد .

- ويرد بأنه ثبت أنه كتبهما فى مصحفه على أنهما دعاء وليس بقرآن .

- ومنها ما رواه أهل السنة من احراق عثمان للمصاحف وحمله الناس على قراءة واحدة .

- ويرد بأن أمير المؤمنين علياً قد أيده فى ذلك لكثرة ما ظهر فى الناس من اللحن فى القراءة، والقراءة باللهجات المختلفة وغير ذلك فهذا من العمل على حفظ القرآن من التحريف وليس العكس .[1]

- ومنها ما يقول به الشيعة من أن اسماء الأئمة وردت فى الكتب السابقة على القرآن، فلابد أنها وردت فى القرآن وحذفت .

- ويرد بأن الكتب السابقة حرفت ودخل فيها ما ليس منها، ولا يلزم أن يحدث هذا فى القرآن الكريم، لأنه محفوظ بحفظ الله ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ .

- ومنها ما ينسب إلى الشيعة من وقوع التحريف فى القرآن .

- ويرد بان المراد تحريف المعنى لا اللفظ فهى ترجع للتأويل لا للفظ القرآن وثبت أن الزيادات فى هذه الروايات ترجع إلى التفسير أو التأويل أو إضافة تفسير أوحى إلى محمد ﷺ بخصوص هذه الآيات فظن من نقل أنها من القرآن وليست كذلك .

وبعض الروايات زادها الغلاة والضعفاء واضافوا من عندهم اضافات مخالفة للضرورة القطعية فلا يلتفت إلى هذه الزيادات ولا يعتد بها ولا تؤثر فى سلامة

(١) نفس المرجع ص ٣٩٦ .

القرآن الكريم .

ومنها أكثر من الف رواية ذكرت فيها مواد مخصوصة من الآيات المحرفة .

- ويرد بأن أكثر هذه الروايات يرد عليها ما سبق قوله ثم أن التكرار فيها كثير وظاهر .

ثم أن ٣٢٠ رواية منها ترجع إلى السيارى وهو فاسد المذهب ومنحرف وغالى ملعون على لسان الصادق ومطعون فيه من الجميع و ٦٠٠ منها مكررات .

وقسم من احبار التحريف منقول عن على بن أحمد الكوفى الموصوف عند علماء الرجال بأنه كذاب فاسد المذهب .

وقسم آخر منقول عمن يوصف بالضعف أو الانحراف كيوتسس بن ظبيان الذى وصف بأنه غال كذاب وضاع للحديث .

ويبقى أن أقول إن العاملى مؤلف حقائق هامة ، وثق كل ما قاله فى كتابه دفاعاً عن القرآن ، بالرجوع الواعى إلى آمهات كتب الشيعة وبالتالى فهو مشارك لمؤلفيها وهم مشاركون له فى رفض القول بتحريف القرآن الكريم .

[٩] الشهادة الثالثة

كلمة التوحيد أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله ، شعار يتميز به المسلم عن الكافر ، ويخرج الكافر من كفره إذا هو قاله بصدق إلى الإسلام.

ولهذا صدر فى الآذان الله اكبر الله اكبر أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ... بتوقيف من الرسول ﷺ ، وأى تغيير فيه يعتبر عبثًا فيما أقره الرسول ﷺ واجمع عليه الصحابة والتابعون والذين قال فى حقهم القرآن الكريم : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ... ﴾ (الفتح الآية ٢٩) .

وقال فى حقهم الرسول ﷺ : «خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ...» ومن أوائل الصحابة الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقد سمع الآذان وأقره بعد إقرار الرسول له وعمل به .

ومع خلافة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ثم مع الدولة الأموية وشطر كبير من الدولة العباسية، لم يردد المسلمون فى الآذان سوى ما ردد فى عصر الرسول ﷺ وعلى هذا صارت الأمة الإسلامية.

وبعد ما يسمى بالغيبة الكبرى لمحمد المهدى بن الحسن العسكرى سنة ٣٢٩ اضاف الشيعة للآذان شهادة ثالثة تقول بعد الشهادتين وأشهد أن علياً ولى الله وراح المؤذنون فى بعض المساجد الشيعية يقولون بهذه الشهادة .

وبقى الأمر لفترة لا اجماع فيه عند الشيعة، ولا ترديد فى كل الأوقات إلى أن جاء القرن التاسع الهجرى، وجاء معه إسماعيل الصفوى الشاه الإيرانى والذى أمر الشيعة بأن يلتزموا بالشهادة الثالثة فى آذانهم ومساجدهم وفى كل الأوقات.

ومن يومها والشهادة الثالثة معممة فى كل مساجد الشيعة الإمامية بحيث أصبحت الجزء المتمم للعقائد الشيعية ، والشعار الذى لا يستطيع أى شيعى الانفكاك عنه لأنه يميز الشيعة عن غيرهم من الفرق.

ونحن لا نؤثم أحداً ، وأنما فقط نرجو من أجل وحدة المسلمين تحكيم النص واحترام التوقيف ، والرجوع فى الآذان إلى الصيغة التى كان عليها الرسول والصحابة والتابعون وهى الصيغة الموحدة للمسلمين جميعاً أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .

يقول د.موسى الموسوى :"والله لو كان الإمام علىّ علىَ قيد الحياة ويسمع اسمه يذكر على المآذن فى آذان الصلاة لاجرى الحد على المسبب والمباشر معا فما بالنا نحن نودى عملاً فى سبيل علىّ وهو لا يرتضيه .. أننا نطالب الشيعة أن تعود إلى الآذان الذى أذنه بلال الحبشى فى مسجد رسول الله ﷺ وفى حضور رسول الله وصحابته بمن فيهم الإمام علىّ"[1].

---

(١) الشيعة والتصحيح ص ١٠٦ ط ١٤٠٨هـ.

[١٠] زواج المتعة

الزواج فى الإسلام هو المودة والرحمة والسكن الآمن للزوجين ، ومن خلاله يحس كل منهما بالراحة والأمن النفسى والتوافق الروحى والإشباع الغرزى.

ونتاجه المأمول امداد المجتمع باللبنات الأساسية الصالحة التى تقويه وتعمل على تماسكه وتقدمه فى كل المجالات الصحيحة يقول سبحانه تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم ٢١).

ولكى يتحقق كل هذا وأكثر من هذا فإن الإسلام كرم الإنسان رجلاً أو امرأة واباح للخطيبين أن يرى كل منهما الآخر رؤية فى حدود الشرع وحدد السمات التى يجب أن تتوفر فى الزوجة حيث يقول الرسول ﷺ : «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» ، رواه البخارى فى صحيحه كتاب النكاح عن أبى هريرة، فالمال والحسب والجمال من السمات ولكن الأهم هو الدين وأيضاً فى الزوج يقول رسول الله ﷺ : «إذ جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير» فالدين والخلق هو الأساس وبهما يكون الفوز بأسرة ناجحه وكيان مستقر. كما حدد الحقوق للزوجين وما يجب على كل منهما للآخر.

وقبل التحديد رغب فى الزواج وتكوين الأسرة لأن الأسرة هى اللبنة الأساسية للمجتمع. ولاستقرار الزواج اشترط الإيجاب والقبول ورضا ولى الأمر والاشهار والاعلان ونية الدوام. ووجه إلى عدم المبالغة فى المهور. وسقوط هذه الأمور أو بعضها يجعل الزواج باطلاً.

وهنا نأتى إلى سؤال ماذا لو اتفق الرجل والمرأة على أن يتزوجا لفترة محدودة

على أن يقوم الزوج باعطاء الزوجة ثمناً من أجل بقاء الزواج إلى هذه الفترة ؟

للإجابة بقول : اتفق المالكية والشافعية والحنابلة على أن الزواج المؤقت بوقت محدد هو نفسه زواج المتعة .

أما الأحناف فالمشهور عندهم أن نكاح المتعة يشترط فيه أن يكون بلفظ المتعة . وقال البعض منهم أنه لا يشترط ، فالزواج المؤقت هو نفسه زواج المتعة .

وتجمع المذاهب الأربعة على بطلان الزواج المؤقت أو زواج المتعة، وإذا وقع من أحد فأنه يستحق عليه التعزير ، لا إقامة الحد لأن الحدود تدرأ بالشبهات .

وهناك رأى يقول ان ابن عباس رضى الله عنه اجازه، واجازته له هى التى أوجدت الشبهة وحولت العقوبة من إقامة الحد إلى التعزير فقط .

ولعل ابن عباس لم يعلم بنسخ الجواز ، وحينما علم حرمه بل شدد فى التحريم

فعن سعيد بن جبير أن ابن عباس قام خطيباً فقال : إن المتعة كالميتة والدم ولحم الخنزير ... وذلك مبالغة فى التحريم وبهذا يتضح أن نكاح المتعة باطل باتفاق المسلمين من غير الاثنى عشرية .

وما نقل من إباحته فى صدر الإسلام فقد كان لضرورة اقتضتها حالة الحرب والقتال [1] .

أن المقصود من الزواج الدوام والاستقرار والأمن النفسى مع اشباع الغريزة بطريقة صحيحة ومأمونه ، والمحافظة على الاعراض والتناسل وتربية الأولاد والتوارث بين الزوجين .

وفيه التكريم الحقيقى للمرأة التى هى أم وأخت وزوجة ومن خلاله ينشأ الاحترام المتبادل بين الزوجين. وقيام كل طرف بواجبه تجاه الآخر .

---

(١) راجع الفقة على المذاهب الأربعة ٤ / ٩ .

ليس ذلك فقط بل إن من أهم آثاره التعارف والتآلف بين أسرة الزوجين وتكوين المجتمع المتماسك والنابض بالآلفه والحب.

وهذه أمور تسقط تماماً فى زواج المتعة الذى من أهم أهدافه الاشباع للغريزة الجنسية فترة محدودة مقابل مال يدفع للمرأة.

والمرأة فى زواج المتعة سلعة تباع وتشترى لاكرامة لها ولا لمن تنتمى إليهم.

إن هناك أموراً كثيرة تؤكد بطلان زواج المتعة وأنه حرام منها :

١ - أنه زواج لا تتعلق به الكثير من الاحكام الواردة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة والخاصة بالزواج الدائم وكذا الطلاق وسنذكر جدولاً بعد قليل ننقله بلفظه من كتاب كتبه شيعى مشهور يوضح الفرق بين الزواجين ومن خلاله نعرف الاحكام الشرعية التى سقطت بسبب زواج المتعة.

٢ - وردت أحاديث كثيرة تؤكد تحريمه فيها الحديث التالى والذى ننقله بلفظه من صحيح مسلم كتاب النكاح حدثنا ... حدثنى الربيع بن سبرة الجهنى أن أباه حدثه أنه كان مع رسول الله ﷺ فقال : «يا أيها الناس إنى قد كنت اذنت لكم فى الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شىء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما أتيتموهن شيئًا ».

وعن سبرة الجهنى عن أبيه عن جده قال أمرنا رسول الله ﷺ بالمتعة عام الفتح حين دخلنا مكة ثم لم نخرج منها حتى نهانا عنها » صحيح مسلم ك النكاح وهناك أحاديث كثيرة من أراد التعرف عليها فليرجع لكتب السنة وبخاصة البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجة والمسند للإمام أحمد بن حنبل.

٣ - إن عمر رضى الله عنه حرمها وهو على المنبر أيام خلافته وأقره الصحابة رضى الله عنهم وما كانوا ليقروه على خطأ. [1]

---

(١) فقه السنة - الشيخ سيد سابق ٢ / ٣٥ .

٤ - إنه يتناقض تماماً مع المقاصد الأصلية من الزواج. ومن أهمها كونه سكناً ومودة ورحمة.

وفي صحيح مسلم بشرح النووي روايات متعددة لاحاديث نكاح المتعة، وفيه أيضاً تتبع بالشرح واع للأحاديث المذكوره قام بها المازري والقاضي عياض رحمها الله تعالى.

فمن أراد التفصيل فليرجع إلى المجلد الخامس بدءاً من ص ١٧٩ صحيح مسلم بشرح النووي.

أما نحن فنكتفي بذكر هذه السطور التي توضح غرضنا ونستريح لها بقول النووي : والصواب المختار أن التحريم والإباحة كانا مرتين، كانت حلالاً قبل خيبر، ثم حرمت يوم خيبر ثم ابيحت يوم فتح مكة وهو يوم أوطاس لاتصالهما، ثم حرمت يومئذ بعد ثلاثة أيام تحريماً مؤبداً إلى يوم القيامة ..

قال القاضي عياض : واتفق العلماء على أن هذه المتعة كانت نكاحاً إلى أجل لا ميراث فيها، وفراقها يحصل بانقضاء الأجل من غير طلاق. ووقع الاجماع بعد ذلك على تحريمها من جميع العلماء إلا الروافض ... وأجمعوا أنه متى وقع نكاح المتعة الآن حكم ببطلانه» (١)

ونذكر الجدول الذي وعدنا به ليتضح الفرق بين الزواجين :

---

(١) صحيح مسلم بشرح النوورى م ٥، ٩/ ١٨١ .

شروط الزواج الدائم المتفق عليه لدى المسلمين كافة

١ - يتم الزواج بين الزوجين بتلفظ صيغ العقد أمام شاهدين.
٢ - يجب على الزوج نفقة الزوجة بما فيها المسكن والملبس.
٣ - لا يجوز للرجل أن يجمع أكثر من أربعة أزواج وبشروط صعبة.
٤ - الزوجة ترث الزوج فى حالة الوفاة
٥ - موافقة الأب شرط فى صحة زواج البكر.
٦ - مدة الزواج الدائم ديمومة الزوجين على قيد الحياة.

الزواج المؤقت المتفق عليه عند الشيعة الإمامية فقط

١ - يتم الزواج بتلفظ صيغة العقد بدون شاهد.
٢ - الرجل فى حل من نفقة الزوجة.
٣ - يجوز للرجل الجمع بين اعداد لا تحصى وبلا شرط..
٤ - الزوجة لا ترث الزوج.
٥ - موافقة الأب ليس شرطاً فى كل الأحوال.
٦ - مدة الزواج المؤقت قد تكون لربع ساعة وقد تكون ليوم وقد تكون لتسعين عاماً وحسب ما يقترحه الرجل وتقبله المرأة

شروط الطلاق

١ - يقع الطلاق بحضور شاهدين عدلين وبتلفظ صيغة الطلاق.
٢ - عدة الطلاق بالنسبة للمرأة ثلاثة شهور وعشرة أيام.
٣ - الطلاق لا يقع إذا كانت المرأة فى حالة قرء.
٤ - يجب على الزوج نفقة الزوجة المطلقة فى مدة عدتها.

شروط الطلاق

١ - يقع الطلاق واسمه فسخ العقد بدون حضور شاهدين وبكلمة فسخت أو وهبت المدة.
٢ - عدة فسخ المدة بالنسبة للمرأة هى عدة الجارية بعد عتقها، أى نصف عدة الحرة.
٣ - الفسخ يقع فى كل الأحوال.
٤ - الرجل فى حل من نفقة الزوجة فى عدة الفسخ.

و مع كل ما تقدم فإن الشيعة الإمامية الاثنى عشرية يقولون بجواز الزواج المؤقت أو زواج المتعة، ويصرون على أنه لم ينسخ فى عهد الرسول ﷺ وإنما الذى حرمه هو عمر بن الخطاب برأيه ويستشهدون بما ورد فى صحيح البخارى كتاب التفسير عن عمر أن بن حصين قال : نزلت آية المتعة فى كتاب الله، ففعلناها مع رسول الله ﷺ ، ولم ينزل قرآن يحرمها ولم ينه الرسول عنها حتى مات ... وقال رجل برأيه ماشاء ،يعنى بالرجل الخليفة عمر بن الخطاب.

- ولعل عمران بن الحصين لم يسمع التحريم من رسول الله ﷺ .

وزواج المتعة عند الشيعة كالزواج الدائم يتم بعقد صحيح وبرضا الطرفين نعم هو لا يرثها وهى لا ترثه لكن الولد منهما يرثهما.

- ولا أدرى كيف يكون كالدائم ، وقد وقت له وقت محدود بانتهائه ينتهى الزواج بلا طلاق، وينتهى أى التزام من نفقه وغير ذلك.

وكيف يكون كالدائم وقد سقط حق التوارث بينهما وهذا مخالف لقوله تعالى ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ (النساء ١٢)وهو فى نفس الوقت معاكس للسكن النفسى والمودة والرحمة وهى أهداف قرآنية للزواج فى الإسلام.

- أما عن رضا الطرفين فهو محقق أيضاً فى الزنا فكلا الطرفين رضى بالآخر مقابل مبلغ يدفع وشهوة تشبع. ويقولون إن للزوجة فى زواج المتعة أن تعتد بعد زوال الأجل وتمام الانفصال.

- ولا أدرى كيف وقد امتهنت نفسها وباعت شرفها ورضيت بالارتماء فى احضان الآخر مقابل اشباع شهوة أوحفنة من المال.

- ولا أدرى كيف تتوقف عن هذه الشهوة بالدخول فى عدة هى نصف العدة الصحيحة أو حتى ربعها إن الذى يصر على أن زواج المتعة لم ينسخ وأن للإنسان أن يتمتع بمن شاء وقت ما يشاء بالنساء مقابل مبلغ وأجل مضروب. عليه أن يسأل نفسه هل يرضى بتزويج اخته أو ابنته لرجل يأتيه بالمال الكثير ويطلب منه تزويجه من إحداهما زواج متعة.

اعتقد أنه سيقول لا إلا أختى وابنتى ومن يقترب منهما يلقى بنفسه فى التهلكة.

- والنص التالى وهو لمؤلف شيعى محترم ربما يوحى بالإجابة : على أن الأمر الذى ينبغى الالتفات إليه أن الشيعة ورغم إدراكهم وإيمانهم بحلية زواج المتعة وعدم تحريمه وهو ما يعلنون عنه صراحة . إلا أنهم لا يلجأون إلى هذا الزواج إلا فى حدود ضيقة وخاصة وليس كما يصوره ويتصوره البعض من كونه ظاهرة متفشية فى مجتمعهم » (١)

و هو بهذا القول يخرج ابنته واخته من زواج المتعة ويعطى الحق لنفسه فى أن يتزوج متعة ولا يزوج متعة فهو حلال له لأنه يريده وممنوع عن غيره لأنه ليس ظاهرة متفشية.

أرأيت كيف يكون التلاعب بالألفاظ من أجل تحليل ما حرم بنص من الرسول ﷺ .

- والادعاء بأن زواج المتعة حرم بأمر الخليفة عمر بن الخطاب، لا بتحريم من الرسول ﷺ ، تبطله الاحاديث السابقة، ويبطله أن الإمام علياً رضى الله عنه فى خلافته لم يحلله ، وإنما سار على نفس التحريم لعلمه بأن المحرم له هو الرسول ﷺ الذى يقول بخصوصه القرآن الكريم : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾.

(١) الشيعة الإمامية فى عقائدهم ص ١٥٥ جعفر السبحانى .

فلو كان التحريم مجرد رأى لعمر بن الخطاب أو باجتهاد منه لقابله الخليفة الرابع برأى مخالف أو اجتهاد مضاد.

«وحسب رأى فقهائنا عمل الإمام حجة، لاسيما عندما يكون مبسوط اليد ،ويستطيع اظهار الرأى وبيان أوامر الله ونواهيه، والإمام على كما تعلم اعتذر عن قبول الخلافة، واشترط فى قبولها أن يكون له اجتهاده في امارة الدولة فإذن اقرار الإمام على التحريم يعنى أنها كانت محرمة منذ عهد الرسول ﷺ ، ولولا ذلك لكان ليعارضها، ويبين حكم الله فيها، وعمل الإمام حجة على الشيعة »[1].

(١) الشيعة والتصحيح ص ١٠٩ د. موسى الموسوى.

البحث الثانى

الـــزيـــديـــة

هم أتباع زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على رضى الله عنه ولد زيد سنة ٨٠هـ واستشهد سنة ١٢٢هـ واتصف رحمه الله بالحلم والذكاء الحاد وقوة الحفظ والشجاعة والأمانة والتفقه فى الدين والاخلاص فى طلب الحق.

تلقى تعليمه فى صباه على والده على زين العابدين ثم على أخيه الأكبر محمد الباقر وطلب علم الفروع فى المدينة، وحينما ترعرع (وأراد أن يحصل الأصول والفروع حتى يتحلى بالعلم تتلمذ فى الأصول لواصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة)[1].

وقد تأثر بأفكار واصل سواء تتلمذ عليه أو كان قريناً له يتناقشان معاً فى الأمور العقدية ولهذا نرى أفكاره وأفكار أتباعه من الزيدية تميل إلى حد كبيرإلى الفكر الاعتزالى.

• ومن أهم مؤلفاته كتاب المجموع الكبير فى الفقه والحديث:

وكان زيد بن على بويع له بالكوفة فى أيام هشام بن عبد الملك وكان أمير الكوفة يوسف بن عمر الثقفى، وكان زيد بن على يفضل على بن أبى طالب على سائر أصحاب رسول الله ﷺ، يتولى أبا بكر وعمر ويرى الخروج على أئمة الجور، فلما ظهر فى الكوفة فى أصحابه الذين بايعوه سمع من بعضهم الطعن على أبى بكر وعمر فأنكر ذلك على من سمعه منه فتفرق عنه الذين بايعوه، فقال لهم : رفضتمونى فيقال أنهم سموا الرافضة لقول زيد لهم رفضتمونى »[2].

(١) الملل والنحل ١ / ١٥٥ .

(٢) أبو الحسن الأشعرى، مقالات الإسلاميين، ١ / ١٣٦ .

وتعتبر الزيدية من أكثر فرق الشيعة اعتدالاً وأقربهم إلى أهل السنة، وبخاصة فى العبادات، وعلى الرغم من اعتدالهم إلا أن ملامح التشيع واضحة عندهم فهم يقولون فى الأذان (حى على خير العمل) مثلما يقول بقية الشيعة كما يتمسكون بأحقية أهل البيت فى الخلافة، وتفضيل الأحاديث التى ترد عن أهل البيت على غيرها من الأحاديث ووجوب الخروج على الإمام الظالم وعدم طاعته ولايصح أن يصلى المسلم خلف الفاجر (والزيدية بأجمعها تَرى السيف على أئمة الجور وازالة الظلم وإقامة الحق) [1].

وهم يرفضون التصوف ويرون أن صلاة التراويح فى جماعة بدعة، ولا يوافقون بقية الشيعة فى زواج المتعة، ويكبرون خمس تكبيرات فى صلاة الجنازة ويقولون أن صلاة العيد فرض عين.

---

(١) مقالات الإسلاميين ١ / ١٥٠ .

أهم آراء زيد والزيدية

لا يقول زيد بالنص على الإمام وانتقال الإمامة بالتوارث بل بالشورى ولابد من بيعة المسلمين ومن كان من أولاد على وفاطمة واستجمع شروط الإمامة فهو أولى بها إلا إذا اقتضت مصلحة المسلمين غير ذلك ويرى زيد أن على بن أبى طالب أولى بالخلافة من أبى بكر الصديق وعمر وعثمان.

إلا أنه مع هذا يجوز إمامه المفضول مع وجود الأفضل وبالتالى فإمامة الصديق إمامة صحيحة بل أن إمامة الصديق وعمر كانت رشيدة وكان الزمن يطلبها لما فيها من مصالح جمة للمسلمين.

يقول الشهرستانى : (وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل - ولهذا قال زيد - كان على بن أبى طالب رضى الله عنه أفضل الصحابة، إلا أن الخلافة فوضت إلى أبى بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة الفتنة، وتطيب قلوب العامة، فإن عهد الحروب التى جرت فى أيام النبوة كانت قريباً وسيف أمير المؤمنين على عن دماء المشركين من قريش وغيرهم لم تجف بعد والضغائن فى صدور القوم من طلب الثأر كما هى فما كانت القلوب تميل إليه كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد فكانت المصلحة أن يكون القائم بهذا الشأن من عرفوه باللين والتؤدة والتقدم بالسن والسبق فى الإسلام والقرب من رسول الله ﷺ)[1].

وهم لايقولون بعصمة الأئمة كما تقول بقية الشيعة، والبعض منهم فقط يقول بعصمة على وفاطمة والحسن والحسين، لأن النبى ﷺ باهل بهم النصارى ولذا لابد أن يكونوا معصومين ليكون لهم مزيد فضل على بقية أهل البيت إذ جعلهم النبى فى منزلة نفسه.[2]

(١) الملل والنحل ١ / ١٥٥ .

(٢) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية ٢ / ٦٦٩ .

وكانت المباهلة عندما نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ... ﴾ (آل عمران ٥٩-٦١).

كما لا يقولون بالرجعة أو البداء لأن القول بالرجعة لم يرد فى القرآن الكريم ولا فى السنة المطهرة إلا فى صور محددة، والبداء يشعر بالجهل تنزه ربنا عن أى نقص.

ويقول زيد بوجوب أن يخرج الإمام ويعلن عن نفسه ولهذا خالفه محمد الباقر حيث قال له : (على مقتضى مذهبك والدك ليس بإمام، فإنه لم يخرج قط، ولا تعرض للخروج) [(١)].

كما يقول : يحوز وجود إمامين فى مكانين مختلفين فى وقت واحد.

ومن المسائل التى اثيرت فى عصر زيد بن على وكان له رأى فيها مسألة مرتكب الكبيرة حيث قال الحسن البصرى : أنه منافق لأنه يظهر غير ما يبطن، وقال الجمهور من العلماء : هو فاسق والأمر فيه إلى الله تعالى إن شاء غفر له ويكون الغفران بفضله وإن شاء عذبه ويكون التعذيب بعدله.

وقال المرجئة : لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة فللمؤمن أن يعصى ولا ضرر يلحقه، وللكافر أن يطيع ولا فائدة فى طاعته.

وقال الخوارج : هو كافر مخلد فى النار، وقالت المعتزلة : هو فى منزلة بين المنزلتين لم يدخل الكفر ولم يخرج من الإيمان وهو مخلد فى النار إذا لم يتب.

ورغم ميل زيد إلى أقوال واصل بن عطاء إلا أنه فى هذه المسألة لم يقل بالمنزلة بين المنزلتين وإنما يقول : يعاقب بقدر ذنبه ومآله إلى الجنة وهو مؤمن مسلم.

ونعتقد أن الرأى التالى والذى يذكره أبو الحسن الأشعرى لا يمثل رأى زيد فلم

---

(١) الملل والنحل ١/١٥٦.

يكن زيد خارجياً في يوم من الأيام ويصح لنا أن نحمل الكلام على فرقة من فرق الزيدية لا جمعهم يقول الأشعرى : (وأجمعت الزيدية أن أصحاب الكبائر كلهم معذبون فى النار خالدون فيها مخلدون أبداً لا يخرجون منها ولا يغيبون عنها)[1].

وأثيرت أيضاً قضية الجبر والاختيار فقال جهم وأصحابه : بأن الإنسان مجبر فهو كريشة معلقة فى الهواء تميلها الرياح أنى شاءت ومتى شاءت.

وقال القدرية : أن الإنسان يفعل فعل نفسه بكامل الحرية والاختيار فهو يفعل ما يريد ولو كان على خلاف ما يريد الله تعالى، والله تعالى لم يقدر شيئًا فى الأزل وإنما يقدره وقت وقوعه وهذا معنى قولهم بل الأمر أنف.

ونظر زيد إلى قول الجهمية فوجد أنه يتنافى مع مسئولية الإنسان وابتلائه واختباره يقول سبحانه وتعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ (الملك ٢) ، ويقول ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه ﴾ (الدهر ٢).

كما يتنافى مع قضية التكليف والثواب والعقاب يقول تعالى : ﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (الإسراء ١٥) ، ويقول سبحانه : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة ٧-٨).

كما نظر فى قول القدرية فوجد أنه يتنافى مع علم الله تعالى الشامل المحيط بالأشياء أزلاً، كما أن الله تعالى يقع فى ملكه مالا يريده، وهذا يجعل إرادة الإنسان نافذة وإرادة الله تعالى معطلة فالله تعالى يقول : ﴿ إنا كل شىء خلقناه بقدر ﴾ أى بتحديد وترتيب مسبق، وهم يقولون لا قدر وإنما الأمر أنف.

---

(١) مقالات الإسلاميين ١ / ١٤٩ .

والله تعالى يقول : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (الأنعام ٥٩) وهم يقولون لا علم بالأشياء أزلاً.

والله تعالى يقول : ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾ (الرعد ١١) ، وهم يقولون تنفذ إرادة الإنسان ولاتنفذ إرادة الله.

واتجه بعد النظر إلى رأى وسط لا يهدم التكليف ولا يعطل صفات الذات العلية ، فقرر وجوب الإيمان بالقضاء والقدر ، واعتبر الإنسان حراً مختاراً فى طاعته وعصيانه وأن المعصية ليست قهراً من الله فهو يريدها وإن كان لا يحبها ولايرضاها ، وبذلك فصل بين الإرادة وبين المحبة والرضا . فالمعصية تقع من العباد فى دائرة قدرة الله تعالى وإرادته ولكنه لا يحبها من عبده ولا يرضاها ، فإن الله لا يرضى لعباده الكفر .

و الإنسان فيما يفعل يكون فعله بقوة أودعها الله تعالى وبارادته ... وهو يفترق عن رأى المعتزلة فى نقطة جوهرية هى أن المعتزلة يرون أن إرادة الله تعالى وأمره متلازمان فإذا أمر بأمر فعمل العبد على خلافه فقد وقع الأمر على خلاف إرادة الله تعالى وعلى ذلك تكون أفعال العصاة بغير إرادة الله تعالى ، وأما الإمام زيد وأئمة آل البيت فإنهم يرون أن إرادة الله قد تنفك عن أمره فالعبيد إذا عصوا أمر الله فبإرادته سبحانه ولكن المحبة والرضا هما اللذان لا يفترقان عن الأمر فإذا خالف العصاة الأمر فقد خالفوا ما يحب الله تعالى ويرضاه ، فالأمر دليل الرضا والمحبة وليس دليل الإرادة . [١]

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ٢ / ٦٧٢ .

فـــرق الـــزيـــديـــة

وللزيدية فرق عدة تقترب في أفكارها ومعتقداتها من أفكار زيد بن على ومعتقداته أو تبتعد عنه من هذه الفرق :

١ - الجارودية : وهم أتباع زياد بن أبي زياد بن المنذر المعروف بأبي الجارود وقد سماه محمد الباقر سرحوبا أي شيطان يسكن البحر .

• ومن أهم معتقدات هذه الفرقة :

أ - القول بأن الرسول ﷺ لم ينص بالتسمية على إمامة على بن أبي طالب بعده مباشرة وإنما بالوصف أي أنه ﷺ حدد أوصافاً لاتنطبق إلا على الإمام على رضي الله عنه وما على المسلمين إلا أن يبذلوا ما في وسعهم للتعرف على هذه الأوصاف وتأمير من تنطبق عليه وهو على بن أبي طالب .

وقد قصر المسلمون لأنهم لم ينفذوا نص الرسول وكفروا لتعطيلهم النص واختيارهم بكامل إرادتهم الصديق بدلاً من على .

يقول أبو الحسن الأشعري عن الجارودية : أنهم يزعمون «أن النبي ﷺ نص على (على بن أبي طالب) بالوصف لا بالتسمية فكان هو الإمام من بعده، وإن الناس ضلوا وكفروا بتركهم الاقتداء به بعد الرسول ﷺ ثم الحسن من بعد على هو الإمام ثم الحسين » [1]

وفي هذا القول مخالفة صريحة لمعتقدات زيد فهو لم يقل بالنص على الإمام لا من الرسول ولا من غيره ولم يذهب إلى القول بتكفير المسلمين أوتضليلهم أو الحكم عليهم بالتقصير .

(١) مقالات الإسلاميين ١ / ١٤١، والملل والنحل للشهرستاني ١ / ١٥٧ .

وقد افترقت الجارودية فى من نص على إمامة الحسن ومن بعده الحسين - إلى فرقتين - ثم ما هو الموقف بعد ذلك فقالت فرقة منهم : (أن علياً نص على إمامة ابنه الحسن ثم نص الحسن على إمامة أخيه الحسين بعده ،ثم صارت الإمامة بعد الحسن والحسين شورى فى ولد الحسن والحسين، فمن خرج منهم شاهراً سيفه داعياً إلى دينه وكان عالمًا ورعاً فهو الإمام).

وزعمت الفرقة الثانية منهم أن النبى ﷺ هو الذى نص على إمامة الحسن بعد على وإمامة الحسين بعد الحسن) [1].

ب - والجارودية لا تقول بإمامة المفضول مع وجود الأفضل وهم بهذا يخالفون ما يقول به زيد بن على.

ويخالفونه أيضاً فى معتقد الرجعة فالإمام زيد لم يقل برجعة الأئمة أوأحدهم بينما يذهب بعض الجارودية إلى القول بأن محمد بن عبد الله بن الحسن لم يمت وأنه سيخرج يوماً ويغلب أعداءه، ويقول البعض منهم أن محمد ابن القاسم بن على بن عمر بن على بن الحسين صاحب الطالقان حى لم يمت وسيرجع. ويقول البعض الآخر أن يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن على صاحب الكوفة حى لم يمت وسيرجع [2].

٢ - الجـــريرية : وتسمى أيضاً بالسلمانية وهم أصحاب سليمان بن جرير الزيدى.

ومن أهم معتقداتهم القول بأن الإمامة شورى بين المسلمين ويصح انعقادها بعقد رجلين من خيارهم وتصح إمامة المفضول مع وجود الأفضل ولهذا صحت إمامة الصديق وعمر رضى الله عنهما إلا :أن الأمة أخطأت فى البيعة لهما مع

(١) عبد القاهر البغدادى ، الفرق بين الفرق ص٢٢ ط أولى ١٣٩٣ هـ الآفاق بيروت.
(٢) راجع مقالات الإسلاميين ١ / ١٤١ .

وجود على رضى الله عنه خطأ لا يبلغ الفسق وذلك الخطأ خطأ اجتهادى [١].

و قد خطأ سليمان بن جرير الخليفة عثمان بن عفان وكفره للأحداث التى رأى أنه - أى عثمان - سبب فيها كذلك كفر عائشة والزبير وطلحة لخروجهم فى موقعة الجمل على إمام المسلمين فى وقتها على بن أبى طالب.

وهاجم أئمة الرافضة الذين يقولون بالبداء على الله تعالى ليرفعوا من شأن أنفسهم إن جاء الواقع موافقاً لماقالوا ولينسبوا لله تعالى ما لم يقله أن خالف الواقع أقوالهم.

كما هاجمهم لقولهم بالتقية التى من خلالها يخفون المعتقد ويظهرون أموراً تخالف ما يبطنونه.

يقول الشهرستانى عن سليمان بن جرير : غير أنه طعن فى عثمان رضى الله عنه للأحداث التى أحدثها، وأكفره بذلك، وأكفر عائشة والزبير وطلحة رضى الله عنهم ... ثم أنه طعن فى الرافضة فقال أن أئمة الزافضة قد وضعوا مقالتين لشيعتهم ... أحداهما القول بالبداء فإذا أظهروا قولاً أنهم سيكون لهم قوة وشوكة وظهور ثم لا يكون الأمر على ما أظهروه، قالوا بدا الله تعالى فى ذلك. والثانية التقية فكل ما أرادوا تكلموا به فإن قيل لهم فى ذلك أنه ليس حق... قالوا إنما قلناه تقية وفعلناه تقية [٢].

والجريرية بتكفيرهم لعثمان وعائشة وطلحة والزبير خالفوا معتقد زيد بن على . واستحقوا مع سابقيهم الجارودية اللعن من أهل السنة والنظر إليهم بعين الارتياب.

٣ - الصالحية أو البترية : وقد سموا بالصالحية نسبة إلى الحسن بن صالح بن حى وهو من أصحاب الحديث.

---

(١) الملل والنحل ١ / ١٥٩ .
(٢) الملل والنحل ١ / ١٦٥ .

كما سموا بالبترية نسبة إلى كثير النواء الملقب بالأبتر وكان من المعتزلة.

وهم يقولون مثل ما يقول به الجريرية إلا أنهم لا يكفرون أحداً وقد توقفوا في أمر عثمان حيث قالوا : إذا سمعنا الأخبار الواردة في حقه وكونه من العشرة المبشرين بالجنة قلنا يجب أن نحكم بصحة اسلامه وإيمانه، وإذا رأينا الأحداث التى أحدثها ... قلنا يجب أن نحكم بكفره فتحيرنا في أمره وتوقفنا في حاله ووكلناه إلى أحكم الحاكمين [1].

ويضيفون أن من شهر سيفه من أولاد الحسن أو الحسين وكان عالماً زاهداً شجاعاً فهو الإمام.

كما يقولون بصحة وجود إمامين في مكانين مختلفين في وقت واحد وكل واحد منهما واجب الطاعة عند بني قومه وهم يكفرون من يكفر أبا بكر وعمر ابن الخطاب رضى الله عنهما.

وهذه الفرقة من أقرب فرق الزيدية إلى معتقدات زيد بن علي.

وتذهب الفرق الثلاث إلى القول بتكفير مرتكب الكبيرة والحكم عليه بأنه مخلد في النار تماماً مثل ما يقول الخوارج.

ويضيف أبو الحسن الأشعرى ثلاث فرق أخرى إلى الزيدية أولها النعيمية وتنسب إلى رجل اسمه نعيم بن اليمان والنعيمية يزعمون أن علياً أفضل الناس بعد الرسول ﷺ وأنه المستحق للإمامة وقد أخطأت الأمة بترك المستحق وتولية الصديق وعمر ولكنها ليست آثمة وهم يتبرءون من عثمان ويكفرونه كما يتبرءون من محاربي علي رضى الله عنه. وأعتقد أن هذه الفرقة قريبة من الجريرية وبخاصة الموقف من عثمان.

ثم هناك فرقة تتبرأ من أبي بكر وعمر ولا تنكر رجعة الأموات قبل يوم القيامة.

أما الثالثة وتسمى باليعقوبية فأصحابها : (يتولون أبا بكر وعمر - أى بتخذون كلا منهما ولياً - ولا يتبرءون ممن برئ منهما وينكرون رجعة الأموات ويتبرءون ممن دان بها) [1].

وننهى الحديث الموجز عن الزيدية بالقول بأن المغالين من الزيدية قد اندثروا ، وأن الموجودين من الزيدية هم المعتدلين الذين يسيرون على نهج زيد بن على ويتركز وجودهم فى جمهورية اليمن.

(١) مقالات الإسلاميين ١ / ١٤٥ .

القسم الثانى
الغلاة من الشيعة وأهم أقوالهم

الغلو فى اللغة : هو التجاوز عن الحد والخروج عن القصد ومجاوزة القدر فى كل شيء والإفراط فيه يقول القرآن الكريم : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (المائدة ٧٧).

ويقول الرسول الكريم ﷺ : «إياكم والغلو فى الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين» رواه أحمد.

والغلو فى الدين هو التشدد والإفراط ومجاوزة الحد. والرسول ﷺ يقول : «هلك المتنطعون، ثلاثاً» رواه مسلم أى المتشددون ومن الغلو اشتق اسم غلاة الشيعة.

والغلاة من الشيعة هم أولئك الذين جاوزوا الحد، وغالوا فى أئمتهم بأقوال تخرجهم عن الإسلام، مثل القول بالوهية الأئمة. بمعنى اتصافهم بصفات الإله، أو أن الإله حل فى ذاتهم.

يقول الشهرستانى أن الغلاة (هم الذين غلوا فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم عن حدود الخليقة وحكموا لهم بأحكام الإلهية فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله وربما شبهوا الإله بالخلق ... وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق والنصارى شبهت الخلق بالخالق فسرت هذه الشبهات فى أذهان الشيعة الغلاة حتى حكمت بأحكام الإلهية فى حق بعض الأئمة [1].

(١) الملل والنحل ١ / ١٧٣ .

والغلاة لم يكتفوا بتفضيل على بن أبى طالب رضى الله عنه على سائر الصحابة . ومنهم الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهم جميعاً ، وإنما ذهبوا إلى القول بأفضليتة على رسول الله ﷺ وذهب الغرابية منهم إلى القول بأن محمداً ﷺ كان أشبه بعلى من الغراب بالغراب . وإن الله تعالى بعث جبريل عليه السلام إلى على فغلط جبريل بمحمد ، ولالوم على جبريل فى ذلك لأنه غلط .

وذهبت طائفة منهم إلى القول بأن جبريل تعمد ذلك ولهذا كفروه ولعنوه [١] .

ومن أفكارهم الادعاء بأن للقرآن ظاهراً وباطنًا وإن المراد منه هو الباطن .

وبناء على فكرتهم هذه راحوا يحرفون القرآن ويؤلونه بما ينسجم مع أهوائهم وأغراضهم .

فقد فسر بيان بن سمعان قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران ١٣٨) ،بقوله أنا البيان وأنا الهدى والموعظة .

وفسرابن سبأ قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ (القصص٨٥) . بقوله أن محمداً سيرجع إلى الدنيا قبل القيامة .وهو لايقول هذا حباً فى الرسول ﷺ وإنما ليقذف بأفكاره اليهودية الضالة فى الدائرة الإسلامية من أجل إيجاد بؤر الصراع والاختلاف .

كما فعل من قبله شاول اليهودى حيث دخل النصرانية ليس حباً فيها وإنما ليحطمها من داخلها بدعاوى رديئه مثل القول ببنوة المسيح لله والقول بالتثليث ...إلخ .

ومن أفكارهم القول بالتناسخ ، بمعنى انتقال الروح من بدن إلى بدن فإذا كان الإنسان شريراً انتقلت روحه بعد وفاته إلى بدن شريرلتلقى العنت والظلم

---

(١) ابن حزم الفصل ٤ / ١٤٠ .

والعذاب في دنيا الناس، وإن كان الإنسان صالحاً انتقلت روحه إلى بدن خير لتلقى فيه السعادة والأمن.

والقول بالتناسخ يعني الإنكار الصريح لركن أصيل من أركان الإيمان وهو اليوم الآخر وما فيه من حساب وصراط وميزان وجنة ونار.

يقول أبو الحسن الأشعرى : وأهل الغلو ينكرون القيامة والآخرة ويقولون ليس قيامة ولا آخرة وإنما هي أرواح تتناسخ في الصور فمن كان مُحسناً جوزى بأن تنقل روحه إلى جسد لا يلحقه فيه ضر ولا ألم. ومن كان مسيئًا جوزى بأن تنقل روحه إلى أجساد يلحق الروح كونه فيها الضرر والألم وليس شيء غير ذلك وأن الدنيا أبداً لاتزال هكذا. [١]

ولقد بلغ الأمر بمن يذهب إلى القول بتناسخ الأرواح إلى : أن يأخذ أحدهم البغل أو الحمار فيعذبه ويضربه ويعطشه ويجيعه على أن روح أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فيه، وكذلك يفعلون بالعنز على أن روح أم المؤمنين رضي الله عنها فيها - ومنهم من يقول بأن على بن أبي طالب والحسن والحسين وعلى بن الحسين ... إلخ أنبياء. [٢]

---

(١) مقالات الإسلاميين ١/ ١١٤.

(٢) الفصل ٤/ ١٣٩-١٤١.

بعض فرق الغلاة إجمالاً

ولنتوقف قليلاً لنتعرف على بعض فرق الغلاة التى تؤكد الأقوال السابقة وتضيف إليها.

من هذه الفرق :

١ - السبأية :

أصحاب عبد الله بن سبأ اليهودى الذى دخل الإسلام لاحبًا فيه وإنما أرادة منه للكيد له بوضع بذورالفتنة والتفرقة بين المسلمين وقد أظهر الطعن على أبى بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم وقال أن علياً أمره بذلك فأخذه على فسأله عن قوله هذا فأقر به فأمر بقتله، فصاح الناس إليه يا أمير المؤمنين أتقتل رجلاً يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك فسيره إلى المدائن». [١]

وكان عبد الله بن سبأ يزعم أن علياً نبى ثم زعم بعد ذلك أنه إله.

ولما استشهد على رضى الله عنه قال ابن سبأ أنه لم يمت ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وإن ابن ملجم إنما قتل شيطاناً تصور فى صورة على.

وقال ابن سبأ لمن نعى علياً : كذبت يا عدو الله ولو جئتنا بدماغه فى سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلاً ما صدقناك. [٢]

وزعم بعض أتباع ابن سبأ أن علياً فى السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه وأنه ينزل إلى الأرض بعد هذا ويملأها عدلاً فينتقم من أعدائه وهم إذا سمعوا صوت الرعد قالوا : السلام عليك يا أمير المؤمنين.

---

(١) النوبختى فرق الشيعة ص ٣٢ .
(٢) فرق الشيعة ص ٣٣ .

وقال ابن سبأ وأتباعه برجعة الرسول ﷺ ومما قاله : أني لأعجب كيف تصدقون أن عيسى ابن مريم يرجع إلى هذه الدنيا، وتكذبون بأن محمداً يرجع إليها. وكان يقول أنه كان لكل نبي وصي وأن علي بن أبي طالب وصي محمد ﷺ وليس في الناس من هو أظلم ممن احتجز وصية رسول الله ﷺ ولم يجزها. [١] وهم يقولون برجعة الأموات إلى الدنيا.

٢ - ومنهم أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين[٢] :

الذين يقولون بتناسخ الأرواح وأن روح الله كانت في آدم ثم تناسخت حتى صارت في عبد الله المذكور، وزعموا أن الدنيا لاتفنى أبداً وقال البعض منهم أن عبد الله لم يمت وأنه يقيم في جبال أصفهان وهو القائم الذي بشر به النبي [٣].

٣ - ومنهم البيانية أصحاب بيان بن سمعان التميمي النهدي :

ظهر في العراق أوائل القرن الثاني وادعى أن جزءاً إلهياً حل في علي بن أبي طالب ثم انتقل هذا الجزء إلى ابنه محمد بن الحنفية ثم إلى ابنه أبي هاشم بن محمد بن الحنفية ثم انتقل من أبي هاشم إلى شخص بيان بن سمعان.

وقد ادعى بيان النبوة وأنه نسخ بعض شريعة محمد ﷺ وادعى : أنه يدعوا الزهرة فتجيبه وأنه يفعل ذلك بالاسم الأعظم ... ويزعم كثير من البيانية أن أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية نص على إمامة بيان بن سمعان ونصبه إماماً . [٤]

وادعى بعد أتباعه أنه كان إلهاً وأن روح الله حلت فيه وأنه يحل في الأنبياء والأئمة [٥].

---

(١) السيد محمود شكري الألوسي مختصر التحفة الأثنى عشرية ص ١٠ .

(٢) مؤسس الفرقة من أحفاد جعفر بن أبي طالب الشهيد الملقب بذي الجناحين . لهذا سمى بعض كتاب الفرق هذه الفرقة بالجناحية .

(٣) فرق الشيعة ص ٤٧ .

(٤) مقالات الإسلاميين ١ / ٦٦ .

(٥) التبصير في الدين ص ٧٢ .

وقد قتله خالد بن عبد الله القسرى صلباً.

ومن أقوال بيان بن سمعان أن الله عز وجل على صورة الإنسان وأنه يهلك كله إلا وجهه وقد فسر قول الله تعالى : ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام﴾ بأن المراد به على.

وهو يفسر قوله تعالى : ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾ بقوله أنا البيان وأنا الهدى والموعظة.

٤ - ومنهم المغيرية :

أصحاب المغيرة بن سعيد العجلى وهم يزعمون أنه نبى وأن معبودهم رجل من نور على رأسه تاج وله من الأعضاء والخلق مثل ما للرجال وله جوف وقلب وكان المغيرة يدعى أنه يعرف اسم الله الأعظم وأنه بهذا الاسم يحيى الموتى ويهزم جيوش الأعداء.[1]

٥ - ومنهم فرقة تسمى المنصورية :

أصحاب أبى منصور العجلى. وهو الذى ادعى أن الله عز وجل عرج به إليه وأدناه منه، وكلمه ومسح (بيده) على رأسه. ثم قال له أنه نبى وذكر أنه نبى ورسول. وأن الله اتخذه خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً.

وكان أبو المنصور هذا من أهل الكوفة من «عبد القيس» وله فيها دار، وكان منشؤه بالبادية، وكان أمياً لا يقرأ، وادعى بعد وفاة أبى جعفر محمد بن على ابن الحسين : أنه فوض إليه أمره وجعله وحيه، ثم ترقى به الأمر إلى أن قال : كان على بن أبى طالب نبياً ورسولاً، وكذا الحسن والحسين، وعلى بن الحسين، ومحمد بن على، وأنا بعدهم نبى ورسول، والنبوة والرسالة فى ستة من ولدى، يكونون بعدى أنبياء، آخرهم المهدى القائم.

(١) التبصير فى الدين للأسفراينى ص ٧٣ .

وكان المنصور هذا خناقاً يأمر أصحابه بخنق من خالفهم وقتلهم بالاغتيال، وجعل لهم خمس ما يأخذون من الغنيمة ويقول من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه فإن الله يقول: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ (التوبة ٥) وهذا جهاد خفى.

وزعم أن جبرئيل عليه السلام يأتيه بالوحى من عند الله عز وجل، وأن الله (تعالى) بعث محمداً بالتنزيل، وبعثه يعنى نفسه بالتأويل وأن منزلته من رسول الله منزلة يوشع بن نون من موسى بن عمران، وأنه الذى يقيم الأمر بعده. (١)

والمنصورية يزعمون أن آل محمد هم السماء والشيعة هم الأرض وأن أول خلق خلقه الله عيسى ثم على بن أبى طالب فهما أفضل من خلق الله.

وقد استحلوا جميع ما حرم الله وأبطلوا المواريث والطلاق والصلاة والصيام والحج. (٢)

والمنصورية ينكرون الجنة والنار ويفسرون الجنة بأنها النعيم فى الدنيا وأن النار هى المصائب والمحن فى الدنيا. (٣)

٦ - ومنهم الغرابية:

وهم يقولون أن الله تعالى بعث جبريل إلى على لكن جبريل غلط وذهب إلى محمد وذلك لأن علياً يشبه محمداً شبه الغراب بالغراب والذباب بالذباب ولهذا سموا بالغرابية، ومنهم من يقول أن جبريل تعمد الغلط ولهذا يلعنونه.

ومن الغرابية جماعة تسمى بالمفوضة لأنهم يقولون أن الله سبحانه وتعالى بعد أن خلق العالم خلق محمداً وترك إليه تدبيره ثم أن محمداً فوض علياً ليدبر العالم بعده.

---

(١) فرق الشيعة ص ٤٩ . (٢) المرجع السابق ص ٥٠ .

(٣) التبصير فى الدين ص ٧٣ .

ومن الغرابية الذمية وهم يقولون : أن علياً بعث محمداً حتى يدعو الخلق إلى الهيته فجاء محمد وادعى الرسالة من إله آخر ويذمون محمداً ﷺ لهذا السبب ولهذا سموا ذمية .[١]

٧ - ومنهم الخطابية :

أصحاب أبى الخطاب محمد بن أبى زينب الأسدى وهم يعتقدون أن الأئمة أنبياء ومنهم من يقول بعدم فناء الدنيا وأن الجنة ما يصيب الناس فيها من خيرات والنار ما يصيب الناس فيها من شرور .ويقولون بتناسخ الأرواح.

ومن الخطابية من عبد جعفر بن محمد وقال بأنه يشبه الإله فى صورته بل هو إله.

ومنهم من يزعم أن علياً هو الله ويكذبون النبى ﷺ .

ومنهم من يزعم أن الله عز وجل حل فى خمسة أشخاص فى النبى ﷺ وفى على والحسن والحسين وفاطمة رضى الله عنهم ولهم أضداد خمسة وهم أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية وعمرو بن العاص.[٢]

وكان أبو الخطاب يقول أن أبناء الحسن والحسين هم أبناء الله وأحباؤه.

وأتباع أبى الخطاب كانوا يقولون : ينبغى أن يكون فى كل وقت إمام ناطق وآخر ساكت والأئمة يكونون آلهة ويعرفون الغيب.[٣]

---

(١) المرجع نفسه ص ٧٥ .

(٢) راجع الفصل ٤ / ١٤٠ ، وتاريخ الفرق الإسلامية ص٢٩٨ ، لعلى مصطفى الغرابى.

(٣) التبصير فى الدين ص ٧٤ .

• وقفة قصيرة :

لا شك أن دعاوى وأفكار الغلاة رغم تضاربها وتناقضها فإنها تخرجهم من دائرة الإسلام وتدخلهم فى دائرة الكفر وتؤكد أنهم مغرضون لا هدف لهم إلا التشكيك والتضليل والدعوة إلى الكفر وإنكار عقائد الإسلام.

فالإسلام يدعو صراحة إلى الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى وبتفرده بوحدانية الألوهية والربوبية وباتصافه بكل كمال وتنزهه عن أى نقص، لا يحل بأحد ولا يتحد بأحد واحد فى ذاته وفى صفاته وفى أفعاله : لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد).

ورسول الإسلام هو محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين والقول بنبوة بعده إنكار للقرآن الكريم ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾.

وأيضاً إنكار للسنة المطهرة ومن فعل ذلك كفر للحال.

والقول بالحلول هو قول يتوافق مع قول النصارى بحلول اللاهوت فى الناسوت أى حلول الله فى عيسى عليه السلام.

ثم أن قولهم أن جبريل عليه السلام كان مرسلاً إلى على رضى الله عنه ثم غلط أوتعمد الخطأ بالذهاب إلى محمد ﷺ فيه تجهيل لله عز وجل وتسفيه لملاك الوحى جبريل عليه السلام وهذا هو الكفر الصريح.

يقول ابن حزم :فهل سمع بأضعف عقولاً واتم رقاعه من قوم يقولون أن محمداً ﷺ كان يشبه على بن أبى طالب فيا للناس أين يقع شبه ابن أربعين سنة من صبى ابن أحدى عشرة سنة حتى يغلط به جبريل عليه السلام ... ثم لو جاز أن يغلط جبريل وحاشا لروح القدس الأمين كيف غفل الله عز وجل عن تقويمه

وتنبيهه وتركه على غلطه ثم أظرف من هذا كله من أخبرهم بهذا الخبر وهذا لا يعرفه إلا من شاهد أمر الله تعالى لجبريل عليه السلام ثم شاهد خلافه [١].

وهم إذ يقولون أن للقرآن ظاهراً وباطناً وأن المراد هو الباطن إنما يعطون لأنفسهم الحق فى التحريف والتبديل والتأويل بل والإنكار لما يشير إليه القرآن بصريح اللفظ.

وقولهم بالتناسخ هو إنكار صريح للآخرة وما فيها من حساب وصراط وميزان وجنة ونار.

والإيمان بالآخرة ركن من أركان الإيمان ومنكره كافر.

وتشبيه الله بخلقه فيه رفض صريح لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الشورى١١).

ما ذكرناه مجرد نماذج لفرق الغلاة وأقوالهم المتأثرة باليهودية والنصرانية والديانات الوضعية.

---

(١) الفصل ٤ / ١٤٠.

من أهداف الغلاة

ولا شك أن لهؤلاء الغلاة أهدافاً كثيرة منها :

١ - التشكيك فى القرآن الكريم ومحاولة اخضاع آياته لمفاهيم ومعانى تتمشى مع رغباتهم الخبيثة .

٢ - وضع الأحاديث المكذوبة التى تضعف من أركان الإسلام فى قلب المؤمن وتظهر الإسلام فى صورة مشوشة يقول ابن الأثير فى كتابه الكامل ص ٢١ : فلما يئس أعداء الإسلام من استئصاله بالقوة أخذوا فى وضع الأحاديث الكاذبة وتشكيك ضعفة العقول فى دينهم وأفسدوا الصحيح بالتأويل والطعن فيه . أهـ .

٣ - العمل بشتى الطرق على التشكيك فى شخص الرسول ﷺ وتكذيبه فى قوله بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين .

٤ - الطعن فى أبى بكر الصديق وعمر وكبار الصحابة عموماً رضى الله عنهم جميعاً .

٥ - هدم الإسلام وتشويه معالمه العقدية والأخلاقية والعملية .

٦ - العمل بشتى الوسائل على الوصول إلى السلطة للقضاء على كل ما يتصل بانتشار الإسلام وبالتالى العمل على تقديم الخدمات لأعوانهم من اليهود والنصارى . ومتبنيهم من قوى الاستعمار المختلفة وبخاصة الإمبريالية الأمريكية .

البحث الثالث

الباطنية

لفظ الباطنية كاتجاه ومنهج وعقائد ينضوى تحته فرق عدة، من أهمها :اسماعيلية الستر والظهور، وما انبثق عن الأخيرة من البوهرة ... والقرامطة والدروز.

ولما كنا بصدد الحديث الموجز عن هذه الفرق رأينا أن نعرف بالباطنية ومنهجها وعقائدها أولاً وعلى خلاف المعهود حتى لانكرر أنفسنا، بمعنى أن جل خطوات المنهج الباطنى وعقائده هى هى ما عليه بصورة أو بأخرى الإسماعيلية أو القرامطة.

فإذا ماتعرفنا على الإسماعيلية من حيث النشأة فيمكننا للتعرف على المنهج والعقائد، أن نعود إلى منهج وعقائد الباطنية دون أن نكرر كتابة المنهج والعقائد إلا فى نقاط ربما نرى أنها ضرورية.

ولفظة الباطنية تعنى : أن النص له ظاهر وباطن، وأن الباطن هو المراد لأنه اللب، ويمكن الوصول إليه بالتأويل [1] أما الظاهر فغيرمراد.

والباطن فى الغالب لم يكن باطناً لغموضه وإنما لسريته التى لايعرفها إلا الإمام أو نائبه.

فالنصوص الدينية والشعائر التعبدية كلها رموز لمعانى باطنه لا يعرفها السذج من العامة وإنما خاصة الخاصة من العلماء ومن عندهم علم الأسرار وهم الأئمة.

---

(١) فى الأصل هو الترجيع وفى الشرع صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذى يراه موافقاً للكتاب والسنة مثل قوله تعالى (يخرج الحى من الميت) إن أراد به اخراج الطير من البيضة كان تفسيراً ، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر أوالعالم من الجاهل كان تأويلاً ،التعريفات ص ٥٠ ،وبمعنى آخر التأويل هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به . فإذا لم يكن اللفظ محتملاً للمعنى الذى حمل عليه، ولم يبين المتأول الدليل الذى حمله على ذلك لم يكن عمله تأويلاً بل تلاعباً بالنصوص الشرعية - التفسير والمفسرون للذهبى ١ / ١٨ .

و الباطنية إذ يقولون بالباطن للنصوص والأحكام والشعائر إنما يهدفون إلى إلغاء المراد من هذه الأمور، وفتح الباب لمعانى تتناقض كلية مع دين الله سبحانه وتعالى.

يقول المستشرق كارادى فو : الباطنية مشتقة من كلمة باطن والباطنية هم أولئك الذين يأخذون بالمعنى الباطن للكتاب ويجعلون لكل تنزيل تأويلاً، وقد أطلق مؤلفوا العرب اسم الباطنية على فرق عديدة متباينة كان لها شأن سياسى هام، وأهمها الخرمية ، والقرامطة ، والإسماعيلية .. ويمكن وصف منهج الباطنية فى عبارات من أفكار أربعة جوهرية : باطن ، تأويل، خاص وعام ، تقية ثم يقول : ولم يكن الباطن باطناً لخفائه فحسب بل لسريته ومعرفته يجب ألا يلقنها الإمام للعامة الذين يأخذون بالظاهر خشية أن يساء فهمها. (١)

ولاندراج الإسماعيلية والقرامطة وما يتفرع عنهما تحت الباطنية ولتداخل العقائد والأهداف والمناهج، نرى الغزالى وابن الجوزى والشهرستانى يعتبرون الإسماعيلية باطنية كما يعتبرون الباطنية هى الإسماعيلية ويطلقون الألقاب هكذا : الباطنية - القرامطة - القرمطية - الخرمية - الخرمدينية - الإسماعيلية السبعية - البابكية - المزدكية - المحمرة - النعليمية - الملحدة .

ويمكننا قبول ما يقول به الغزالى وابن الجوزى والشهرستانى إذا اعتبرنا أن كل لفظ أو لقب يضيف بعض المفاهيم إلى المعنى العام للباطنية لا أن الاسم الواحد تتعدد له الألقاب.

فالخرامية والخرمدينية . يعرفنا بهما عبد القاهر البغدادى بأنهما صنفان :

أولهما : كان قبل الإسلام كانوا يزعمون أن الناس شركاء فى الأموال والنساء.

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٦ / ٨٦ ط الشعب.

والصنف الثاني : الخرمدينية وهم بابكية مازيارية وكلتاهما معروفة بالمحمرة أتباع بابك - الذى استباع أتباعه المحرمات وقتلوا الكثير من المسلمين - وما زيار الذى أظهر مع أتباعه الإسلام وأضمر خلافة . (١)

والسبعية يقولون بسبع أنبياء وسبع أوصياء كما يقال سموا بالسبعية لقولهم بأن أدوار الإمامة سبعة كلما انتهى حكم سبعة قامت القيامة وجاء الدور من جديد . (٢)

وقيل سموا بسبعية لاعتقادهم أن العالم السفلى يدار بواسطة سبعة كواكب زحل والمشترى وعطارد والمريخ والزهرة والشمس والقمر .

والتعليمية تعنى أبطال الاجتهاد وتجميد العقول والتعلم مباشرة من الإمام .

وسموا بالمحمرة لأنهم كانوا يصبغون ثيابهم باللون الأحمر ليتميزوا عن غيرهم ، أو لاتهامهم من يخالفهم بالحمورية ، أو لعدم فهمهم وجمود عقولهم .

---

(١) راجع الفرق بين الفرق ص ٢٥١ .

(٢) يقول الفخر الرازى : وهم يقولون أن الدور التام سبعة بدليل أن السموات والأرضين سبع وأيام الأسبوع سبعة - والأئمة سبعة - الإمام على والثانى الحسن والثالث الحسين والرابع زين العابدين والخامس محمد الباقر والسادس جعفر الصادق والسابع إسماعيل . الاعتقادات ص ٨٠ .

● ويقول عضد الدين الايجى - سموا سبعية : لأنهم زعموا أن النطقاء بالشرائع أى الرسل سبعة : آدم ،ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى و محمد ،ومحمد المهدى سابع النطقاء . وبين كل اثنين سبعة أئمة يتممون شريعته ، ولابد فى كل عصر من سبعة بهم يقتدى وبهم يهتدى . إمام يؤدى عن الله ، وحجة يؤدى عنه ، وذو مصة يمص العلم من الحجة ،وأبواب ،وهم الدعاة .فاكبرهم يرفع درجات المؤمنين ، ومأذون يأخذ العهود على الطالبين ، ومكلب يحتج ويرغب إلى الداعى ككلب الصائد . ومؤمن يتبعه - أى يتبع الداعى وهو الذى أخذ عليه العهد ودخل فى ذمة الإمام وحزبه وهو سابعهم . المواقف ص ٤٢٢ .

المؤسسون

ومؤسس الباطنية هو ميمون القداح الأهوازى، ومحمد بن الحسين الملقب بدندان[١] وجماعة تسمى بالجاربجة ،وقد التقوا جميعاً فى سجن والى العراق ووضعوا أسس التوجه الباطنى.

ثم بعد خروجهم من السجن راحوا ينشرون الدعاوى الباطنية يقول البغدادى: ذكر أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم ولم يجسروا على إظهاره خوفاً من سيف المسلمين، فوضع الاغمار منهم أساساً من قبلها منهم صار فى الباطن إلى تفضيل أديان المجوس، وتأولوا آيات القرآن وسنن النبى ﷺ على موافقة أساسهم.[٢]

• أهداف الحركة الباطنية :

ويكاد الكاتبون فى الفرق يجمعون على القول بأن ضرر الباطنية على الفرق الإسلامية أخطر بكثير من ضرر اليهود والنصارى والمجوس والدهرية، وذلك لأن الآخرين يظهرون عداءهم ورفضهم الإسلام ،أما الباطنية فينشرون أفكارهم سراً، وباسم الإسلام يكيدون له بوضع بذورالخلاف والتفرقة، واللجوء إلى التأويل المبعد كلية عن المعنى المراد من النص الدينى.

وقد حدد بعضهم الغرض من الاتجاه الباطنى فى الدعوة إلى دين المجوس،

---

(١) يقول عنه ابن النديم فى الفهرست ص ٢٦٧ كان هذا الرجل متفلسفاً حاذقاً بعلم النجوم شعوبياً شديد الغيظ من دولة الإسلام، وكان يدين باثبات النفس والعقل والزمان والمكان والهيولى ويرى أن للكواكب تدبيراً وروحانية ... وكان واسع المال عظيم الحيلة فوطأ هذه الدعوة وظاهر عليها ابن القداح وأسعفه بالمال .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٦٩ .

واستدل هذا البعض على قوله بأن زعيم الباطنية الأول هو ميمون وقد كان مجوسياً من سبى الأهواز، وكذلك كان ولده عبد الله، وأن داعيتهم البزدوى قال : إن المبدع الأول أبدع النفس، ثم أن الأول والثانى مدبرا العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الأربع. وهذا بالتحقيق معنى قول المجوس أن يزدان خلق أهرمن وأنه مع أهرمن يدبرا العالم.

- ومنهم من نسب الباطنية إلى الصابئة التى بحران. ويستدل على قوله أن حمدان قرمط الباطنى كان من صابئة حران، وأنهم يكتمون دينهم [1] والباطنية مثلهم لايظهرون دينهم.

وإذاكان حمدان قرمط من الصابئة فهو يعمل على نشر ما يدين به من الكفر والزندقة.

ويذهب البغدادى للقول : بأن الباطنية دهرية وزنادقة يقولون بقدم العالم، وينكرون الرسل والشرائع كلها.

ويؤيده فى هذاونحن معه الفخر الرازى حيث يقول : مقصودهم - أى الباطنية - على الإطلاق إبطال الشريعة بأسرها، ونفى الصانع، ولا يؤمنون بشىء من الملل ولايعترفون بالقيامة . [2]

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٦٩ .

(٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٧٦ النهضة المصرية صنة ١٩٣٨ .

منهج الباطنية

أى دعوة تريد لنفسها الانتشار تعتمد فى الغالب على خطوات واضحة المعالم، تسلم كل خطوة للتى تليها، وتحدد قبل أى شىء الهدف.

وقد أراد الباطنيون الكيد للإسلام، والنيل من عقائده وعباداته ومعاملاته وأخلاقه، وخلخلة الأسس التى يقوم عليها بنيان المسلمين، وإيقاع الناس وبخاصة من هم على دين الإسلام، فى بحر متلاطم الأمواج ملئ بالشرك والوثنيات.

ولهذا وضعوا المنهج أو حددوا الطريق الذى من خلاله وبه يصطادون الناس ويحققون الأهداف.

وخطوات المنهج أو مراتبه تسمى بالتتابع : التفرس - التأنيس - التشكيك التعليق - الربط - التدليس - التأسيس المواثيق بالإيمان والعهود - وآخرها الخلع - والسلخ .

وإليك تعريفاً موجزاً بكل مرتبة من المراتب السابقة :

١ - التفرس :

ومعناه تمتع الداعى بالذكاء والحيطة وقوة الحيلة بحيث يستطيع أن يميز بين من يقبل الاستدراج وتلقى الأمور الباطنية ومن ينفر من مجرد الدعوة. وأن يكون عارفاً بوجوه تأويل الظواهر ليردها إلى الباطن متى شاء وبالكيفية التى يريدها.

وقد حذر الباطنية دعاتهم من القاء البذور فى الأرض السبخة : أرادوا بذلك منع دعاتهم عن اظهار بدعتهم عند من لا تؤثر فيهم بدعتهم. [١]

---

(١) الفرق بين الفرق ص٢٨٣ .

٢ - التأنيس :

أى التقرب إلى المدعو ، ومخاطبته فى كل ما يحبه ،واشعاره بالأنس ، والعمل على نيل رضاه وكسب وده ، والدخول فى قلبه ، وملاطفته بعذب الحديث : ودرجة التأنيس قريبة من درجة التفرس عندهم وهى تزيين ما عليه الإنسان من مذهبه فى عينه . (١)

٣ - التشكيك :

ويلجأ الداعى بعد أن أنس فيه المدعو إلى طرح أسئلة تتصل بالدين يهدف من ورائها إلى تشكيك المدعو فى معتقداته بأن يسأله مثلاً عن المحكم والمتشابه ؟ أو لم كان الاحرام أو الطواف أو رمى الجمار ؟ أو لم كان الغسل من الجنابة ولم يكن من التبول ؟ ويظل يدوربه ويحاوره بطرح أسئلة والتعليل من إجابته عليها : فإذا سأله المدعو عن ذلك قال علم ذلك عند الإمام ووصل بذلك منه إلى درجة التشكيك . (٢)

٤ - التعليق :

وإذا طلب المدعو إجابة من الداعى عن الأسئلة التى طرحت ، علق قلبه بطلبها ، وقال له مراراً لا تعجل ، فالأمر ليس باليسير ، ودين الله لا يؤخذ إلا بالهدوء والسكينة ، وبذلك يزداد المدعو تعلقاً ورغبة فى الإجابة ... فيقول له الداعى لا أخبرك عما تريده إلا بعد أن تعطينى العهد والمواثيق أن يكون ما أقوله لك سرا بينى وبينك .

٥ - الربط :

فإذا أعطى المدعو للداعى العهود والمواثيق فإنه يربط لسانه بجعله يردد

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٨٦ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٨٦ .

الأيمان المغلظة التى لا يجرأ على مخالفتها ، كان يقسم أن امرأته طالق ثلاثة إن هو خان العهد أو أخرج سراً مما يقال له ، ومن ثم يجيب عليه الداعى بما يوقعه فى الشرك ، فإما أن يقبل التأويل الرمزى المقدم له والذى يبعده عن الدين ، وأما أن يرفض ويقع فى أمر آخر وهو الشك القاتل . . «الربط عندهم تعليق نفس المدعو بطلب تأويل أركان الشريعة ، فإما أن يقبل منهم تأويلها على وجه يؤول إلى رفعها ، وأما أن يبقى على الشك والحيرة فيها . [1]

٦ - التدليس :

وهو قولهم للفرد الجاهل - أى المدعو - بأصول النظر والاستدلال إن الظواهر عذاب وباطنها فيه الرحمة وذكر له قوله تعالى فى القرآن :﴿ فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ فإذا طلب منهم تأويل باطن الباب ، أخذوا عليه العهود والمواثيق ،ثم ذكروا له من التأويل ما يشكك فى النص أو يلغيه ، وهو بين أمرين : أما أن يقبل تأويلهم ، وبهذا يخرج عن الإسلام ، وأما أن ينفر من تأويلهم لكنه يكتم ما قالوه لأنهم أخذوا عليه العهود والمواثيق . [2]

٧ - التأسيس :

وهو وضع أساس أو مقدمة لا يشك فيها ثم استدراج المدعو إلى القول بأن الله جعل لكل شىء ظاهراً وباطناً والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وذروا ظاهر الأثم وباطنه ﴾ أى أن هناك ظاهراً وباطناً والظاهر هو القشر أما الباطن فهو اللب وهو المطلوب ولايعرفه إلا الإمام .

ويظلون معه فى القول بالظاهر والباطن وتحبيب الباطن إلى نفسه ، ودفعه إلى

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٨٦ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٨٧ .

الشوق لمعرفته والانصراف عن الظاهر لأن الباطن هو مطلب العلماء، أما الظاهر فلا يتمسك به إلا السفلة والجهلاء.

٨ - الخلع والسلخ:

وهو أن يفهم الداعى المدعو بأن المراد هو باطن الشيء وليس ظاهره، ويؤكد له ذلك مراراً بحيث يصير الأمر معتقداً عند المدعو فينسلخ عن المعنى الظاهر إلى المعنى الباطن ويعمل به.

والخلع والسلخ مرتبتان متداخلتان الأولى تربط بالعمل والثانية بالاعتقاد، فالمدعو مع تغير اعتقاده فى شيء ينصرف فى عمله عنه فهو إذ يعتقد فى وجود الله تعالى فإنه يعمل بما يوافق هذا الاعتقاد بالالتزام بالأوامر الدقيقة والابتعاد عن النواهى.

فإذا انسلخ عن هذا الاعتقاد ارتبط فى عمله بالمعتقد الجديد من كفر وارتماء فى أحضان الرذيلة وتنافر مع القيم العليا.

فالصلاة والزكاة يفهم منهما فى الظاهر عبادات تؤدى بحركات وسكنات خاصة لله ودفع مال للفقراء، ولهما باطن وهو ولاية محمد وعلى فإذا عرف المدعو بالباطن انسلخ عن الظاهر واتجه إلى عمل الباطن وبهذا تسقط عنه الصلاة والزكاة.

والخمر والميسر ظاهرهما الشراب المسكر ولعب القمار. وباطنهما ولاية أبى بكر وعمر، لأنهما خالفا علياً. فإذا عرف الباطن والتزم به. فله أن يشرب الخمر ويلعب الميسر، لأن المراد هو الباطن وليس الظاهر.

تلخيص لنص يوضح حركة الداعي مع المدعو

وأراني في حاجة ماسة إلى ذكر ملخص لنص طويل يوضح حركة الداعي مع المدعو إلى أن يسلخه كلية عن الإسلام.

والهدف من ذكر ملخص النص بالإضافة إلى ما سبق بيان ما عليه الباطنية من معتقدات باطلة. وهي معتقدات تلتزم بالكثير منها فرق الإسماعيلية وما انبثق عنها من فروع، وفرقة القرامطة إذا اعتبرت فرقة مستقلة.

والهدف أيضاً هو الإشارة إلى أن هذه الحيل القديمة يستخدمها الباطنيون في أيامنا، والمبشرون وكل أصحاب الأهواء المضلة مع اختلاف في الإسلوب.

يقول محمد بن مالك اليماني - الذي عاصر قيام الدولة الصليحية [١] في اليمن في القرن الخامس الهجري، ودخل في الدعوة الصليحية الإسماعيلية وخبر أسرارها عن كثب، وتأكد من أنها دعوة باطنية الحادية تفسر الشرائع وفق هواها وتدفع بمعتنقيها إلى الانحلال والانسلاخ كلية عن الإسلام - : فرأيت أن أدخل في مذهبه - أي مذهب الصليحي الإسماعيلي الباطني - لاتيقن صدق ما قيل فيه من كذبه، ولأطلع على سرائره وكتبه، فلما تصفحت جميع ما فيها وعرفت معانيها، رأيت أن أبرهن على ذلك ليعلم المسلمون عمدة مقالته واكشف لهم عن كفره وضلالته... فأول ما أشهد به وأوضحه أن له نواباً يسميهم الدعاة المأذونين وآخرين يلقبهم المكلبين تشبيهاً لهم بكلاب الصيد، لأنهم ينصبون للناس الحبائل ويكيدونهم بالغوائل. وينقبضون عن كل عاقل ويلبسون على كل جاهل.

---

(١) تنسب لأبي الحسن علي بن محمد الصليحي خرج سنة ٤٣٩ وأسس في اليمن الدولة الصليحية الإسماعيلية وظل حاكما لها حتى سنة ٤٥٩ .

بكلمة حق يراد بها باطل. يحضونه على شرائع الإسلام من الصلاة والصيام والزكاة كالذى ينثر الحب للطير ليقع فى شركه، ويتلون عليه القرآن على غير وجهه، ويحرفون الكلم عن مواضعه، فإذا رأوا منه الانهماك والقبول قالوا حينئذ أكشف عن السرائر ولاترضى لنفسك ولا تقنع بما قد قنع به العوام من الظواهر ... فإعرف الصلاة وما فيها وقف على باطنها ومعانيها يقول الله ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ (البقرة ٤٣)فالصلاة والزكاة لهما باطن ... فالظاهر ما تساوى به الناس وعرفه الخاص والعام، وأما الباطن فقصر علم الناس عن العلم به فلا يعرفه إلا القليل ... والصلاة والزكاة سبعة أحرف دليل على محمد وعلى فالمعنى بالصلاة والزكاة ولاية محمد وعلى فمن تولاهما فقد أقام الصلاة وآتى الزكاه .

(وهكذا يسقطون ركنين من أركان الإسلام بدعوى أن المعنى الحقيقى للصلاة والزكاة هما ولاية محمد وعلى وهو المعنى المراد لاالذى عليه السذج من الناس ! من تأدية الفرائض الخمس لله سبحانه وتعالى) لأنها صلة بين العبد وربه وأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر. وأداء الفقراء حقهم الذى هو حق الله تطهيراً للإنسان من الشح والبخل والأنانية ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (التوبة ١٠٣)) .

ثم يقول له ذلك الداعى الملعون سل عن الخمر والميسر الذى نهى الله تعالى عنهما : أنهما أبوبكر وعمر لمخالفتهما علياً وأخذهما الخلافة دونه، فأما مايعمل من العنب والزبيب والحنطة وغير ذلك فليس بحرام لأنه مما أنبتت الأرض. (هكذا يفسر الداعى الخمر والميسر بأنهما أبو بكر وعمر فالمحرم هو ترك ولايتهما أما الخمر والميسر فليسا بحرام فليسكر من يسكر، وليقامر من يقامر ضارباً بعرض الحائط هذا النهى القرآنى ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة ٩٠)، لقد

حرص الإسلام على سلامة العقل لأن من يشرب يسكر، ومن يسكر يهذى،ومن هذا حاله يرتكب أى منكر أو أى جريمة دون أن يحس. وحرص الإسلام على أمن الإنسان الفرد وسلامه الداخلى، وأمن الإنسان الجماعة وأراد أن تكون المودة هى الأساس بين الجميع، لا الجشع والطمع والاغتصاب والتقاتل والتآمر، ولهذا حرم الخمر والميسر بمفهومها الصحيح لا كما يقول الباطنية الإسماعيلية الملحدة).

والصوم هو الكتمان أى كتمان الأئمة فى وقت استتارهم خوفاً من الظالمين.

(هكذا يفسرون الصوم الذى جعله الله سبحانه وتعالى وقاية للإنسان وابتعاداً به عن كل مفطر من أكل أو شرب أو جماع أو غير ذلك حتى من الكلمة النابية واقتراباً من تقوى الله سبحانه وتعالى وطمعاً فى رضوانه وبتفسير الصوم بالكتمان يسقطون الركن الثالث من أركان الإسلام)

«ثم يأتى ذلك الداعى الملعون فيقول للمدعو قد عرفت ثلاث درجات فاعرف الطهارة ما هى ؟ ومعنى الجنابة ما هى ؟ ... معنى الطهارة طهارة القلب وأن المؤمن طاهر بذاته. وأن الجنابة هى موالاة الأضداد أضداد الأنبياء والأئمة ... ومعنى ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾ (المائدة ٦)، معناه فإن كنتم جهلة بالعلم الباطن فتعلموا».

(وهكذا يسقطون الوضوء للصلاة والتطهر من الجنابة يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾ (المائدة ٦)، فهو سبحانه يريد للمؤمن أن يكون طاهر القلب والجسم إذا أراد أن يصلى، أما الباطنية فهم يلبسون ويقولون بطهارة القلب التى لايعرفونها ولا ندرى أى لغة أو رمز سمح لهم بتفسير الجنابة بأن معناها الجهل بالعلم الباطن والطهارة هى تعلم هذا العلم المزعوم)...

«ثم يقول الداعى الملعون للمدعو قد عرفت أربع درجات - ويعنى بها ترك الصلاة والزكاة والصوم والطهارة - وبقى عليك الخامسة فإنها منتهى أمرك وغاية سعادتك ويتلوا عليه الآية الكريمة ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (السجدة ١٧)، ثم يقول له أتحب أن تدخل الجنة فى الحياة الدنيا؟ ... لأن الجنة مخصوص بها ذوو الألباب دون الجهال، لأن المستجن من الاشياء ما خفى ولذلك سميت الجنة جنة لأنها مستجنة وسميت الجن جنا لاختفائهم عن الناس والمجنة المقبرة لأنها تستر من فيها والترس المجن لأنه يستتر به فالجنة هاهنا ما استتر عن الخلق المنكوس - وحينما يعلن المدعو عن شوقه لدخول الجنة يجمع الداعى بين زوجته وبين المدعو فى غرفة مغلقة ليزنى بها أى أن الزنا هو الجنة الخفية عن الإنسان - ثم يقول الداعى يا مولانا أن عبدك فلان يريد أن يشهد المشهد الأعظم وهذا قربانه، حتى إذا جن الليل ودارت الكؤوس وحميت الرؤوس أحضر جميع أهل هذه الدعوة حريمهم فيدخلن عليهم من كل باب، واطفأوا السرج والشموع، وأخذ كل واحد ما وقع عليه فى يده ... إلخ.

يقول محمد بن مالك هذا ما أطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم.[1]

(وهكذا تعيش الباطنية وتعمل على اغراء أتباعها باغراقهم فى المحرمات، وأبعادهم عن الدين، والتدرج فى دعوة الآخرين ليسقطوا مع اتباعهم فى هاوية الكفر والفساد.

والباطنية يقولون أن الله خلق النفس فالله هو الأول والنفس هو الثانى وهما معاً يدبران العالم، ويقولون تأويلاً أن الملائكة هم دعاتهم، والشياطين من ليسوا على مذهبهم من المسلمين.[2]

(١) كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٢٠٣ تحقيق د. سهيل زكار ط ٢ سنة ١٩٨٢ دار إحسان.
(٢) راجع التبصير فى الدين للاسفراينى ص ٨٦.

الإسماعيلية

لما توفى الإمام جعفر الصادق الإمام السادس سنة ١٤٨ هـ عن خمسة وستين عاماً افترقت الشيعة من اتباعه إلى ست فرق.

فرقة تدعى أن جعفر الصادق لم يمت، وهو حى ولن يموت إلا بعد أن يظهر ثانية ويقوم بأمر المسلمين، فهو القائم المهدى.

وهذه الفرقة تسمى بالناووسية، نسبة لرئيس لها يسمى عبد الله بن الناووس البصرى.

والفرقة الثانية تقول إن الإمام بعد جعفر هو ابنه محمد بن جعفر، وتدلل على صدق كلامها، بأن محمدا جرى ناحية أبية وهو صغير فوقع على الأرض، فلحق التراب بوجهه، فلما رأى والده ما حدث، قام ومسح وجه ابنه ثم ضمه إلى صدره، وقال سمعت أبى يقول: إذا ولد لك ولد يشبهنى فسمه باسمى فهو شبيهى وشبيه رسول الله ﷺ وعلى سنته».

ومن هذا الكلام جعلت هذه الفرقة الإمامة لمحمد بعد وفاة أبيه.

- ولا ندرى هل يحمل كلام جعفر حتى لو صحت نسبته إليه أى مسوغ لإمامة محمد من بعده، أن أى أب يوصى ابنه إذا أنجب ولداً أن يسمه باسمه ويتمنى للحفيد أن يكون متبعاً لسنة الرسول عليه السلام.

وهذه الفرقة تسمى بالسميطية أو الشميطية نسبة لرئيسها يحيى بن أبى السميط أو الشميط.

والفرقة الثالثة وتسمى بالأفطحية أو الفطحية تقول أن الإمام بعد وفاة جعفر الصادق هو ابنه عبد الله الأفطح [1] لأنه أكبر أخوته بعد وفاة إسماعيل فى حياة أبيه.

---

(١) لأن عبد الله كان أفطح الرأس أو أفطح الرجلين والفطح عرض فى وسط الرأس، ورجل أفطح عريض الرأس ورأس أفطح ومفطح عريض. لسان العرب ج ٥ ف ط ح.

وهؤلاء يعتمدون فى نسبة الإمامة لعبد الله على حديث ينسبونه لجعفر الصادق ومحمد الباقر أنهما قالا : الإمامة فى الأكبر من ولد الإمام» ولأن إسماعيل لحقته المنية فى حياة أبيه فالابن الأكبر لجعفر هو عبد الله فهو الإمام.

ولما مات عبد الله دون أن يترك ولداً ذكراً رجع الكثيرمن اتباعه عن القول بإمامته ،وقالوا بإمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، واعتمدوا فى ذلك على قول ينسبونه لجعفر : - إن الإمامة بعد ى فى ابنى موسى - وإنه دل عليه وأشار إليه وأعلمهم أن فى عبد الله أموراً لا يجوز أن تكون فى الإمام ولا يصلح من كانت فيه للإمامة .[1]

ويقال أن عبد الله لم يعش بعد وفاة أبيه أكثر من سبيعين يوماً.

الفرقة الرابعة وهى التى ذهبت للقول بإمامة موسى الكاظم بعد وفاة أبيه جعفر الصادق والتفت حوله.

وسبق أن عرفنا أن الذين التفوا حول عبد الله بن جعفر رجعوا عن القول بإمامته بعد وفاته دون أن يعقب ذكراً، وقالوا بإمامة موسى الكاظم وبهذا انضموا إلى من قالوا منذ البداية بإمامة الكاظم.

وسبق لنا القول بإن الإمامية الاثنى عشرية هى التى قالت بإمامة موسى الكاظم وتمتد الإمامة فى العقب إلى الإمام محمد المهدى بن الحسن العسكرى الإمام الثانى عشرالمختفى.

وقد اندثرت الفرق الثلاث الأولى، وبقيت الإثنا عشرية إلى يومنا هذا.

أما الخامسة والسادسة فهما الإسماعيلية ، والاختلاف منشؤه النسبة فالخامسة تقول بالنسبة إلى إسماعيل والسادسة تقول بالنسبة إلى ولده محمد ابن إسماعيل.

(١) النوبختى ، فرق الشيعة ص ٨٤ .

وهى فرقة من الفرق الرئيسية للشيعة، والتى لها وجود حتى الآن فى بعض البلدان الآسيوية والإفريقية.

وينسبها بعض الشيعة إلى إسماعيل بن جعفر وهم ينكرون موت إسماعيل فى حياة أبيه، ويدعون أن جعفراً أشاع بين الناس وفاة أبنه من باب التلبيس، لأنه خاف على ولده من الحاكم العباسى. وهؤلاء يقولون إن إسماعيل هو القائم وأنه لن يموت إلا بعد أن يظهر ثانية ويملك الأرض.

بينما يسنبها البعض الآخر إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر حيث نص الأب على إمامة ولده الأكبر إسماعيل، فلما مات فى حياة أبيه جعل جعفر الإمامة لابن إسماعيل وهو هنا محمد بن إسماعيل، لأن الإمامة لا تنتقل من أخ إلى أخ بعد الحسن والحسين ولاتكون إلا فى الأعقاب ولم يكن لأخوى إسماعيل عبد الله وموسى فى الإمامة حق ... وأصحاب هذه المقالة يسمون المباركية نسبة لرئيس لهم اسمه المبارك مولى إسماعيل بن جعفر .[1]

وأيا كانت الاختلافات فإن الإسماعيلية تنتسب إلى إسماعيل، تارة وإلى ولده محمد بن إسماعيل تارة أخرى ولايترتب على الاختلاف أى تناقض فى التسمية أو تغير فى العقائد.

التناقض الذى نراه حقيقة لا أيهما تنتسب الإسماعيلية وإنما فى هذه العقائد والأفكار التى يقول بها الاسماعيليون هل كان عليها إسماعيل وولده من بعده؟

اننى أذكر نصاً للشهرستانى يؤكد الاختلاف السابق فى النسبة، ويوضح أن العودة إما إلى إسماعيل أو ابنه محمد بن إسماعيل : قالوا إن الإمام بعد جعفر، إسماعيل نصاً عليه ... إلا أنهم اختلفوا فى موته فى حال حياة أبيه فمنهم من قال لم يمت إلا أنه أظهر موته تقية من خلفاء بنى العباس، وأنه عقد محضراً

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٧٨ .

وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة، ومنهم من قال موته صحيح والنص لا يرجع القهقرى، والفائدة فى النص إبقاء الإمامة فى أولاد المنصوص عليه دون غيرهم فالإمام بعد إسماعيل هو محمد ابن إسماعيل.[١]

إن إسماعيل وولده من آل البيت واعتقد أن آل البيت مبرءون من الخروج عن أى معتقد دينى صحيح النسبة إلى محمد وأصحابه لقد كان جعفر الصادق يعى أن جده البعيد هو على بن أبى طالب رضى الله عنه ابن عم رسول الله ﷺ ويعلم الشأن الكبير لعلى فى الإسلام، ولقد ربى ولده وولد ولده التربية الإسلامية الحقة.

ولهذا فإننا نرفض منذ البدء ما ينسب إلى إسماعيل أو ولده.

فإذا تحدثنا عن عقائد الإسماعيلية أو عن منهجهم، ورأينا أن فى العقائد والمنهج خروجًا عن الإسلام، فلنلصق هذا الخروج للإسماعيلية أنفسهم، وليد خفية أرادت شراً بإسماعيل وولده وآل البيت، أقول هذا الكلام دفاعاً عن إسماعيل وولده، لا دفاعاً عن الإسماعيلية التى لقبت بالباطنية والتعليمية والملحدة، وهى ألقاب تؤكد ما عليه الإسماعيليون من اعتقادات ليست من الإسلام فى شىء.

فمع تظاهر هذه الفرقة لآل البيت، والانتساب لإسماعيل بن جعفر بن محمد ... بن على بن أبى طالب ابن عم رسول الله ﷺ، إلا أنها فى حقيقتها تهدم فى كثير من مبادئها عقائد الإسلام، وتلجأ للرمز، وتستخدم التأويل الفاسد، وتستمد أفكارها من أصول فلسفية وفارسية، وتقول بالتقية وعصمة الأئمة، وتصف الإمام بصفات ترفعه لدرجة الألوهية، وتنكر صفات الله تعالى، وهو سبحانه فى نظر الإسماعيلية فوق مستوى العقل فهو لا موجود ولا غير موجود ولا عالم ولا جاهل. ولا قادر ولا عاجز. « وكذلك فى جميع الصفات، فإن الاثبات الحقيقى يقتضى شركة بينه وبين الموجودات .. وذلك تشبيه»[٢]

---

(١) الملل والنحل ١/ ١٦٧ .

(٢) نفسه ١/ ١٩٣ .

ونحن في البدء نقرر أن الإسماعيلية الباطنية انقسمت إلى عدة طوائف أو فرق بفعل الزمن أو رغبة منها في الانتشار الأكثر في البلدان وبين الشعوب.

ونكتفي في هذه العجالة بالتعرف على :

أولاً : الاسماعيلية الفاطمية.

ثانياً : البهرة.

ثالثاً : القرامطة.

رابعاً : الدروز.

أولاً : الإسماعيلية الفاطمية :

مرت الإسماعيلية بعدة أطوار منها :

- دور الستر وهو الذى بدأ بموت إسماعيل أو اختفائه سنة ١٤٣هـ واستمرت فترة من الزمن.

وقد ساعد دور الستر هذا على اخفاء الحقيقة، فلم يعرف بالتحديد الأئمة الذين أتوا بعد محمد بن إسماعيل، وحينما ظهر عبيد الله المهدى أول مؤسس للإسماعيلية الفاطمية تضاربت الأقوال في نسبته إلى إسماعيل أو ابنه محمد، وهي ترجح أن محمد بن إسماعيل مات ولم يعقب، ومع الافتراض أنه عقب فلم يعرف له أولاد ولا أولاد أولاد على مدى يزيد عن المائة عام.

ويرجع المشتغلون بعلم الانساب أن مؤسس الإسماعيلية الفاطمية أو ما يعرف بالدولة الفاطمية، عبيد الله المهدى من نسل ميمون القداح المجوسى، وقد نسب نفسه زوراً إلى آل البيت، وراح يردد هو واتباعه ذلك حتى يكسب رضا العامة. يقول ابن كثير : المهدى صاحب أفريقيا أول خلفاء الفاطميين الأدعياء

الكذبة، وهو أبو محمد عبيد الله المدعى أنه علوى ... وقد كتب غير واحد من الأئمة منهم الشيخ أبو حامد الأسفراينى والقاضى الباقلانى والقدورى أن هؤلاء - يعنى ملوك الفاطميين - أدعياء ليس لهم نسب صحيح فيما يزعمونه وأن والد عبيد الله المهدى هذا كان يهوديًا صباغاً بسلمية . [١]

ونرى ما يؤكد النص السابق فى النص التالى : أول من ملك منهم عبيد الله المنعوت بالمهدى ونسب نفسه أنه عبيد الله بن الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، وأهل العلم بالأنساب من المحققين ينكرون ذلك وينفوه عن الشرف، ويقولون اسم عبيد الله سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله القداح ... ومن المؤرخين من زعم أن الحسين ابن أحمد زوج أم سعيد وأن أبا سعيد يهودى. [٢]

- دور الظهور ويبدأ بظهور عبيد الله المهدى السابق ذكره والمؤسس لأول دولة إسماعيلية فاطمية فى شمال إفريقية بتونس سنة ٢٩٧هـ.

وجاء من بعده بالترتيب :

* القائم بأمر الله (محمد ٣٢٢ - ٣٣٤هـ).

* المنصور بالله (أبو طاهر إسماعيل ٣٣٤ - ٣٤١هـ).

* المعز لدين الله (أبو تميم معد ٣٤١ - ٣٦٥هـ)

وقد تم فى عهد المعز فتح مصر سنة ٣٥٨هـ على يد قائد جيشه جوهر الصقلى الذى أنشأ مدينة القاهرة لتكون عاصمة للبلاد ومركزاً للدعوة الإسماعيلية. وفى سنة ٣٥٩هـ بدأ فى انشاء الجامع الأزهر لنشر الدعوة الإسماعيلية من خلاله، وقد انتهى من بنائه سنة ٣٦١هـ.

---

(١) البداية والنهاية ١١ / ١٧٩ دار الفكر العربى.

(٢) اخبار القرامطة ص٣٠٤ تحقيق سهيل زكار ط ٢ سنة ١٩٨٢ دار حسان.

وانتقل المعز لدين الله الفاطمى إلى العاصمة الجديدة القاهرة سنة ٣٦٢ فى شهر رمضان المبارك.

ومن العجيب أن قاهرة المعز التى أرادوا منها أن تكون مركز أشعاع، ونقطة انطلاق للعقيدة الإسماعيلية، هى نفسها التى قهرت المذهب الشيعى الإسماعيلى منتصرة بذلك لكتاب الله ولسنة رسوله ﷺ.

* العزيز بالله (أبو منصور نزار ٣٦٥ - ٣٨٦هـ).

* الحاكم بأمر الله (أبو على المنصور ٣٨٦-٤١١هـ).

* الظاهر (أبو الحسن على ٤١١ - ٤٢٧هـ).

* المستنصر بالله (أبو تميم ٤٢٧ - ٤٨٧هـ).

وقد انقسمت الشيعة الإسماعيلية الفاطمية بعد وفاة المستنصر بالله إلى نزارية شرقية ومستعلية غربية حيث نص المستنصر على إمامة ابنه الأكبر نزار من بعده، كما هو المعهود عند الشيعة الإسماعيلية، إلا أن الوزير الأفضل بن بدر الجمالى لم ينفذ النص وأعلن إمامة الابن الأصغر للمستنصر وهو المستعلى، وألقى القبض على نزار وسجنه، ثم سد عليه الجدران وتركه حتى مات.

ومع الزمن وجدت إسماعيلية نزارية وإسماعيلية مستعلية.

ومن الإسماعيلية المستعلية انبثقت طائفة البهرة، ولما كانت هذه الطائفة تعيش فى عصرنا، ويتحرك أفرادها بيننا، كان لزاماً علينا أن نتوقف معرفين بها وببعض معتقداتها. مع العلم أن المنهج الباطنى العام والاعتقاد الباطنى، موضع اهتمام كبير بطريقة إيجابية من هذه الطائفة وغيرها من الطوائف مثل القرامطة والدروز وهذا ما سنعرفه فيما بعد.

ثانياً : البهرة : النشأ والتعريف :

الذى يهمنا هنا أن الإسماعيلية الفاطمية المستعلية حكمت مصر والحجاز واليمن من سنة ٤٨٧هـ إلى أن زالت دولتهم على يد صلاح الدين الأيوبى.

ومن الإسماعيلية المستعلية انبثقت طائفة تنتمى للإسلام، وتقول بإمامة المستعلى، ومن بعده ابنه الآمر، ثم ابنه الطيب، وتعتقد بعقائد الإسماعيلية وهذه الطائفة تسمى البهرة.

والبهرة يتواجدون بنسب مختلفة في كثير من بلدان العالم مثل : مصر والعراق والسعودية وإيران والكويت وزنجبار بالإضافة إلى تواجدهم الأصلى فى اليمن والهند.

والبهرة لفظة هندية معناها التجار، وهى لفظة تؤكد واقع البهرة إذ أن غالبيتهم يعملون بالتجارة.

ويسمون بالطيبية نسبة إلى الطيب بن الخليفة المستعلى. وهى مشتقة من بيوپار أو بيوهار أى التجارة ثم انقلبت إلى بيوهارى، وبعد ذلك تبدلت إلى البهرة ... واشتهر هذا الاسم خاصة لطائفة البهرة لأن أكثرهم يتجرون فى بلاد الهند وخارجها. (١)

تقول دائرة المعارف الإسلامية «البوهرا» أو البهرة طائفة إسلامية فى غربى الهند انحدرت على الأغلب من أصل هندوكى، ومعظم أفرادها شيعة على مذهب الإسماعيلية وينتمون إلى ذلك الفريق الذى يؤيد دعاوى المستعلى ٤٨٧-٤٩٥هـ، ١٠٩٤ - ١١٠١م فى ولاية الخلافة الفاطمية بمصر بعد أبيه المستنصر. (٢)

---

(١) الملا يونس شكيب المباركفورى مدير الإدارة الإسلامية الفاطمية بالهند. بحث له عن البهرة ص ٢ .
(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٨ / ٤٥٦ الطبعة العربية.

● **تلخيص لما جاء بدائرة المعارف الإسلامية :**

١ - البوهرة لفظ يدل على التجار وهو من الكلمة الكجرتية فهو رفو أى اتجرا.

٢ - لا تقتصر التسمية على المسلمين بل إن عدداً من الهندوس اعتبروا أنفسهم من البهرة.

٣ - البهرة أغلبهم من التجار أما القسم الأصغر منهم فهم مزارعون وهم يقطنون برمباى.

٤ - يزعم المتشيعة من البهرة أنهم من نسل أناس هاجروا من بلاد العرب ومصر.

٥ - اعتنق أجدادهم الإسلام على يد دعاة الإسماعيلية.

٦ - تعرض البهرة للاضطهاد الشديد فى عهد ملوك كجرات ١٣٩٦ - ١٥٧٢م لأن ملوك كجرات كانوا يشجعون مذهب أهل السنة.

٧ - استمر زعيمهم يقيم فى اليمن إلى سنة ٩٤٦هـ أى ١٥٣٩م وكان البهرة يحجون إليه ويدفعون له العشور.

٨ - هاجر يوسف بن سليمان من اليمن إلى الهند سنة ٩٤٦هـ.

● **أقسام البهرة :**

وينقسم البهرة إلى قسمين :

- الداودية وهم ينسبون إلى الداعى قطب شاه داود ويقيمون بالهند وباكستان منذ القرن العاشر الهجرى وداعيهم يقيم فى برمباى وجل عملهم فى التجارة.

- السليمانية نسبة إلى الداعى سليمان بن حسن وهم يقيمون باليمن وجل عملهم فى الزراعة.

يقول الدكتور عبد المنعم النمر : وكلاهما - يعنى البهرة الداودية والسلمانية - متولد من الدولة الفاطمية وعلى طريقتها بالتمسك بظواهر الدين - لكن لهم عقيدتهم الباطنية التى تؤول القرآن إلى معان باطنية [1] .

وتقدم دائرة المعارف الإسلامية تفسيراً لكيفية حدوث الانقسام إلى بهرة داودية وبهرة سليمانية حيث تقول : بعد خمسين سنة - أى من سنة ٩٤٦ هـ - دب الشقاق بين البهرة عقب وفاة زعيمهم داود ابن عجب شاه سنة ١٥٨٨م ثم اختار بهرة كجرات داود بن قطب خلفاً له، وأرسلوا إلى أخوانهم باليمن ولكن هؤلاء بايعوا رجلاً اسمه سليمان الذى زعم أنه الخليفة الحق بوصية من داود بن عجب شاه .

وقد مات سليمان بن حسن بعد ذهابه إلى كجرات بها وقبره مع قبر منافسه داوود بن قطب شاه يوجدان فى مدينة كجرات .

و من المؤكد أن بهرة السليمانية أقل بكثير من بهرة الداودية، ويقيم داعى السليمانية فى اليمن ونائبه فى بومباى بالهند .

أما داعى الداودية وهو الأن الدكتور محمد برهان الدين فيقيم فى بومباى بالهند .

ويضيف استطلاع لمجلة العربى سبتمبر سنة ١٩٧٥ بقلم محمد حسنى زكى بعض المعلومات الهامة التى تتصل ببعض زعماء البهرة حيث يقول :

زعيمهم الراحل هو الدكتور طاهر سيف الدين ترأس جامعة عليكره بالهند واهتم بالعلوم الدينية وأحيا التراث الفاطمى، وهو الداعية رقم ٥١ فى سلسلة الدعاة الفاطميين، وتولى هذه الدعوة من سنة ١٩١٥ إلى سنة ١٩٦٥م وطور الدراسة فى الجامعة السيفية فى مدينة سورت وهى حصن الثقافة الإسلامية والعربية .

---

(١) الشيعة - المهدى - الدروز ص ١٤٥ ط أولى ١٤٠٨هـ.

والزعيم الحالى هو الدكتور محمد برهان الدين الداعية رقم ٥٢ وقد أقاموا للداعية الراحل مسجداً وضريحاً فى قلب الحى التجارى فى بومباى فى منطقة (بهاندى بازار) واحتفلوا بافتتاحه يوم السبت ٨ من ربيع الآخر سنة ١٣٩٥ ودعى إليه علماء كثيرون منهم الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر والشيخ محمد خاطر مفتى مصر ومعهما الشيخان الحصرى وعبد الباسط لقراءة القرآن الكريم والشيخ محمد الطوخى للأناشيد ويوجد فى مكتبة السلطان ومكتبة الجامعة السيفية مخطوطات فاطمية نقلت بعدضعف الدولة الفاطمية من مصر إلى اليمن ثم الهند.

والضريح مبنى على الطراز الفاطمى ... والمسجد يسمى روضة طاهرة مساحته ٣ آلاف متر مربع وعرض كل جدار ٥١ قدماً رمزاً إلى رقم الداعية المتوفى. والارتفاع ٨٠ قدماً رمزاً إلى عمره.

وغطيت جدرانه بالمرمر المضاهى لمرمر تاج محل. ومن مميزاته أنه يظل بارداً على الرغم من حرارة الجو. ونقش القرآن كله على ألواح مرمرية عددها ٧٧٢ كل لوح ٣×٢ من الأقدام.

ورصعت البسملات بخمسة أنواع من الجواهر الياقوت والمرجان والدر والزمرد والماس. وسورة الأخلاص كلها مرصعة بالياقوت الأحمر.

• النظام المالى للبهرة :

ويفرض البهرة على كل من يرتكب من أتباعهم ما يضر بالجماعة أو يرتكب أثماً ظاهراً غرامات ماليه باهظة.

والبهرة يقومون بدفع خمس دخلهم من التجارة للداعى الأكبر. كما يدفعون له ضرائب أخرى عند الزواج أو ولادة مولو د.

والتبرعات اجبارية للداعي الأكبر وللعائلة الحاكمة إذا أرادا القيام بأي مشروع تجاري أو زراعي أو صناعي أوعمراني يقوم أفراد الطائفة بجمعها ودفعها.

وتقوم عائلة الداعي مع كبار تجار البهرة بالاتجار في الأحجار الكريمة مثل الذهب والماس. [1]

و يقوم الداعي باصدار صكوك غفران للموتى مثل صكوك الغفران التي فرضتها الكنيسة على إتباعها في القرن الثالث عشر الميلادي. وأهل الميت الذين يدفعون مبالغ أكثر لا تقل عن خمسين ألف روبية يحصلون على صك لميتهم يخول له دخول درجة عالية في الجنة.

وكلما قل المبلغ المدفوع في الصك كلما تدنت الدرجة التي يدخها الميت [2]

• أهم معتقدات البهرة مع معتقدات زعيمهم الحالي:

١ - يقولون بالظاهر والباطن وأن الظاهر خاص بمن عداهم أما الباطن فخاص بهم وأئمتهم وداعيهم.

دفع احترامهم للقرآن في الظاهر إلا أنهم يؤولونه بما يتمشى مع معتقداتهم الإسماعيلية الفاسدة.

٢ - يقولون بأن التقيه جزء لا يتجزأ من عقائدهم وبخاصة إذا اشتد عليهم الزمن أو كانوا في موضع ضعف.

والتقية معناها القول بشيء واضمار ما يخالفه. واخفاء المعتقد باللجوء للحيطة والكذب ومسايرة الغير في الظاهر فقط.

---

(١) خالد بن محمد الحاج، الكشاف الفريد ١ / ٢١٠.

(٢) مجلة المجتمع الكويتية سنة ١٣٩٨ العدد ٤١٧.

٣ - يعتقدون فى إمامهم القدرة على الضر والنفع ،ويصفونه بصفات تجعله يشبه الإله سبحانه وتعالى ومنها العلم بالغيب .

٤ - يقولون بعصمة الأئمة واستتارهم ورجعتهم قبل يوم القيامة .

٥ - من كتبهم المقدسة كتاب (النصيحة) من تأليف الداعى الحادى والخمسين الدكتور الطاهر سيف الدين ، وهم يعتبرون هذا الكتاب قرآنهم .

٦ - يحافظ البهرة على سرية كتبهم الدينية ، ومن أهم كتبهم التى لم تطبع بعد كتاب (دعائم الإسلام) وكتاب (الحقائق) والكتابان يعرضان مذاهب الإسلام وشعائره من خلال منظورشيعى إسماعيلى فاطمى ، ، ويترجمان لدعاة البهرة وأشهر أقوالهم .

٧ - رئيسهم يلقب بداعى الدعاة ، كما يلقب بالسلطان وله سلطة روحية كبيرة على اتباعه الذين يعتقدون فيه الضر والنفع ، ويخضعون له خضوعاً مادياً ومعنوياً فى كل ما يقول ، وأحكامه فى المسائل الدينية تقبل وتنفذ بلا أى تعقيب .

٨ - معتقداتهم فى الظاهر تشبه معتقدات المسلمين ، إلا أنها فى الباطن تخالف ذلك تماماً .

٩ - يؤمنون بأن الكعبة رمز للإمام ولهذا يذهبون للحج بمكة .

١٠ - والبهرة يتخذون لأنفسهم أماكن خاصة للعبادة اسمها جامع خانه ،ولا يسمحون لأنفسهم أن يقيموا الصلوات فى مساجد عامة المسلمين ... وهم يصلون كما يصلى المسلمون ولكنهم يقولون أن صلاتهم تلك للإمام الإسماعيلى المستور من نسل الطيب بن الآمر ، وهم يذهبون إلى مكة للحج كبقية المسلمين ولكنهم يقولون الكعبة هى رمز على الإمام . [1]

---

(١) اسلام بلا مذهب ص ٢٤٠ .

١١ - يعتقد داعى البهرة أنه معصوم وأنه لا يذنب ولا يخطىء.

١٢ - كما يعتقد أنه لا يحاسب فى أموال الزكاة أو الأوقاف، ولايجوز لأحد أن يسأله عن حسابات بيت المال، وأنه يملك جميع أموال اتباعه من طائفة البهرة، وله خيار فى صرفها كيفما شاء.

١٣ - ويعتقد أن الفرائض مثل الصلاة والزكاة والحج لا تقبل من أحد إلا إذا أديت باذنه وبرضاه.

١٤ - ويجب على النساء والرجال من اتباعه أن يسجدوا له وأن يقبلوا يديه ورجلية. (1)

١٥ - يتوجه البهرة فى صلاتهم إلى قبر داعيهم فى بومباى بالهند ويطلقون عليه اسم (روضة الطاهرة).

١٦ - يزيدون ركنا سادساً إلى أركان الإسلام اسمه الطهارات ويتضمن هذا الركن تحريم الدخان وسماع الموسيقى ورؤية الأفلام.

١٧ - لا يصلون الجمعة وإنما يصلونها ظهراً ويصلون العيد أربع ركعات بدون خطبة.

ولما كان البهرة يخالفون أهل السنة فى كثير من المعتقدات، لهذا نراهم يحرصون كل الحرص على التقليل كلما أمكنهم ذلك من الاحتكاك بمن عداهم، وإذااضطروا - وبخاصة أنهم يعملون بالتجارة - فإنهم يغلفون أفعالهم وأقوالهم بالتقية.

وامتداداً للحرص الزائد فإنهم لا يزوجون ولا يتزوجون إلا من طائفتهم.

وينفرون ممن يقترب منهم، أو يحاول سؤالهم عن معتقداتهم، أو يحاول فهم ما هم عليه.

وإذا اقتربوا هم فمن باب استغلال المواقف لصالحهم.

وهم لا ينسون أبداً أنهم امتداد للدولة الفاطمية التى حكمت بعد البلدان ومنها مصر وبنت الأزهر واقامت الكثيرمن المساجد مثل مسجد الحاكم بأمر الله الفاطمى وانشأت قاهرة المعز لدين الله، وكان ذلك كله لأهداف شيعية إسماعيلية.

ويدفعهم عدم النسيان للحنين لكل شبر خطا عليه أجدادهم، ولهذا نراهم يعيدون تجميع أنفسهم فى منطقة الأزهر والحسين، ويجددون مسجد الحاكم بأمر الله، ويستغلون عواطف المصريين وحبهم لآل بيت رسول الله ﷺ فيأتون بالمقصورات الضخمة الفخمة لما يسمى بالمشهد الحسينى.ومشهد السيدة زينب.

ونعتقد أن جثمان شهيد الإسلام الحسين بن على والسيدة الطاهرة زينب ليسا فى مصر، ولو كانا حيين لكانا أول من يبرأ من معتقدات البهرة وبذخهم مع المقابر المرفوض شرعاً وعقلاً.

ونأمل من القائمين على أمر هذا البلد الطيب أن يتابعوا باهتمام كامل تحركات أفراد طائفة البهرة، ومع الأمل نثق فى أبناء مصر فهم قادرون دائماً على التعرف على كل دخيل يضر بمعتقدهم وقادرون أكثر على رفضه والتمسك بكتاب الله وسنة الرسول ﷺ.

ثالثاً : القرامطة :

من الحركات الباطنية الملحدة والتى كان لها دور مخيف ومرعب فى تاريخ المسلمين حركة القرامطة.

ومن الغريب أن البعض يرى أنها حركة ثورية «اصلاحية قامت على أسس

دينية واجتماعية وسياسية ... وهى تجسيد لأحلام المقهورين والمعوزين المضطهدين فى دولة بنى العباس التى سادها الفوضى والبلبلة»[١] ولا تصح هذه الدعوى إلا إذا اعتبرنا الالحاد والاباحة ،وهدم الأخلاق، وسبى النساء، وقتل الرجال والأطفال، وحرق المصاحف، وهدم المساجد، ونهب الأموال والإغارة على الحجيج ،والتسلط على أرواح الناس والعنف والقهر ... قيماً عليا يجب أن تحل بدلاً من قيم الإسلام التى تحافظ على النفس والعرض والمال والدين والعقل وتحقق أمن الإنسان الفرد والأسرة والجماعة الصغيرة والمجتمع الكبير.

بدأ الحركة عبد الله بن ميمون القداح الفارسى الأصل والمجوسى الديانة سنة ٢٦٠هـ والذى راح ينشر الأفكار الإسماعيلية الباطنية، ثم اتخذ له داعية فى شمال العراق يسمى الفرج بن عثمان المشهور بذكروية.

ثم تولى أمر الحركة فى الكوفة سنة ٢٧٨ حمدان قرمط بن الأشعث. والذى اشتهرت الحركة بالانتماء إليه لقيامه بنشاط واسع لنشرها. يقول الفخر الرازى عنه : كان رجلاً متوارياً صار إليه أحد دعاة الباطنية، ودعاه إلى معتقدهم فقبل الدعوة، ثم صار يدعو الناس إليها وضل بسببه خلق كثير.[٢]

وداعى الباطنية الذى صار إلى حمدان هو الحسين الأهوازى الذى خرج من الأهواز إلى العراق، والتقى بحمدان قرمط ودار بينهما حوار، فهم منه حمدان أن الرجل داعية يعمل بأمر الله، وأنه يريد قرية ما، وأنه دفع إليه جراب فيه علم وسر من أسرار الله، وأنه مأمور بأن يشفى ويغنى ويستنقذ أهل هذه القرية.

ولما طمع حمدان أن يعطيه الأهوازى من علمه، أخذ عليه العهود والمواثيق، ثم نزلا بمنزل حمدان، وجاء إلى المنزل كل من علم بشأن الأهوازى ليتبرك به وليحوز على رضاه.

(١) د. مطفى غالب - القرامطة بين المد والجزر ص ٦ دار الأندلس ١٩٨٣ .
(٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٧٩ .

ولما قويت ثقة الناس به ووثق هو فى حمدان أظهر أمره وكان مما دعا إليه أنه جاء بكتاب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : يقول الفرج بن عثمان : أنه داعية المسيح، وهو عيسى ، وهو الكلمة، وهو المهدى، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية، وهو جبريل وأن المسيح تصور له فى جسم إنسان ، وقال أنك الداعية وأنك الحجة، وأنك الناقة، وأنك الدابة، وأنك يحيى بن زكريا، وأنك روح القدس، وعرفه أن الصلاة أربع ركعات ركعتان قبل طلوع الشمس، وركعتان قبل غروبها . . .» [1]

ولما حضرت الوفاة أبا الحسين الأهوازى استخلف على الدعوة حمدان قرمط الذى قام بدوره بنشاط واسع لنشرها. [2]

ومن رجال القرامطة النشيطين الحسن بن بهرام والمكنى بأبى سعيد الجنابى الذى نشر الدعوة فى البحرين ،ثم ابنه سليمان بن الحسن بن بهرام المكنى بأبى طاهر [3]، والذى استولى على جزء كبير من الجزيرة العربية، ويعتبر هو المؤسس الحقيقى للدولة القرمطية وواضع أنظمتها وناشر تعاليمها.

ومن أسوأ وأخطر ما قام به - والذى يؤكد أن حركة القرامطة حركة ملحدة تعمل ضد الإسلام، وليس لها أى صلة بآل البيت - هجومه الوحشى على الحجيج بمكة المكرمة سنة ٣١٧ وقتله للكثير منهم، وتركه للباقى يتضورون جوعاً وعطشاً تحت الشمس المحرقة، وهدمه لبئر زمزم، ونزعة لكسوة الكعبة وخلعه لبابها، واقتلاعه للحجر الأسود والذى ظل بحوزة القرامطة أكثر من عشرين عاماً وثم ارجاعه سنة ٣٣٩هـ.

---

(١) د. سهيل زكار - أخبار القرامطة ص ٣٢٧ نقلاً عن اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا لتقى الدين أحمد بن على المقريزى.

(٢) نفس المرجع والمكان.

(٣) كان أبو طاهر هذا دموى الطبع عنيفاً فى تصرفاته فبعد وفاة أبيه تولى أخوه الزعامة فى البحرين إلا أن أبا طاهر تخلص منه بسرعة وتسلم القيادة ليحمل السلاح فى جنبات كثيرة. راجع القرامطة من ص ٤٠٢ إلى ص ٤١٣ .

يقول ابن كثير : فما شعروا - أى الحجيج - إلا بالقرمطى قد خرج عليهم فى جماعته يوم التروية، فانتهب أموالهم واستباح قتالهم، فقتل فى رحاب مكة وشعابها، وفى المسجد الحرام، وفى جوف الكعبة من الحجيج خلقًا كثيراً وهدم قبة زمزم وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها ... ثم قلع الحجر الأسود وأخذوه حين راحوا معهم إلى بلادهم، فمكث عندهم ثنتين وعشرين سنة حتى ردوه». (١)

ومما يذكر أن القرامطة لم يردوا الحجر الأسود إلى مكانه إلا حينما كتب عبيد الله الفاطمى - مؤسس الدولة الفاطمية فى تونس - كتاباً إلى أبى طاهر القرّمطى ينكر عليه ما فعله، ويصف فعلته بأنها نقطة سوداء فى تاريخ الإسماعيلية، ويطالبه برده ورد الأموال التى انتهبها من الحجيج ويهدده يقول ثابت بن سنان بن قره المتوفى سنة ٣٦٥هـ : فلما بلغ ذلك المهدى أبا محمد عبيد الله العلوى الفاطمى بإفريقية كتب إليه ينكر عليه فعله وقال له : سجلت علينا فى التاريخ نقطة سوداء ... ويقول له قد حققت على دولتنا وشيعتنا ودعاتنا اسم الكفر والزندقة والإلحاد بفعالك الشنيعة هذه. وألا ترد على أهل مكة والحجاج ما انتهبته منهم، وترد الحجر إلى موضعه وترد كسوة الكعبة كما كانت ، وإلا أتيت إليك بجنود لا قبل لك بها...»

فرد الحجر إلى مكانه ... وقال أن الناس اقتسموا كسوة الكعبة وأموال الحجاج ولا أقدر على ردها منهم. (٢)

• الصلة بين الإسماعيلية الفاطمية والقرامطة :

ثابت بن سنان بن قرة كاتب النص السابق مباشرة معاصر للأحداث، ومعايش للإسماعيلين والقرامطة، إذ أنه توفى ٣٦٥هـ، وهو مؤرخ ثقة.

---

(١) البداية والنهاية ١١ / ١٦٠ .

(٢) اخبار القرامطة ص ٥٣ نقلا عن تاريخ أخبار القرامطة لثابت بن سنان .

ومعروف فى المنهج التاريخى أن الوثائق الأصلية هى التى كتبها من عاصروا الحدث بأنفسهم، وأملوها على غيرهم. وأنها هامة، لأنها تمكن الباحث من الاسترداد الذهنى للحدث الماضى موضوع الوثيقة.

ولما كان نص ثابت أصلياً، فإننا نستنتج منه أن هناك علاقة وثيقة بين أبى عبيد المهدى مؤسس الدولة الفاطمية وبين القرامطة ففى النص : «سجلت علينا فى التاريخ نقطة سوداء»، وفيه : «حققت على دولتنا وشيعتنا ودعاتنا اسم الكفر والزندقة». وفيه استجابة القرمطى بارجاع الحجر الأسود والاعتذار عن عدم ارجاع الكسوة والأموال لتوزيعها بين الناس.

وهذامعناه أن الحركة الأم أو المركزية هى الإسماعيلية الفاطمية قد لحقها من الحركة الفرعية القرامطة العار ووسمت بالكفر والزندقة، ولا يتم هذا إلا مع وجود الصلة الوثيقة، فالرجل يلحقه العار، لأن ابنه فعل كذا أما إذا فعل الغريب عنه فأى عار يلحقه.

ويؤكد الصلة بين الدولة الفاطمية والحركة القرمطية النص التالى : «وفى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة تقوى القرامطة، وعزموا أن يعودوا لمحاربة المعز الفاطمى صاحب مصر وإفريقية، فتجمعت جموعهم وساروا من الاحساء ... فلما سمع المعز لدين الله قصد القرامطة قبل وصولهم إلى مصر كتب إليهم كتاباً يذكر فيه فضل نفسه وأهل بيته وأن دعوة القرامطة كانت له وآبائه من قبله وتوعدهم وهددهم وسير الكتاب إليهم »[1].

أى أن دعوة القرامطة هى دعوة إسماعيلية أيضاً دعا إليها المعز الفاطمى، كما كان عليها الآباء من قبل.

لقد كان لدولة القرامطة والناشئة فى المشرق العربى ولاء للدولة الناشئة فى

(١) أخبار القرامطة ص ٦١ نقلاً عن تاريخ أخبار القرامطة لثابت بن سنان.

المغرب العربى والمسماة بالدولة الفاطمية ويجمعهما معاً الانتماء للإسماعيلية الباطنية، إلا أن العلاقة بينهما دخلت فى منعطفات خطرة بعد وفاة سليمان بن الحسن بن بهرام حيث تولى أمر القرامطة من بعده الحسن الأعصم وكانت له جولات وصولات، انتهت إلى استيلائه على دمشق والرملة سنة ٣٦٠هـ وأغرته انتصاراته فى التفكير فى الإغارة على مصر ومحاولة الاستيلاء عليها.

وفعلاً جهز جيوشه وتوجه إلى مصر إلا أنه ومن معه من القرامطة ووجهوا بجيش فاطمى عرمرم، بقيادة جوهر الصقلى، الذى لقنهم درساً قاسياً، واضطرهم إلى الرحيل إلى الشام، ثم تابعهم هناك حيث أجلاهم عن بعض القرى والمدن، واضطرهم بعد ذلك إلى الانكماش داخل الاحساء بالجزيرة العربية.

ويؤكد الصلة الوثيقة بين الفاطميين والقرامطة وبخاصة فى العقائد تلك الرسالة المرسلة من عبيد الله المهدى إلى سليمان بن الحسن بن بهرام وهى تؤكد أيضاً تابعية القرامطة للإسماعيلية الفاطمية حيث يوصى عبيد الله الفاطمى سليمان بن الحسن القرمطى قائلاً له : ادع الناس بأن تتقرب إليهم بما يميلون إليه، وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم، فمن أنست منه رشداً فاكشف له الغطاء... » وذكر فى هذه الرسالة أيضاً إبطال القول بالمعاد والعقاب. وذكر فيها أن الجنة نعيم الدنيا وأن العذاب إنما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد. وقال أن أهل الشرائع يعبدون إلهاً لايعرفونه وقال فيها اكرم الدهرية فإنهم منا ونحن معهم» (١)

ولعلنا نلمس عقائد باطنية مشتركة بين الإسماعيلية الفاطمية والقرامطة وهم يشتركون أيضاً فى تأويلات منها أن الصيام هو الامساك عن كشف

---

(١) عبد القاهر بن طاهر البغدادى، الفرق بين الفرق ص ٢٧٨ .

الأسرار، وأن البعث هو الاهتداء إلى مذهبهم، وأن القرآن عبارة عن معارف فاضت على محمد وهو يعبر عنها بلفظه وهم يقولون بالهين قديمين لا أول لوجودهما أحدهما علة الثاني.

ويسمى الأول السابق والثانى بالتالى، وقد خلق الأول العالم بمساعدة التالى. والنبى عندهم شخص فاضت علية قوة قدسية من السابق وُجبريل هو العقل الفائض.

ويرى القرامطة أن العنف هو أنسب وسيلة لتحقيق الأهداف، وأن الثروات والنساء يجب أن تكون مشاعة بين الجميع.

● **أصل التسمية بالقرامطة:**

يقول المقريزى : قيل له قرمط لأنه كان قصيراً، ورجلاه قصيرتين وخطوه متقارباً.

وقيل نسبة لرجل أحمر العينين، يحمل على ثور أحمر العينين يسمى كرميته، وكان هذا الرجل يسكن بجوار حمدان بن الأشعث فاشتهر حمدان فى دعوته بكرميته من باب تغليب اسم على اسم آخر، ثم حرف الاسم بعد ذلك إلى قرمط.

وفى الآرامية قرمط بمعنى المعلم السرى، ولماكان حمدان ينشر تعليمه بطريقة سرية سمى اتباعه بالقرامطة. [1]

وقيل أن حمدان كان أحمر الوجه فشبه بالقرميد أى الطوب الأحمر.

وقيل أن قرمط أخذت من أقرمط أى غضب وعبس أو اللفظ النبطى قرمطونا ،ومعناها المدلس أو الخبيث، أو المحتال. [2]

---

(١) اخبار القرامطة ص ٣٢٦ نقلاً عن اتعاظ الحنفا.

(٢) راجع الحركات الباطنية فى الإسلام ص ١٣٣، مصطفى غالب.

والتفسيرات كلها يرفضها د. مصطفى غالب، ويعتبرها من باب الأساطير والخرافات، وبالمناسبة فإن الدكتور غالب يعتبر حركة القرامطة من الحركات الثورية التى قامت لتغيير الواقع إلى الأفضل. وكتابه (القرامطة بين المد والجزر) والذى يلجأ فيه إلى الأسلوب القصصى، يؤكد من أوله إلى آخره هذا المفهوم ويظهر فيه قادة القرامطة وكأنهم مصلحون دينيون واجتماعيون. وبخاصة الأهوازى وحمدان قرمط ... إلخ.

أما نحن فنرى أن حركة القرامطة أريد لها، أو أرادت هى أن تكون حركة انقلابية ضد القيم الإسلامية والمسلمين.

فالإسلام بعقائده وعباداته ومعاملاته وأخلاقه لا يعرف إلا النور ولا يتحرك إلا من أجل مصلحة الفرد والجماعة. والعبودية فيه لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى المتصف بكل كمال والمنزه عن أى نقص لا يحل سبحانه بأحد، وهو وحده المتصف بالأزلية والأبدية ﴿ليس كمثله شىء وهو السميع البصر﴾ خالق الكل من العدم، بيده مقادير كل شىء، وهو وحده القادر على إعادة الحياة إلى الموتى يوم القيامة ليمثلوا أمام ذاته العليه ﴿فمن يعمل مثال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ وأنبياؤه هم الصفوة،وخاتمهم محمد ﷺ زودهم الله جميعاً بكمال خلقى، وكمال خلقى،وحفظ ظواهرهم وبواطنهم.

وحملهم كلمته إلى الناس، ولكى يكونوا مصدقين، أيدهم بأمور خارقة للعادة خرقًا حقيقيًا لا سحراً أو شعوذه أو تخييلاً أو كذبًا.

وشعائر الإسلام كلها سهلة بسيطة تهدف إلى وصل الإنسان بربه،ووقايته من الشرور الجسمية والنفسية، وتطهير روحه من علائق المادة، والامساك والشح، وتحقيق التوازن بين المادة والروح ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾.

ومعاملات الإسلام تؤكد ذات الفرد والجماعة، وتحافظ على كرامتهما وتشبع فيهما جانبى الروح والمادة، بلا افراط أو تفريط، الكل له حقوقه والكل عليه واجباته..

ميزان التفاضل فى الإسلام هو تقوى الله ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ فبالتقوى تنتشر الفضائل وتختفى الرذائل، وفى ظلها يسعد الفرد والجماعة ويفوزان معاً بالدنيا والآخرة.

لاتطرف فى الإسلام ولا سرية فى تعاليمه فكتابه مفتوح للجميع.

ولجوء القرامطة للسرية والتطرف، يعنى أنها تسير ضد طبيعة الإنسان والفرد والجماعة، ضد القيم العليا التى يحرص على نشرها الإسلام.

يعنى أنها ضد العقائد والعبادات والمعاملات والاخلاق الإسلامية، وأنه لا يرضيها إلا عبادة الإنسان لأهرمن ويزدان وغيرهما من الوثنيات.

هل من تغيير الواقع إلى الأفضل قتل الحجيج، وسرقة أموالهم وارتكاب كل منكر فى بيت الله الحرام، وفى الكعبة المشرفة؟!!

هل من تغيير الواقع ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ولا ذنب للمظلوم فى الظلم الواقع عليه إلا أنه يقول ربى الله الواحد الأحد ؟!!

لقد عاث القرامطة فى الماضى البعيد فى الأرض فسادا، وأحرقوا الأخضر واليابس، وتركوا أذيالاً لهم يعبثون فى حاضر الأمة ومستقبلها، ويقتلون المسلمين فى البوسنة والهرسك وكشمير وأذربيجان والشيشان والفلبين وفلسطين ولبنان و ... و ... ومن الغريب ونحن نعيش فى أواخر القرن العشرين ، ونسمع أصواتًا تتحدث عن إنسانية وكرامة الإنسان وحرية الإنسان فى الاختيار والحفاظ على معتقده.

أن نرى تلك الأصوات نفسها، والمتمثلة فى أمريكا وبريطانيا وفرنسا . هى نفسها التى تساعد القاتل والمغتصب والمنتهك للعرض، ومعها دولة حقيرة كانت ذات يوم من الدول العظمى وهى روسيا،لا أريد أن استمر .

ولكنى أختم الحديث عن القرامطة، بأن اقبل كل التفسيرات السابقة . فكل تفسير يشير إلى جانب مما عليه حمدان قرمط .

فهو فى مظهره العام قصير الجسم والقامة، متقارب الخطوات فى مشيته، أحمر الوجه يميل فى طبيعته إلى الغضب والعبوس.

يقول ابن منظور : قرمط القرمطيط، المتقارب الخطو، وقرمط فى خطوه إذا قارب ما بين قدميه ... واقرمط الرجل أقرماطاً إذا غضب وتقبض . [١]

وهو يقوم بنشر تعاليمه السرية التى تهدف إلى الحط من شأن الإسلام ومتبعية ونشر الأفكار الوثنية، وهو لا يستطيع أن يحقق ما يريد إلا بالتدليس والمكر والاحتيال واللجوء للتأويل والرموز.

لقد تفانى حمدان فى نشر الحركة القرمطية وأقل شيء أن تنسب إليه.

كما يتفانى ويتفنن الآن الاستعمار الغربى والشرقى فى تشويه الهوية الإسلامية ومحاولة القضاء على الإسلام والمسلمين لابساً قناعاً يسميه الحرية - الديمقراطية - العدالة والأخوة الاجتماعية للبشر والمحبة والأمن للشعوب وهو أبعد البشر عن هذه المفاهيم.

---

(١) لسان العرب ج٥ ق ر م ط.

رابعاً : الدروز

من الطوائف التى انفصلت عن الحركة الإسماعيلية الباطنية طائفة الدروز، وقد سميت بذلك نسبة لأحد مؤسسيها وهو محمد بن إسماعيل الدرزى الفارسى الأصل، والذى كان أحد موالى الحاكم بأمر الله فى مصر.

قدم الدرزى إلى مصر سنة ٤٠٧ هـ، والتحق بخدمة الحاكم، ولاحظ ميله لتأليه نفسه، فساعده على ذلك : وجاهر فى القول بالحلول والتناسخ وصنف كتاباً ذكر فيه أن الإله حل فى على، وأن روح على تنقلت فى أولاده إلى أن وصلت إلى الحاكم» (١).

وقيل الدروز واحدها درزى بفتح الدال والراء وكسر الزاى، نسبة إلى طيروز أحدى بلاد فارس، وقد حرف اللفظ مع الزمن ويميل إلى هذا القول : البستانى، ويستبعد النسبة إلى محمد بن إسماعيل الدرزى حيث يقول : «ويسمون دروزاً والواحد منهم درزى قيل إنها فى الأصل نسبة إلى طيروز من العجم، فوقع تحريف. وأما القول أنه نسبة إلى محمد بن إسماعيل الدرزى فالراجح عدم صحته» (٢).

ولانرى مبرراً لهذا الترجيح، إذ من المعروف فى كتب التاريخ أن الدرزى عمل فى بلاط الحاكم وتقرب إليه، وساعده فى نشر نزعته التأليهية، كماساعده على ذلك أيضاً حمزة بن على الزوزنى «الملقب بالإمام والذى بدأ يبشر بالمذهب الدرزى سنة ٤٠٨ هـ وبها يبدأ التقويم الدرزى المسمى بتقويم حمزة. ويذكر المؤرخون مؤسساً ثالثاً هو الحسن الفرغانى المعروف بالأخرم أو الاجدع. (٣)

---

(١) خير الدين الزركلى، الإعلام ٦ / ٣٥ وسبق القول بأن الإسماعيلية الفاطمية تنسب إلى عبيد الله المهدى الجد الأكبر للحاكم بأمر الله ولا توجد صلة نسب بينه وبين على بن أبى طالب رضى الله عنه وآل بيته.

(٢) بطرس البستانى، دائرة المعارف ٧ / ٦٧١.

(٣) د. عبد المنعم الحفنى الموسوعة الفلسفية ص ١٧٩.

تحمس الدرزى لفكرة تأليه الحاكم ، وراح ينشرها فى كل مكان، وحلا له أن يقرأ كتاباً فيه الحلول والتأليه فى الجامع الأزهر، مما دفع بالمصلين للثورة عليه ومحاولة قتله، وحدث بسبب هذا الموقف شغب فى القاهرة ومقتلة كبيرة.

ولما علم الحاكم بأمر الله بما حدث، أمر الدرزى بالذهاب إلى بلاد الشام، والتخفى فيها، والعمل على نشر الدعوة هناك، وزوده بالمال وبما يحتاج إليه فى سفره ودعوته.

وقد نزل فى منطقة تسمى وادى التيم بين دمشق وبانياس. ونشط فى دعوته هناك، والتف حوله عدد من الناس.

● **حمزة وتطور الدعوة**

ثم حدث خلاف بينه وبين حمزة الزوزنى، انتهى بموت الدرزى سنة ٤١٠هـ مقتولاً ، وسبب الخلاف تنافسهما على تصدرالدعوة وحرص كل واحد على الرياسة، وتسرع الدرزى فى إعلان الوهية الحاكم. فقد كان الزوزنى يحرص على التمهيد لهذا الأمر والإعداد له بطريقة ذكية، حتى لا يفاجأ الناس به وهذا ماحدث فعلاً ، وأدى إلى مقتل الأخرم أحد المؤسسين وهروب الدرزى : «وبوفاة الأخرم ورحيل الدرزى آل أمر الدعوة إلى حمزة فلقب نفسه بهادى المستجيبين وقائم الزمان، وقال بالتوحيد، وأن الله يظهر من آن لآخر فى صورة انسية وأنه قد ظهر فى صورة الحاكم بأمر الله، وأن الحاكم بشر فى العين المجردة، ويعيش كالبشر عند الذين لا يعرفون، لكنه فى الواقع الإله المعبود اتخذ لنفسه صورة انسية أطلق الناس عليها اسم الحاكم ... وأنه يفعل ذلك، لأن الناس تعجز عن إدراكه فى صورته التوحيدية. كما أوجبت الحكمة أن يخلق الله العقل، وهو ارادة الله، وهو الإمام الأعظم حمزة بن على »[1]

---

(١) الموسوعة الفلسفية ص ١٨٠ .

وهكذا تبنى الزوزنى الفكرة التأليهية للحاكم، وأن الحاكم إله ظهر فى صورة بشرية حتى يعرفه البشر، وأنه فعل ذلك قرابة العشر مرات، وأن الحاكم اختاره ليكون رسولاً له. وراح الرسول يبطل فرائض الدين ويلجأ إلى التأويل.

ولما مات الحاكم لم يعترف الزوزنى بموته،وإنما كتب رسالة وعلقها على أبواب المساجد فيها يدعى أن الحاكم لم يمت وإنما اختفى وأنه إله، والإله لا يموت وأنه سيعود يومًا، وظل واتباعه يدعون الوهية الحاكم إلى أن ثار عليهم المصريون وطردوهم من مصر «فنزل بعضهم فى الجبل الأعلى من الديار الحلبية، وبعضهم فى جهة حوران، ثم تفرقوا من هناك فذهب فريق إلى جبل الشوف،وآخر إلى وادى التيم ولم يزالوا فى نمو وازدياد. [١]

وللزوزنى أسماء كثيرة تطلقها عليه بعض الكتب الدينية للدروز منها : السابق الحقيقى - والعقل الكلى - وقائم الزمان - وعلة العلل - والإمام - والآية الكبرى - وآية الحقيقة - وآدم الصفا ... إلخ.

وله رسائل عدة منها الدامغة فى الرد على الفاسق النصيرى - والتنزيه - وسبب الأسباب - وميثاق ولى الزمان - والصيحة الكائنة - وتقليد المقتنى - وشروط الإمام صاحب الكشف - والتحذير والتنبيه - والبلاغ والنهاية. وهى رسائل ما تزال مخطوطه . [٢]

ولدعاة الدرزية رتب أولها الإمام والثانية الحجة والثالثة الداعى : وللداعى أقسام هى داعى الدعاة والداعى والمأذون والمكاسر . [٣]

---

(١) الإعلام للزركى ٢ / ٢٧٩ هامش.
(٢) راجع الإعلام للزركى ٢ / ٢٧٩ .
(٣) نفسه ص ٢٧٩ هامش.

الجهال والعقال

• وينقسم أتباع الدرزية إلى قسمين :

الجـهـال وهـم عـامـة الناس. وهـم الذين يجـهلون الأمـور الدينيـة ولا يراعـون الآداب العامة فى المأكل والمشرب ،ويأخذون من زينة الدنيا وزخرفها .

ولا يقبـل انتساب واحد منهم إلى القسم الثانى، إلا بعد أن يقرر شيخ العقل فى المكان الذى فيـه طالب الانتساب أنه أصبح مستحقًا للانضمام وهو بعد هذا يرتقى من درجة إلى أخرى أعلاها أن يقرأ كتاباً من كتب الدروز الهامة .

أما القسم الثانى فـهم العقـال أو الأجاويـد ، أى الذين يعرفـون الأمور الدينيـة معرفة صحيحة ، ولهم درجات بحسب التقوى والمعرفة والإدراك .

وهم يتـصـفـون فى الغـالب بـالرزانة والعـفـة والتـأنى فى القـول والعـمل . ويبتعدون عن المسكرات والتدخين.

أما لباسهم فهو العمامة البيضاء والعباءات الكحلية وهم يطلقون لحاهم . إلا أنه يجوز للواحد من العقال ألا يتقيـد بهذا المظهر إذا هو شغل منصباً يتطلب لباساً آخر وعدم إطلاق اللحية .

ويلجأون فى مأكلهم ومشربهم إلى البساطة .

وللعقال رئيسان دينيان هما المرجع فى الأمور الدرزية . وهم يجتمعون فى خلواتهم كل يوم جمعة لقراءة أحد الكتب الدينية .

و تلبس المرأة من العاقلات النقاب ولاتظهر إلاعينًا واحدة ترى بها الناس والطريق كما تلبس ثوبًا فضفاضاً اسمه صابه يغطى كل جسدها ولا يظهر محاسنه [1] .

(١) راجع دائرة المعارف للبستانى ٧ / ٦٧٢

والدروز يحتفظون بسرية عقائدهم الدينية حتى مع الذين من طائفتهم من القسم الأول أى الجهال .

وهم فى لبنان «ينقسمون إلى امراء ومشايخ وعامة فالأمراء هم آل رسلان ، وأشهر المشايخ هم آل جنبلاط وعماد ونكد وعبد الملك وتلحوق ، ... ولهم رؤساء دينيون أولون فى كل مكان ، فلهم فى لبنان رئيساً عقل أولان أحدهما جنبلاطى والآخر يزبكى يقيمان فى الشوف . [١]

والدروز يتواجدون بنسب تختلف من مكان إلى آخر فى سوريا ولبنان وفلسطين والمغرب .

• معتقداتهم :

ومن أهم وأخطر عقائد وأفكار الدروز القول بالوهية الحاكم بأمر الله الفاطمى (أبى على المنصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله بن المنصور بالله ابن القائم بأمر الله محمد بن المهدى عبيد الله الفاطمى المؤسس للدولة الفاطمية) المولود سنة ٣٧٥هـ والمتوفى سنة ٤١١هـ عن عمر لم يتجاوز السادسة والثلاثين ، تولى الحكم وهو صغير لم يتجاوز الحادية عشرة ، وظل فى الحكم قرابة الخمسة والعشرين عاماً من سنة ٣٨٦هـ إلى سنة ٤١١هـ وقد كان كثير التلون فى أفعاله وأحكامه وأقواله ، جائرا ، وكان يروم أن يدعى الإلوهية كما ادعاها فرعون ... وكان قد أمر أهل مصر على الخصوص إذا قاموا عند ذكره خروا سجد له ، حتى أنه ليسجد بسجودهم من فى الأسواق من الرعاع وغيرهم . [٢]

والاعتقاد بأن حمزة الزوزنى المتوفى سنة ٤٣٠هـ والذى أعلن ألوهية الحاكم ، ودعاً إلى هذه الألوهية هو المسيح .

---

(١) نفس الدائرة ٧ / ٦٧٣ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ١٢ / ٩ ، ويقال أنه استبدل البسملة بالقول باسم الله الحاكم المحيى المميت وأنه ادعى العلم بالأمور الغيبية .

وهم يعتقدون بحلول الإله فى جسد إنسانى حتى يكون ظاهراً لمعبوديه وبالتالى لا يعبدون عدماً كما هو حال غيرهم، وقد تجلى حلول الإله فى الحاكم بأمر الله.

يقول الشيخ أبو زهرة : ولقد غالى بعضهم فى معنى الاشراق الإلهى حتى أخذ بنظرية حلول الإله فى نفس الإمام ودعا إلى عبادته ... وأنه كان على رأس هؤلاء الغلاة الحاكم بأمر الله الفاطمى الذى ادعى أن الإله قد حل فيه ودعا إلى عبادته. [1]

والدروز ينكرون الأنبياء ويتهمونهم بالجهل، لأنهم فى رأيهم يدعون الناس إلى العبودية لإله معدوم لا يرى.

كما ينكرون الأديان والمذاهب والمعتقدات الأخرى التى تخالف معتقداتهم.

وهم يقولون بقدم العالم وتناسخ الأرواح ويسمون التناسخ بالتقمص، لأن الأرواح تتقمص الأجساد أى تتخذها كالقميص لها، وبموت الإنسان تنتقل روحه إلى جسد ثان وثالث وهكذا.

والروح الخيرة تتقمص جسد إنسان لترتفع درجةفوق الدرجة التى كانت عليها قبل ذلك وبالموت تنتقل إلى جسد ثان وثالث وهكذا فى كل جسد ترتفع درجة إلى أن تصل إلى درجة الإمام. وهذا هو معنى الثواب.

أما الروح الشريرة فتسير بطريقة عكسية حيث توالى الهبوط مع كل جسد تتقمصه إلا أنها لاتخرج عن الجسد البشرى وهذا هوالعذاب.

وإذ يقدسون حمزة بن على الزوزنى ،ويصفونه بما وصف نفسه به فى رسالة

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٥٧ .

التحذير والتنبيه بأنه أصل المبدعات وناسخ الشرائع ومهلك العالمين والنار الموقدة التى تطلع على الأفئدة وأنه صاحب املاء القرآن على محمد ﷺ ، فأنهم يقولون أيضاً أن حمزة يظهر فى كل عصر فى قالب خاص فهو فى زمن فيثاغررث ،وفى زمن سليمان بن داود ، وفى زمن المسيح الحق ، وفى زمن سلمان الفارسى ... إلخ.

والجنة عندهم معرفة الدعوة الدرزية والدخول فيها والتمسك بعقائدها ، والجحيم هو إنكار ذلك.

وهم يحرصون على كتمان عقائدهم وجعلها سرية ، ويستخدمون فى التعبير عنها الرموز حتى لا يفهمها العامة من الناس وتكون قاصرة على طبقة العقال وبخاصة المشايخ الكبار.

ويتشددون كثيراً فى دخول أحد فى معتقدهم ،ولا يسمحون لدرزى أن يخرج عن معتقدهم.

والشهادتان عندهم معناهما عبادة الحاكم. والصلاة تعنى وصل قلوب الدروز بالحاكم .أما الصوم فيعنى صيانة قلوبهم بتوحيد الحاكم. ولهم صيام فى العشرة الأواخر من ذى الحجة وهو صوم عن الرفث ، لا الأكل والشرب.

والزكاة والحج فى صورتهما المعترف بها عند المسلمين لايعترفون بهما وإنما معنى الزكاة عبادة الحاكم لتزكية قلوبهم ، ومعنى الحج توحيد الحاكم.

وهم لايعترفون بالحديث الشريف ،ومع اعترافهم بالقرآن الكريم ، والادعاء بأنه مصدر التشريع عندهم ،إلا أن متابعة عقائدهم من خلال كتبهم تشكك فى اعترافهم . ويؤكد هذا التشكيك لجوؤهم فى كل أمورهم إلى كتاب وضعوه بأنفسهم ويسمونه المصحف المنفرد بذاته.

ولا يسمح الدروز بالتزوج من غيرهم ، كما لا يسمحون أن يتزوج غيرهم منهم.

ويمنعون تعدد الزوجات ، وإذا طلق الرجل امرأته ولو طلقة واحدة بانت منه ولاتعود إليه ثانية مهما كان السبب .

ولتأكيد بعض عقائد الدروز وإيضاحها نتوقف قليلاً مع الميثاق الذى وضعه حمزة بن على الزوزنى ، وهو يؤخذ على كل من ينتمى للدعوة الدرزية حتى أيامنا هذه .

• ويتضح من متابعته ما يلى :

١ - الاقرار بأن الحاكم بأمر الله الفاطمى إله فرد صمد منزه عن الوالدة والزوجة والولد ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، هو الإله فى السموات والأرض ، وهو المعبود وليس غيره إله .

٢ - يقر من ينتمى للدروز وهو بكامل عقله وبحرية مطلقة فى الظاهر والباطن ،أنه يبرأ من كل الأديان والمذاهب والمعتقدات فى الماضى والحاضر والمستقبل . ، ويخلص فقط فى عبادة الحاكم بأمر الله ولا يشرك معه أحداً .

٣ - الاقرار بتسليم كل ما يملك من الروح والجسد والمال والولد فى كل عصر ومصر للحاكم بأمر الله .

٤ - إعلان الرضا الكامل دون أى اعتراض لحكم الحاكم سواء أكان خيراً أو شراً حلواً أو مراً .

٥ - يحرم من جميع الحدود [1] ، ويبرأ منه الحاكم والمؤمنون جميعاً فى كل دور من أدوار تقمص روحه ، ويستحق العقوبة بالطرد من رحمة الحاكم كل من يرجع عن الدعوة الدرزية .

---

(١) والحدود فى الدرزية خمسة :

١ - حمزة بن على ويكنون عنه بالعقل . ٢ - إسماعيل بن محمد ويكنون عنه بالنفس .

٣ - محمد بن وهب ويكنون عنه بالكلمة . ٤ - سلامة بن عبد الوهاب ويكنون عنه بالسابق .

٥ - على بن أحمد السموقى ويكنون عنه بالتالى .وهم جميعاً معصومون .

يلى هؤلاء ثلاثة يلقبون بحملة العرش والعرش الذى يعنونه تعليم التوحيد وهم :

الجد أيوب بن على .

والفتح رفاعة بن عبد الوارث .

والخيال محسن بن على . الإعلام ٢ / ٢٧٩ هامش .

• **واليك نص الميثاق :**

ويبدأ هكذا ... «هذا هو الميثاق والعهد الذى أمر مولانا الحاكم جل ذكره بكتابته على جميع الموحدين الذين آمنوا به جل ذكره ...

توكلت على مولانا الحاكم الأحد ، الفرد الصمد ، المنزه عن الأزواج والعدد ، من لأتاخذه سنة ولانوم ، ذى التجلى والإشراق ، ومن هو فى السماء إله وفى الأرض إله ، قد أقر (فلان بن فلان) إقراراً أوجبه على نفسه ، وأشهد به على روحه فى جميع أدواره ، فى صحة من عقله وجسمه ، وخالص أمره ، طائعاً غير مكره ، ولا مجبر ، بظاهره وبباطنه ، ومؤمناً غير منافق أو مخاتن . أنه قد تبرأ من جميع الديانات والمذاهب والمقالات والاعتقادات جميعها ، بتباينها واختلافاتها ،وأنه لا يشرك فى عبادة مولانا الحاكم جل ذكره ،وأحداً ماضياً أو حاضراً أو آتيا . وأنه قد سلم روحه وجسمه وماله وولده وجميع ما ملكته يداه فى جميع أدواره . ماكر الجديدان ومر الملوان ، وماكور الليل على النهار وكور النهار على الليل . هو وذريته ، فى شتى أدوارهم ومحياهم لمولانا الحاكم جل ذكره ، ورضى بجميع أحكامه له وعليه ، غير معترض أو منكر شيئًا من أفعاله ، ساءه ذلك أم سره .

ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم جل ذكره ، وهو ما كتبه على نفسه ، وأشهدنا به على روحه ، أو أشار بالرجوع عنه إلى غيره ، أو خالف شيئًا من أوامره ، كان (فلان بن فلان) محروماً من جميع الحدود ، كان مولانا الحاكم جل ذكره بريئًا منه . والمؤمنون الموحدون فى جميع أدوارهم واستحق العقوبة من البارى العلى جل ذكره ، بأيدى المؤمنين .

وأن (فلاناً بن فلان هو قد أقر أن ليس له فى السماء إله معبود ، ولا فى الأرض إمام موجود ، إلا مولانا الحاكم جل ذكره ، وتعالت مطالعه ومشارقه) .

وبذلك دخل (فلان بن فلان) وأصبح من الموحدين المؤمنين الفائزين... إلخ.

• **وقفة قصيرة:**

ولا شك أن كل معتقدات الدروز تتنافى كلية مع العقيدة الإسلامية، التي تدعو صراحة إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى وتفرده بالوحدانية، واتصافه بكل كمال، وتنزهه عن أي نقص.

وتقول صراحة بأنه عز وجل لا يحل بأحد، ولايتحد بأحد وأنه سبحانه خالق الكل، والمتصرف في الكل، والمعبود الحق دون ما سواه.

وأن كل ما سواه سبحانه مخلوق هالك لا يملك من أمر نفسه شيئا.

والمؤمنون الحقيقيون يتحركون دوماً في دائرة الإحسان، فهم في عبادتهم للخالق سبحانه يحسبون أنهم يروه حقيقة ماثلة في الآفاق، وفي الأرض، وفي الأنفس، وفي السموات وفي البحار والمحيطات والجبال والوديان، نظام الكون يهتف من خلال كل ذرة هنا الله، ومن خلال كل نبته هنا الله، من خلال الصغير والكبير، والعظيم والحقير يصدر هتاف واحد لا إله إلا الله.

هم لا يعبدون معدوماً كما يقول الدروز، وإنما يرونه من خلال آثاره في كل شيء يقول تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت ٥٣).

يرونه في كل ما يوجد على سطح الأرض وما في باطنها، نباتات. معادن. حيوانات. حشرات. فيروسات. أبعاد. أعماق. حرارة، برودة. ماء، نار. براكين. زلازل. ثقل.خفه، نور، ظلام. غلاف غازي، غلاف جوي، جاذبية. هواء مركب. نظام، اتقان، عناية، تدبير، قوانين معقدة.

يرونه بعيونهم في عيونهم، بعقولهم في عقولهم في كل حواسهم في كل

خلاياهم، وراء النظام المتقن والمحكم فى كل جزئية منهم، مع كل حركة وسكنة تصدر عنهم ، فى رواحهم وغدوهم، فى نومهم ويقظتهم. فى صحتهم ومرضهم، فى قوتهم وضعفهم. فى غناهم وفقرهم، فى طفولتهم وشبابهم وكهولتهم، فى موت العزيز لديهم فى ... فى يقول ربنا : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ (٢٣) ﴾ (الذاريات ٢٠-٢٣)

وهم إذ يؤمنون بوجوده سبحانه يصفونه بكل ما يصف به نفسه من كمال، وينزهونه سبحانه عن أى نقص ، ويؤمنون بأنه وحده المستحق للخشوع والخضوع والطاعة والتسليم المطلق وأنه سبحانه اصطفى من بين خلقه من حملهم كلمته، وجعل خاتمهم محمداً ﷺ ، وزودهم بكمال خلقى وكمال فى أخلاقهم، وعصمهم وأيدهم بالمعجزات الناقضات لما تعوده الناس فى دنياهم، وأمرهم بالتبليغ وأوحى إليهم بكتب مقدسة، ختمها بالقرآن الكريم المحفوظ بحفظه سبحانه إلى أن تقوم الساعة.

وليس لأحد بعد ختم النبوة أن يدعى أنه نبى، أو حل فيه الإله، وإلا كان مكذباً لله ولرسوله الخاتم، رافضاً لدين الإسلام الذى هو دين الأنبياء جميعاً، بدءاً بآدم عليه السلام وختماً بمحمد ﷺ .

وأنه عز وجل جعل الدنيا للابتلاء والاختيار والامتحان وجعل الآخرة هى دار الجزاء وقتها يخرج الناس من قبورهم بأجسادهم وأرواحهم ليقفوا فى أرض المحشر ، لينال الخير جزاء ما قدم فى دنياه من ثواب، ولينال الشرير عقابه جزاء مافعلت يداه. يوم القيامة حق ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ (القيامة ١-٤)

ويقول تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ (الحج ٦-٧)

لا تناسخ إذا فخالق الإنسان لا يعجزه أن يعيده ثانية فى الدار الآخرة، وقد وعد بذلك ووعده حق : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٨ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴾ (النحل ٣٨-٣٩).

والكتمان للعقائد من أوضح الأدلة على فسادها، والسرية لا تعرف إلا الظلام، واللجوء للرمز لا يراد منه إلا التضليل والكذب والغش والخديعة.

والإسلام إذ يرفض الحركة فى الظلام، يكشف فى وضوح عقائده وعباداته ومعاملاته وأخلاقه، ويطالب الناس بالدخول فى دين الله الواحد الأحد الفرد الصمد.

خامساً: النصيرية

أتباع رجل يسمى محمد بن نصير النميرى توفى سنة ٢٧٠هـ عاصر الإمام الحادى عشر من الأئمة الاثنى عشرية الحسن العسكرى، وكان بابه حسب المعتقد الشيعى، وقد كان شيعياً متطرفًا ادعى أنه نبى.

والباب هو الممثل الوحيد للإمام، والوارث لعلمه والعارف بالتأويل والمرجع الأصيل للناس بعد الإمام الذى عنده علم الأولين والآخرين فهم إذاً طائفة منسلخة عن الشيعة الأثنى عشرية.

ولهذا آثرنا ألا نذكرهم إلا بعد الانتهاء من بعض الطوائف المنسلة عن الشيعة. الإسماعيلية الفاطمية.

والنصيرية منتشرون اليوم فى سواحل سوريا، الجزيرة، وأنطاكية، والإسكندرونة، وولايات تركيا الجنوبية، وأزمير، واستنبول، وبلغاريا، والبانيا السفلى، وبلاد اليونان، وأمريكا الجنوبية لاسيما البرازيل. (١)

وقد قال ابن نصير بربوبية الحسن العسكرى، كما قال بالتناسخ وبحلية المحارم. (٢)

والنصرية يقولون بألوهية على بن أبى طالب، ويفلسفون هذا القول أو يوجدون له المبرارات بالقول : بأنه لايستحيل عقلاً ظهور الروحانى فى الجسمانى، فقد ظهر جبريل فى صورة الصحابى الجليل دحية الكلبى، وفى صورة الأعرابى الآتى من سفر ، الذى راح يسأل الرسول عليه الصلاة والسلام عن الإيمان، والإسلام والإحسان والساعة وعلاماتها.

---

(١) د. مصطفى غالب، الحركات الباطنية فى الإسلام ص ٢٧٢ .

(٢) راجع فرق الشيعة للنوبختى ص ٩٥ .

وفى جانب الشر فإن الشيطان يتقمص الجسد الإنسانى ليعمل من خلاله الشر ويتكلم بلسان الإنسان.

وبالتالى لا يستحيل ظهور الله فى صورة البشر [1] ولما لم يكن بعد رسول الله ﷺ شخص أفضل من على رضى الله عنه، وبعده أولاده المخصوصون وهم خير البرية، فظهر الحق بصورتهم، ونطق بلسانهم، وأخذ بأيديهم، فمن هذا أطلقنا اسم الإلهية عليهم. [2]

يذكر ابن كثير أموراً تتصل بالنصيرية حدثت سنة ٧١٧هـ توضح ماهم عليه من القول بألوهية على بن أبى طالب رضى الله عنه، وتكفيرهم للمسلمين، ومحاولتهم السيطرة على العقول، وأمر بعض دعاتهم بتخريب المساجد وتحويلها إلى خمارات.

«فى هذه السنة خرجت النصيرية عن الطاعة، وكان من بينهم رجل سموه محمد بن الحسن المهدى القائم بأمر الله، وتاره يدعى على بن أبى طالب فاطر السموات والأرض - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - وتارة يدعى أنه محمد بن عبد الله صاحب البلاد، وخرج يكفر المسلمين، وأن النصيرية على الحق، واحتوى هذا الرجل على عقول كثير من كبار النصيرية الضلال ... وحملوا على مدينة جبلة فدخلوها وقتلوا خلقاً من أهلها، وخرجوا منها يقولون لا إله إلا على، ولا حجاب إلا محمد، ولا باب إلا سلمان، وسبوا الشيخين ... وأمر - محمد بن الحسن المهدى - أصحابه بخراب المساجد واتخاذها خمارات، وكانوا يقولون لمن أسروه من المسلمين قل لا إله إلا على، وأسجد لالهك المهدى الذى يحيى ويميت حتى يحقن دمك». [3]

---

(١) راجع شرح المواقف المجلد الثالث ص ٢٨٨ .

(٢) الشهرستانى، الملل والنحل ١ / ١٨٩ .

(٣) البداية والنهاية ١٤ / ٨٣ .

وفى محاولة لربطهم بالإسلام مع الاحتفاظ بهويتهم أو انتمائهم، بنى لهم الظاهر بيبرس ١٢٦٠-١٢٧٧ مساجد خاصة بهم، إلا أنهم هجروها ،وحولوها بعد فترة إلى اصطبلات للدواب وحظائر للماشية، وأراد السلطان عبد الحميد ١٨٧٦-١٩٠٩م أن يعطيهم بعض الاهتمام ويجذبهم إلى المساجد فبنى لهم مساجد خاصة بهم، لكنهم هجروها أيضاً ثم هدموها فيما بعد.

• أسماؤهم:

وللنصيرية اسماء عدة منها : النصيرية ، النميرية، العلويون، التختجية ، الحطابون ،البكتاشية ،العلى إلهيه.

أما الاسم الأول فلأن المؤسس كما سبق هو محمد بن نصير، أو لأنهم كانوا يسكنون جبالاً تسمى بهذا الاسم، وقد أطلق الأتراك العثمانيون اسم الجبال عليهم، لانعزالهم عن الناس وتعاليهم أو لأن هناك صلة بينهم وبين النصارى، فهم يحتفلون ببعض أعياد النصارى مثل : عيد الميلاد وعيد الفصح ،ويتسمون بأسمائهم، ويشاركونهم فى سرية بعض شعائرهم، كما يقولون بحلول اللاهوت فى الناسوت وقد حل الله تعالى فى على رضى الله عنه مثل ماحل فى عيسى ابن مريم عليه السلام. وهم يرمزون لعلى بالمعنى،ولمحمد بالاسم، ولسلمان الفارسى بالباب [1]، أى أنهم يقولون بالثالوث المقدس مثل النصارى.

أما النميرية فلأن محمد بن نصير ينتهى اسمه بالنميرى وأحب الأسماء إليهم هو العلويون[2]، لأنه يشعرالغير بانتمائهم لعلى بن أبى طالب ولآل البيت.

وهذا ما يريدون ادخاله على الناس وأيضاً لأن اسم العلويين يخلصهم مما لصق بهم من شائعات هم فعلوها ويفعلونها ومع هذا يريدون التخفى وراء الستار العلوى.

---

(١) راجع تاريخ الإسلام السياسى ٤ / ٢٦٥ .

(٢) العلويون اسم سماهم به الفرنسيون بعد الحرب العالمية الأولى واحتلالهم لسوريا.

• **بعض عقائد النصيرية :**

يقول الشيخ أبو زهره : كانت آراء هذه الطائفة مزيجاً من الآراء المغالية في الفرق المنسوبة للشيعة، والتي يتبرأ أكثرهم منها، فأخذوا من السبأية الكافرة المنقرضة الوهية علي وخلوده ورجعته،وعن الباطنية كون الشريعة لها ظاهر وباطن . [١]

وهم إذا يقولون بالوهية علي بن أبي طالب، وبحلول الله تعالى فيه، يقولون أيضاً بأن علياً كان موجوداً قبل خلق السموات والأرض .

ويقول ابن نصير بربوبية الحسن العسكري وأن الحسن بعثه نبياً .

و الألوهية عندهم مثلثة الأجزاء ع - م - س متحدة الحقيقة كما هي عند النصارى، فالنصارى يقولون بالآب والابن والروح القدس إله واحد . والنصيرية يقولون الألوهية معنى واسم وباب .. أما المعنى فهو علي بن أبي طالب وهو العلي القدير .

أما الاسم فهومحمد بن عبد الله وهو حجابها النوراني، وأما الباب فهو سلمان الفارسي الذي يوصل إلى الحجاب النوراني .

ومن الأسس التي ترتكز عليها العقائد النصيرية اعتقادهم العميق بأن الأئمة وحدودهم الدينية يعلمون الغيب، ولهم في ذلك كرامات ومعجزات . [٢]

وعقيدة القيامة عندهم قيام الإمام المحتجب ليحكم بين الآتباع والخصوم ويحقق السيادة للنصيرية على خصومهم، وعندها تعلن أسس الدين النصيري، **ويظهر كل خفي ومكتوم وهذه هي الرجعة الكبرى .**

والأرواح عندهم تتناسخ فبعد الموت تنتقل روح الميت إلى جسم بشرى، وهكذا يتتابع الانتقال .

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٥٨ . (٢) الحركات الباطنية في الإسلام ص ٢٨٩ .

كما تنتقل الأرواح البشرية أيضاً إلى أجسام نباتية أو معدنية أو أجسام حشرات أو حيوانات، وهي بعد الانتقال أن كانت خيرة تلاقي في الجسد الجديد السعادة. وإن كانت شريرة تلاقي فيه العذاب والشرور وكل ذلك في الدنيا.

وهم يخطؤن من يلعن عبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام علي رضي الله عنه، لأنهم يرون أن ابن ملجم فعل الخير حيث خلص اللاهوت من الناسوت. ويقولون: أن عبد الرحمن بن ملجم المرادي أفضل أهل الأرض وأكرمهم في الآخرة، لأنه خلص روح اللاهوت مما كان يتشبث فيه من ظلمة الجسد وكدره. (١)

وهم يلعنون أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ويعتقد البعض منهم أن علياً بعد أن تخلص من الجسم البشري بالقتل فإنه يسكن القمر، بينما يعتقد البعض الآخر أنه يسكن الشمس. ولهذا يعبدون الشمس والقمر.

وهم لايعترفون بالحج ويرون أنه عبادة للاصنام، ولا يعترفون بالزكاة التي فرضها الله تعالى على المسلمين ويتبدلونها بضرائب تدفع والصلوات الخمس تسمى باسماء علي والحسن والحسين ومحسن وفاطمة ولايشترط لتأديتها الوضوء ولا سجود فيها ويقرأ فيها بعض أقاويلهم.

والصيام عندهم هو الامتناع عن معاشرة النساء طيلة شهر رمضان. ويعظمون الخمر ويشربونها، كما يقدسون شجرة العنب، لأن الخمر تصنع منها.

ولهم قداسات مثل قداسات النصارى، ومن قداساتهم قداس الطيب لكل أخ حبيب، وقداس البخور، وقداس الآذان.

وكل عمل أو قول له تأويل خاص لايعلمه إلا المشايخ الكبار، وهم بدورهم تعلموه من الأئمة.

---

(١) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٤ / ١٤٣.

ولا شك أن كل معتقداتهم تخالف ما جاء فى القرآن الكريم والسنة المطهرة، وما عليه اجماع المسلمين.

وهذه المعتقدات مستمدة فى جوهرها من الوثنية القديمة التى كانت تقدس الكواكب والنجوم. ومن النصرانية التى تقول بالتثليث وبالحلول، ومن الفلسفة الهندية التى تقول بتناسخ الأرواح، ومن الفرس الذين يعتقدون أن ملوكهم أحفاد للآلهة صادرين عنهم من أصلابهم لاتحاد الإلهة بهم.

كما أنها مستمدة من الاثنى عشرية حيث يقولون باثنى عشر إماماً ومن الإسماعيلية الباطنية لقولهم بالظاهر والباطن، والمراد الباطن لا الظاهر.[1]

وعقيدة التوحيد الإسلامية واضحة فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾ وفى قوله سبحانه : ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله لذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون ﴾ (المؤمنون ٩)

---

(١) لمعرفة المزيد من تعاليمهم وعقائدهم راجع د. عبد الرحمن بدوى - مذاهب الإسلاميين من ص١٢١٨ : ١٢٣٣ .

أهم المراجع

* أصل الشيعة وأصولها - محمد الحسين آل كاشف الغطاء - الأضواء ١٩٩٣ .

* أصول الكافى - محمد بن يعقوب الكلينى - الأضواء ١٩٩٢ .

* الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، محمد بن الحسن الطوسى ،الأضواء ١٩٨٦ .

* البداية والنهاية - إسماعيل بن عمر بن كثير - الفكر العربى.

* تاريخ المذاهب الإسلامية - للشيخ محمد أبى زهرة - الفكر العربى

* تفسير الفخر الرازى - محمد الرازى فخر الدين - دار الفكر ١٩٨١ .

* الحركات الباطنية فى الإسلام ، د. مصطفى غالب - الأندلس ١٩٨٢ .

* الخطوط العريضة ، محب الدين الخطيب، الأندلس ١٩٨٢ .

* رسالة فى الرد على الرافضة ، أبو حامد محمد المقدسى الأندلس ١٩٨٢ .

* شرح الطحاوية ، على بن أبى العز، مؤسسة الرسالة ١٩٨٨ .

* الشيعة والتصحيح د. موسى الموسوى ، موسسة الرسالة ١٩٨٨ .

* على فى القرآن والسنة ، محمد على أسبر، الاصالة ١٩٩١ .

* الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادى، بيروت ١٣٩٣هـ.

* الفصل ،ابن حزم الظاهرى ، السلام العالمية.

* القرامطة بين المد والجزر، د. مصطفى غالب ، الأندلس ١٩٨٣ .

* كشف أسرار الباطنية ،تحقيق سهيل زكار ، الاحسان ١٩٨٢ .

* كشف الأسرار، روح الله خومينى ط ١٩٨٨ .

* مقالات الإسلاميين ، أبو الحسن الأشعرى ، القاهرة ١٩٥٠ .

* الملل والنحل ، محمد بن عبد الكريم الشهرستانى، مؤسسة الحلبى.

* مناهل العرفان ، محمد عبد العظيم الزرقانى، ط البابى الحلبى.

* منهاج السنة المحمدية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ط ١٩٨٦ .

* نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، د.على سامى النشار، دار المعارف ١٩٧٧

* الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة، موسى جار الله ، دار المعارف ١٩٧٧ .

تم الجزء الأول

ويليه إن شاء الله الجزء الثانى

"الخوارج بين الأمس واليوم"

فهرس الموضوعات

رقم الايداع بدار الكتب المصرية
٢٠٠٦/٤٧١٤
مطبعة رشوان